



الفاتحة الى أرواح المؤمنين والمؤمنات

بالأخص

المرحوم سيد علوي سيد حسن شرفا

المرحوم علي صالح الصادق

المرحومة زينب محمد الصادق

الطبعة الأولى

ذي الحجة الحرام ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

منشورات: مؤسسة أم أبيها عليها السلام ثقافية - خيرية

كربلاء المقدسة / شارع قبلة الإمام الحسين عليه السلام

الفرع المقابل لقاعة الرسول صلى الله عليه وآله مقابل فندق ريحانة المصطفى صلى الله عليه وآله

٠٠٩٦٤٧٧٠٢٧٨٧٧٨٣ / ٠٠٩٦٤٧٨١١١٦٩٥٩٦

إحياء عاشوراء

محاضرات

سماحة آية الله العظمى

السيد صادق الحسيني الشيرازي عليه السلام

المقدمة

قال الرسول الأكرم ﷺ:

«إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً»^١.

إنّ لفقد الأحبة والمقرّبين لوعة ومرارة في نفس كل شخص، فمن يفقد عزيزاً عليه يتجرّع ألماً وغصّة في الأيام الأولى من فقدته، وقد تصيبه حالة من الكآبة وعدم التوازن، يعزف فيها عن الطعام والشراب والنوم، لكن مع مرور الأسابيع والشهور يندمل الجرح وتهلأ النفوس وتزول الأحزان شيئاً فشيئاً وتعود الأشياء إلى طبيعتها السابقة. فأعظم المصائب وأشدّ البلايا وقعاً على الإنسان تفتّر حدّتها وتخفّ وطأتها بفضل عامل الزمن ونعمة النسيان.

لكنّ مصيبة واحدة لم تبرد لوعتها ولم ينطفئ لهيبتها برغم تقادم السنين ومضيّ الأعوام والقرون، ألا وهي مصيبة أبي عبد الله الحسين عليه السلام. كل عام قبيل شهر محرّم بأيّام تلبّس الشيطان بالسواد، وتتلبّد القلوب بغيوم الحزن، وتتقدّ حرارة مصيبة عاشوراء في الصدور من جديد. ويتبيّن من الرواية السابقة أنّ هذه اللوعة والحرارة هما من علامات الإيمان، لأنّه لم يرد في الرواية «في قلوب البشر» أو «قلوب الناس»،

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ٣١٨ رقم ١٢٠٨٤.



من هنا فإنَّ الحُبَّ الحسيني الذي يسكن قلوب المؤمنين يعتمد على درجة الإيمان صعوداً ونزولاً، وهو حبٌّ يغمر قلب كلِّ مؤمن ومحبٍّ لأهل البيت عليهم السلام.

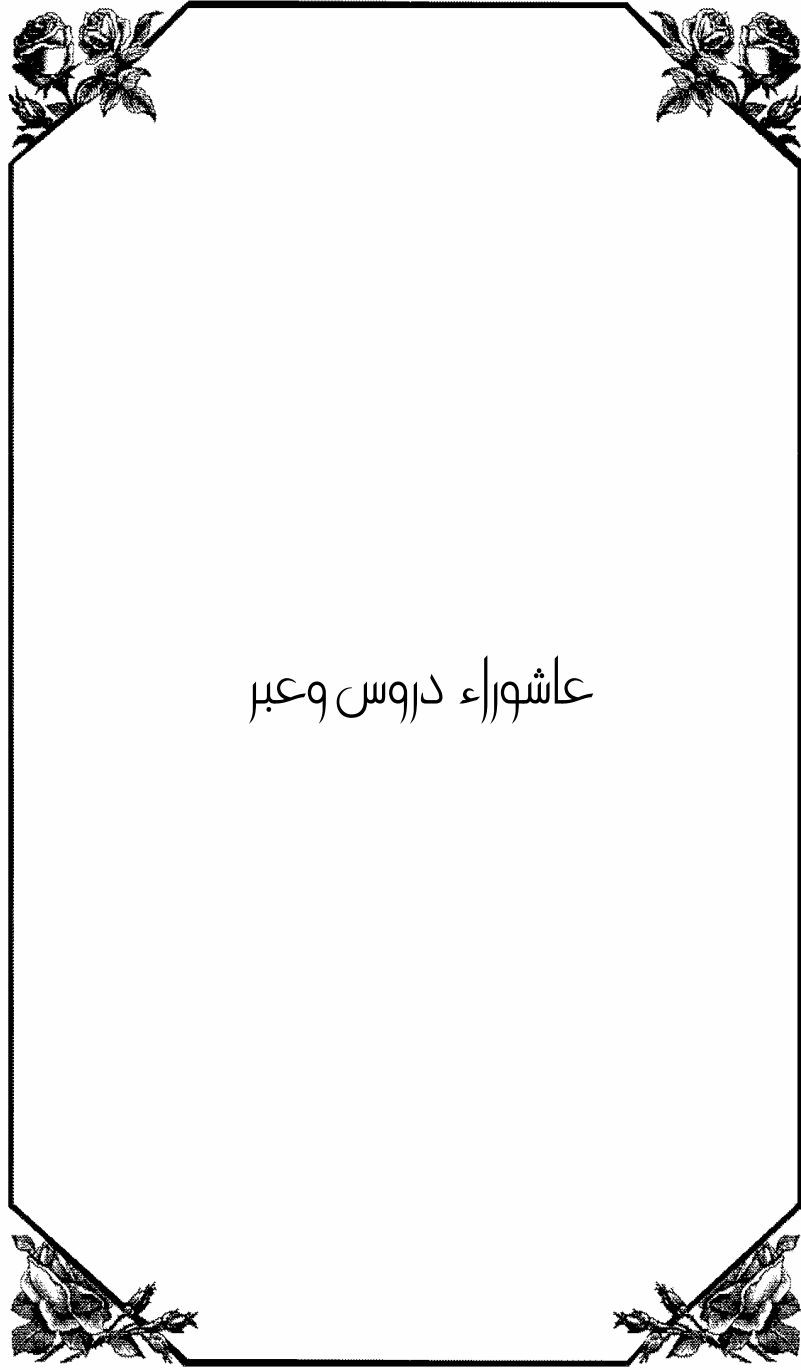
لقد خصَّ الله سبحانه وتعالى الإمام الحسين بخصائص لم يشاركه فيها حتَّى من هم خير منه وهم جدّه وأبوه وأمّه وأخوه عليهم السلام، لأنَّ التضحيات التي طلبها الله تعالى من الإمام الحسين كانت أعظم حتَّى من تضحياتهم عليهم السلام.

إنَّ الدور الإستثنائي الذي قام به الإمام الحسين في يوم عاشوراء استحقَّ عليه ثواباً استثنائياً من الله تعالى.

وهذا الاستثناء - كما نطالع في هذا الكتاب - قد تجلَّى على نحوين: النحو الأوَّل: الاستثناء في الجانب التشريعي، ومثاله: الجزع فإنَّه مكروه، حسبما ورد في الروايات، إلاَّ على الإمام الحسين.

النحو الثاني: الاستثناء التكويني، ومثاله الاستشفاء بتربته؛ فإنَّ أكل التراب محرّم شرعاً ومضراً من الناحية الصحيّة، لكنَّ الأمر يختلف مع تربة سيد الشهداء عليه السلام فهو حلال حكماً، وشفاء لمن يستعمله بمقدار.

هذا الكتاب عبارة عن محاضرات صدرت سابقاً، جمعناها بعد تنقيحات وإضافات. ومن الله التوفيق.



عاشوراء دروس وعبر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن
الدائم على أعدائهم أجمعين*

إطالة عاشوراء

مرة أخرى يطل علينا شهر محرّم الحرام وذكرى عاشوراء.
لقد تمّ إحياء هذه المناسبة منذ استشهاد سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام
إلى يومنا هذا ألفاً وعدة مئات من المرّات، وفي كلّ مرّة يستلهم محبّو
الإمام قيماً ومفاهيم جديدة من خلال مدرسة عاشوراء الخالدة.
لقد بقي نور هذه الملحمة العظيمة مضيئاً عبر العصور، فترى المؤمنين
يتزوّدون من فيضها الغنيّ لدنياهم وأخراهم.
إنّ ذكرى عاشوراء مرّت بمسيرة طويلة من التحوّلات، والتضحيات
التي قدّمها الأسلاف والوالهون بسيّد الشهداء عليه السلام حتّى وصلت إلينا هذه
المدرسة العاشورائية المناهضة للظلم، العريقة بأهدافها المقدّسة.
ونحن بدورنا إذا أردنا أن نكون من المتممين حقّاً لهذه المدرسة،
يجب علينا أن نبذل الغالي والنفيس من أجلها، وأن نسعى جاهدين
لتسليم هذه الأمانة الحسينية، إلى الأجيال اللاحقة، مصونة لا تشوبها
شائبة، وفي الوقت نفسه فاعلة ومحفوظة من أيّ زيغ أو حرف. ولا
يتحقّق هذا إلّا إذا خلصت النوايا، وذابت المصالح الشخصية، وحلّ
محلّها تحقيق مرضاة الله عزّ وجلّ.

(*) هذه المحاضرة: (عاشوراء. دروس وعبر) تمثّل خلاصة ثلاثة كلمات أفاض بها سماحة
السيد المرجع عليه السلام على جموع المعزّين في شهر محرّم الحرام خلال الأعوام (١٤٢٠-
١٤٢٥هـ).



تخليد عاشوراء

ومن أولى مهام محبّي أهل البيت عليهم السلام إعلاء شأن عاشوراء وثقافة عاشوراء، وبرامج عاشوراء، ومجالس عاشوراء، ومواكب عاشوراء وإحياء كل ما يتعلّق به ويخلّد ذكره. ولا يخفى أنّها مسألة محفوفة بالمشاقّ والصعاب، لكنّها مشاقّ عاقبتها الثواب الجزيل والأجر الجميل. إنّ لمواكب العزاء الحسينية وتلك الشعائر منزلة رفيعة ومقاماً سامياً جعلت العلماء يفخرون بالمشاركة فيها أيّما افتخار.

على سبيل المثال، تقام سنوياً في يوم عاشوراء مراسيم عزاء متميزة في مدينة كربلاء المقدّسة، تعرف بـ(عزاء طويريج)^١، كان السيّد بحر العلوم^٢ - وهو من العلماء الأعلام - مواظباً على المشاركة فيها، حتى نُقل عنه قوله: لقد شاهدت الإمام المهدي عليه السلام بين صفوف المعزّين.

وكان يشارك في هذا العزاء الآلاف من الناس، مهرولين حفاة، ضاربين بأيديهم على رؤوسهم وصدورهم ووجوههم، ولقد رأيت مرّات عدّة مراجع كباراً وهم يؤدّون هذه المراسيم مع الجموع المهرولة، كما كان يشارك فيها بعض الوزراء والوكلاء والأعيان... .

(١) «طويريج» ناحية من توابع كربلاء، تنطلق منها في يوم عاشوراء كلّ عام وفود المعزّين نحو الحرم الحسيني حفاة لاطمي الصدور والرؤوس ومردّدين هتافات: حسين، حسين، وأبد والله ما ننسى حسيناً.

(٢) السيّد محمد مهدي بن مرتضى بحر العلوم (١١٥٥-١٢١٢هـ) من مشاهير العلماء الذين عُرفوا بالزهد والورع، وأحد تلامذة الشيخ وحيد البهبهاني قدس سرّه، انتقل إلى جوار ربّه وهو في الخامسة والسبعين من عمره، ودفن بجوار مرقد الشيخ الطوسي في النجف الأشرف. (الكنى والألقاب: ج ٢ ص ٦٧).



هؤلاء لم يكونوا يفعلون ذلك حتى في مجالس عزاء آبائهم، ولم يكونوا ليجزعوا هذا الجزع لو فقدوا أموالهم وثوراتهم. فهيناً لهم ثم هيناً. إن مقيمي المآتم الحسينية إنما يعزّون النبي ﷺ. يقول الإمام الصادق عليه السلام في هذا المجال:

«يعزّ على رسول الله ﷺ مصرعهم - أي الحسين وأهل بيته عليهم السلام - ولو كان - أي رسول الله ﷺ - في الدنيا يومئذ حياً لكان هو المعزّي بهم»^١.

فلئن وفّقنا لإقامة مجالس العزاء الحسينية، وأسدينا خدمة لسيد الشهداء عليه السلام، وتحملنا العناء والمشقة في هذا السبيل، وكان لنا شرف المشاركة في هذه المآتم، فلا يسعنا إلا أن نقول: الحمد لله الذي وفّقنا لهذا. الحمد لله الذي أكرمنا لنستظلّ بمظلة الإمام الحسين عليه السلام. إن هو إلا توفيق من عند الله لتشرّف بخدمة الإمام عليه السلام.

في الواقع، إنّ جلّ ما نملك من مُثلٍ وقيم هو من بركات تضحيات سيد الشهداء عليه السلام. فذكرى عاشوراء هي التي غرست في أعماقنا العبودية لله عزّ وجلّ، ومبادئ الإنسانية، والإيثار وخدمة الآخرين، والعطف على الضعفاء، والدفاع عن المظلومين، ولأجل هذا كلّه يجب أن نحافظ على جذوة ملحمة عاشوراء متّقدة على الدوام، وأن نبذل مهجنا دونها، لنضمن الرفعة والشموخ لنا وللأجيال من بعدنا.

إننا ننفق في حياتنا اليومية كثيراً من الأموال وفي مختلف الشؤون، وكذلك نصرف الكثير من الجهد والوقت مع الأولاد والأهل، وفي البيت والعمل والتجارة وما إلى ذلك، ولكن لنعلم أنّ ما ننفقه ونبذله في سبيل

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥ ب ٣٧ ص ٦٣ ح ٣.



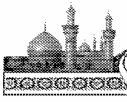
الإمام الحسين عليه السلام يضاعف وينمو عند الله سبحانه، ولنعلم أيضاً بأنّ أيّ خطوة نخطوها في خدمة أهل البيت عليهم السلام سنثاب عليها بأفضل الثواب.

مسألة أخرى يجب الالتفات إليها وهي: علينا أن نغتني هذه النعم التي وهبها الله تبارك وتعالى لعباده مقابل تقديم الخدمة في المواقب الحسينية، قبل أن نندم على التفريط بها، ولا مجال حينذاك للعودة إلى الدنيا للتعويض عمّا فات.

ولنعلم بأننا إذا كنّا قد وقّفنا لإحياء المجالس الحسينية، فالفضل في ذلك كلّه يعود لأبائنا وأجدادنا وأسلافنا، فلنتذكّرهم دائماً، ولنعلم بأننا نحن أيضاً سنترك تأثيراً على أجيالنا وذلك بحسب هممنا وعزائمنا في خدمة سيّد الشهداء عليه السلام.

إنّ شبابنا هم أمانة الله وأهل البيت عليهم السلام، عندنا وقد حافظ أسلافنا على الأمانة على أحسن وجه وسلّمونا الدين ومضوا، لذلك علينا أن نسعى بدورنا لأن نصون الأمانة على أتمّ صورة، لنسلّمها إلى الأجيال من بعدنا، فلنحاول أن لا يُحرم أيّ شابّ في محلّتنا أو عشيرتنا أو أحد أصدقائنا من المشاركة في الحسينيات ومجالس العزاء، وإذا كنّا نعرف شباباً كهؤلاء فلنشجّعهم على المشاركة في هذه المجالس، ولندفع الشباب نحو المواقب الحسينية والتي هي حبل النجاة من الضلال والجهل بكلّ وسيلة متاحة، ولنكرّر محاولاتنا معهم مرّةً وثانيةً وثالثة... وهكذا، ولا نياس من عدم استجابتهم، إلى أن ينضمّوا إلى الصفوف الحسينية.

فلو سألكم مولانا أبو عبد الله عليه السلام: «كان فلان شابّاً صالحاً، فلماذا لم تشركوه في هذه المجالس؟» وأجبتهم: «يا مولاي حاولنا معه ولم يستجب»، فإنّه عليه السلام سيقول لكم: «هلاً حاولتم مرّةً ثانية».



لنحاول دفع الشباب باتجاه المواكب والشعائر الحسينية، فهذه المسألة تحظى بأهمية كبيرة، خاصة في عالم اليوم حيث تحاول وسائل الأعلام المضللة وبشكل واسع إغراء الشباب وجذبهم نحوها.

وعلىنا أن نعلم بأن كلَّ حسينية هي بيت من بيوت الإمام سيّد الشهداء عليه السلام، فلنحاول تجنب هذه الحسينيات من أن تتحوّل إلى مسرح ل طرح الخلافات والنزاعات، بل على العكس، لنجعل منها أماكن للاجتماعات والوحدة والوئام.

هناك نقطة أخرى وهي: أن بعض محبّي أهل البيت عليهم السلام هم من الذين يقطنون في مختلف بلدان العالم غير الإسلامية، وهم بأمرٍ الحاجة إلى الحسينيات والمساجد والمدارس والكتب لأبنائهم، فإذا كنتم لا تستطيعون بناء الحسينيات والمساجد، فعلى الأقلّ شجّعوا الآخرين على هذا العمل النبيل، أو المساهمة في الأعمال الثقافية المتعلقة بمواكب الإمام الحسين عليه السلام. فقد يتّصل بكم أحد الأقارب أو الأصدقاء هاتفياً أو يبعث لكم برسالة، أو قد تتّصلون أنتم بهم، فهذه فرص مناسبة لتشجيع الآخرين على تقديم الخدمات في سبيل الإمام الحسين عليه السلام، حتى لو بدأ المرء من نقطة الصفر، فإنّ الإمام عليه السلام هو الكفيل بأن يأخذ بيده ليصل بعمله إلى النتيجة المطلوبة.

لقد رأيت بنفسى حسينية تأسست في إحدى الدول، كانت الأموال التي جمعت لها في بادئ الأمر هي من أموال القروض، وخلال ٢٠ عاماً أصبحت أهمّ حسينية في ذلك البلد. لذلك، ابدأوا العمل في هذا الطريق بأقلامكم وألسنتكم وتشجيعكم، وإذا كانت لديكم استطاعة مالية، مهما كانت متواضعة، فلا تردّدوا، فإنّ أعمالاً كهذه هي التي جعلت أشخاصاً



يحظون بمنزلة ومكافآت من الإمام الحسين عليه السلام لم ينلها غيرهم. نقطة أخرى هي أنه يمكنكم أن تضيئوا مصباح الحسين عليه السلام في بيوتكم، وذلك من خلال إقامة مجالس العزاء الحسينية العامة، فمن تمكّن من فعل ذلك فهنيئاً له، ومن لم يتمكن فليقيم مجالس عزاء خاصة في بيته، وإذا تعذّر ذلك أيضاً فيمكنه إقامة مجلس عزاء لأسرته فقط مع مشاركة جار أو قريب له. ولهذا العمل بركات دنيوية جليّة تسبق بركاته الأخروية. مع أنّ للحضور في الحسينيات والمجالس العامة أهميته، لكن من الأفضل أن ينقل المرء هذه البركات إلى داخل بيته، وإذا لم يستطع تحمّل أعباء هذه المجالس، فليكتف بأقلّها، وسترون بأمر أعينكم كيف أنّ الله سيبارك بها وستتمكّنون حتى من الإطعام.

فداحة المصيبة

في الحقيقة، لا يمكننا أن نتصوّر ما كابده سيد الشهداء عليه السلام في يوم عاشوراء. قد تراود الإنسان أحياناً بعض الخطرات، لكنّه مع ذلك، لا يتصوّر ما جرى في ذلك اليوم فعلاً.

لاشكّ أنّ الإمام المعصوم عليه السلام أرقى وأعقل خلق الله، وله روح عالية تعلو على أرواح جميع المخلوقات، لكن في الوقت نفسه له قلب يطفح بعاطفة تسمو على عواطف جميع البشر، وإن كانت معقودة بأكمل العقول.

لقد ذرف الرسول الكريم صلى الله عليه وآله الدمع حزناً على فقد ولده إبراهيم، الذي لم يتجاوز العام ونصف العام.

وكان صلى الله عليه وآله يجهش بالبكاء لدرجة كان كتفاه يهتزّان حتى قال له بعض



أصحابه: يا رسول الله، تأمرنا بالصبر وتبكي لهذه المصيبة؟ فقال:
«تدمع العين ويحزن القلبُ ولا نقول ما يُسخطُ الربَّ وإنا بك يا إبراهيم
لمحزونون»^١.

فالرسول الأعظم ﷺ يبكي كلَّ هذا البكاء لفراق ولده ذي الثمانية عشر
شهرًا، بينما فقد الإمام الحسين ﷺ يوم عاشوراء أعزَّ الناس وأقربهم إليه
كأبي الفضل العباس وعلي الأكبر والقاسم ﷺ... ولو كان هؤلاء أفراداً
عاديين لهان الأمر، ولكنهم ترعرعوا في حجر الإمامة الطاهر، وكانوا بعد
الإمام المعصوم ﷺ قدوة في الوفاء والنخوة والأصالة، ولا مثيل لهم على
وجه الأرض مطلقاً، وإننا لنعجز عن أداء حقهم في وصف مكانتهم.
أجل، في أقلَّ من نصف يوم، تجرَّع الإمام الحسين ﷺ كلَّ هذه
المصائب وتحمل ما لا يطيقه بشر.

وحينما أراد جيش عمر بن سعد - في اليوم الحادي عشر من محرّم -
اقتياد السبايا إلى الكوفة، كان الإمام السجّاد ﷺ من شدة ما ألمَّ به من
مرض لا يقوى على ركوب الناقة، لذلك قاموا بشدّ رجله من أسفل بطن
الناقة. وعندما اقتيد السبايا من وسط ساحة المعركة، رمت النسوة
والصبية بأنفسهم على جثث الشهداء، أمّا الإمام السجّاد ﷺ فلم يستطع
فعل ذلك، ويقول في هذا الشأن:

فكادت نفسي تخرج فتبيّنتُ ذلك عمّتي زينب...^٢.

لذلك عندما رأت الإمام السجّاد ﷺ يوشك أن يلفظ أنفاسه، تركت

(١) الكافي: ج ٣ ص ٢٦٢ ح ٤٥ باب النوادر.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٥ ب ٣٩ ص ١٧٩ ح ٣٠.



جث الشهداء وتوجّهت إليه، وذكرت له بعض الأمور - والتي طبعاً هو أعلم بها - حتى هدأ قليلاً. وقد أخبرت العقيلة زينب ابن أخيها عليها السلام بأنّ هذا الحال لن يدوم، فسوف يأتي زمان يقيم أناس مجالس عزاء للإمام الحسين عليه السلام ويحيون ذكره. فأسكنت لوعة قلبه الشريف بقولها:

ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض... ينصبون لهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء عليه السلام لا يُدرس أثره...^١.

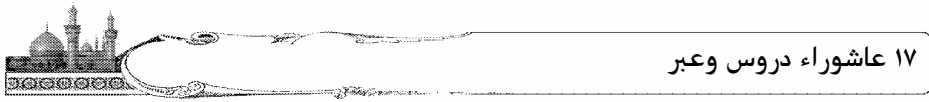
وكلّ ذلك كان بعين الله التي لا تنام حتى تحلّ الساعة التي يأذن الله سبحانه فيها بحكمته العالية انتهاء أمر الصبر لتصل النوبة للعدل الإلهي والانتقام من الظالمين.

أسأل الله ببركة سيّد الشهداء - هذا الإمام الهمام الذي هو منشأ البركات في الدنيا والآخرة - أن يوفّقنا أكثر فأكثر على طريق خدمته والتزوّد من أهدافه الرفيعة والعون على إقامة المجالس الحسينية المباركة.

ثواب إحياء الشعائر الحسينية

إنّ الذين قدّموا الخدمات الجليلة للإمام الحسين عليه السلام، وتحملوا في سبيله العناء والعذاب، سيُسجّل لهم ما قدّموه بأحرف من نور في سفر التاريخ، وفي المقابل سُتكتب أسماء الذين وجّهوا ولو أدنى إهانة لمواكب العزاء والمآتم الحسينية بأحرف من نار وهوان، أولئك الذين وقفوا في وجه مراسيم العزاء على سيّد الشهداء عليه السلام وكذا بدرجة أقلّ

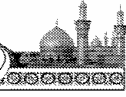
(١) العوالم، الإمام الحسين عليه السلام للبحراني: ص ٣٦٢.



أولئك الذين أعاقوا أو ثبّطوا ذويهم أو الآخرين عن إقامة هذه الشعائر أو المشاركة فيها، كالزوج الذي منع زوجته من المشاركة، أو الزوجة التي ثبّطت من عزيمة زوجها، أو الأخ الذي منع أخاه، أو الجار الذي منع جاره، وبعبارة واحدة: كلٌّ من وضع عقبة في طريق إقامة الشعائر الحسينية، كلٌّ ذلك سيسجّل عليهم صغيراً كان أو كبيراً.

إنّ الخاسر الحقيقي هو من انتهك حرمة عزاء سيّد الشهداء وأهل البيت الأطهار عليهم السلام بأيّ طريقة كانت، ولن يهنأوا في حياتهم حتى في شربهم الماء، ففي الخبر أن الله تعالى أوّل شيء يحاسب عليه المرء هي قضية سيّد الشهداء عليه السلام، فيحاسب كلٌّ من كان مع سيّد الشهداء عليه السلام وكلٌّ من كان ضده بل وكلٌّ من خطأ خطوة في طريق سيّد الشهداء عليه السلام، وكلٌّ من خطأ خطوة في طريق أعدائه، فيحشر أتباع سيّد الشهداء عليه السلام معه وأعداؤه مع قتلته.

كان هناك عالمان جليان، رهن أحدهما عمره في خدمة مجالس عزاء سيّد الشهداء عليه السلام لم يتوان عن بذل أيّ خدمة بماله أو بلسانه... في هذا السبيل، أمّا الآخر فلم يكن يعر أهمية تُذكر لهذه القضية. والآن، وبعد مضي سنوات على وفاتهما، كان من الثواب الذي ناله الأوّل هو أنّ الله قد وفق أبناءه وأحفاده، فجعل منهم المؤلّف والعالم والمدرّس والمرجع الديني، منتشرين في أصقاع الأرض يُحيون ذكرى أبيهم، في حين لم يبق من الثاني أيّ أثر يخلّده، وهذا بالتأكيد نتيجة لتعظيم الأوّل مسألة التفاني والإخلاص لسيّد الشهداء عليه السلام، وعدم اكتراث الثاني لهذه المسألة، ومن هنا يتبيّن بأنّ أيّ خدمة تقدّم لمواكب العزاء الحسينية لن تذهب سدى أبداً.

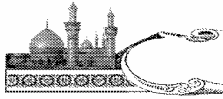


لا بأس بأن نذكر مثلاً آخر من بين آلاف الأمثلة التي يتضح من خلالها الثواب الذي يُعطى لخدام المسيرة الحسينية، وقد يحمل كل واحد منكم أيضاً في ذاكرته أمثلة أخرى عن بركات وألطف البيت النبوي لمسها في نفسه أو في بعض أقربائه.

يُروى أنه كان هناك شخصان أحدهما بائع بسيط بدخل متواضع، والآخر من أغنياء المدينة وأعيانها. كان البائع البسيط يكذب ويشقى من الصباح حتى المساء لتأمين رزقه، وعندما كان يعود إلى بيته يجلس فيقسم حاصله اليومي إلى ثلاثة أثلاث، يخصص ثلثاً منها ويدخره باسم الإمام الحسين عليه السلام، وبمرور الليالي والأيام وبعد البركة التي أفاضها الله تعالى على رزقه وما ادخره، اشترى قطعة أرض خارج مدينته وبعد سنوات قليلة شاء الله تعالى أن تتوسع المدينة، فأدخل التوسع قطعه تلك إلى داخل المدينة، فبنى فوقها حسيّنة لإقامة العزاء على سيد الشهداء عليه السلام بالإضافة إلى إقامة الفرائض والمراسيم الدينية الأخرى. وقد ذكر ابن ذلك الكاسب: بأن أهل البلد عرضوا عليه شراء تلك الحسيّنة مقابل مبلغ ٥ مليارات تومان لغرض تحويلها إلى مبنى عام، لكنه رفض وقال: «هذا المكان وقف للإمام الحسين عليه السلام ولم يعد ملكاً لنا».

إنّ خدمات ذلك الكاسب في الدنيا محفوظة له، من خلال المراسيم التي تقام في تلك الحسيّنة والتي أحييت ذكره، هذا بالإضافة إلى الثواب الأخروي الذي ينتظره، بينما لم أسمع عن ذلك الثريّ أنه أوقف ولو شبراً واحداً من أملاكه للإمام الحسين عليه السلام، حتى آل الأمر إلى أن اقتسم ورثته من بعده كل أمواله، ولم يبق له أيّ شيء يحيي اسمه من بعده.

ومن هذا المنطلق، تعتبر قضية الإمام الحسين عليه السلام قضية تكوينية،



بمعنى أنه من قدّم خدمة خالصة للإمام عليه السلام، سيثاب عليها في الدنيا قبل الآخرة.

من المناسب هنا أن نتطرّق لرواية تبين مدى عظمة الأجر لزائر الإمام الحسين عليه السلام ومحبي مجالسه ومعظم شعائره:

سابقاً كان قبر الإمام الحسين في عرض الصحراء حيث لا أثر أو علامة تميّزه، ولم يكن باستطاعة أحد الاهتداء إليه وزيارته من غير دليل مرشد. ومن ناحية ثانية، كان الجواسيس منتشرين في تلك الناحية ومأمورين بالقبض على كل زائر يتّجه صوب القبر المشرف، لتسليمه إلى السلطات آنذاك. وقد أدخل هذا الأمر الرعب في قلوب الوالهيّن لزيارة الإمام عليه السلام، ولم يكن أحد ليجرؤ على الزيارة. في هذا الصدد، يقول عبد الله بن بكير^١: قلت له (أي للإمام الصادق عليه السلام): إنني أنزل الأرجان وقلبي ينازعني إلى قبر أبيك، فإذا خرجت فقلبي وجل مشفق حتى أرجع خوفاً من السلطان والسعاة وأصحاب المسالِح؟ فقال له الإمام:

يا بن بكير أما تحبّ أن يراك الله فينا خائفاً؟ أما تعلم أنه من خاف لخوفنا أظله الله في ظلّ عرشه وكان محدّثه الحسين عليه السلام تحت العرش وآمنه الله من أفزاع يوم القيامة يفزع الناس ولا يفزع فإن فزع وقرفته الملائكة وسكّنت قلبه بالبشارة^٢.

ففي ذلك اليوم العصيب الذي ينشغل كلُّ بنفسه ومصيره، هناك مكان

(١) أحد أقرب أصحاب الإمام الصادق عليه السلام الذي نقل عنه روايات كثيرة.

(٢) كامل الزيارات: ص ١٢٥ ب ٤٥ ثواب من زار الإمام الحسين عليه السلام.



أمن يرفل بالطمأنينة والسكينة ألا وهو ظلّ العرش حيث يقف الإمام الحسين. فأولئك الذين تحمّلوا المشاقّ والهوان في سبيله ﷺ سيحفظون بالأمن وبشرف التحدّث معه، أمّا الذين لم يسيروا في ذلك الطريق ولم يتحمّلوا الصعاب فيه فسيحرمون هذه النعمة العظيمة.

حريّ بنا أن نقيّم أعمالنا ونرى ما لمجالس العزاء والحزن على مصاب أهل البيت ﷺ من ثواب من خلال ما ورد في ذلك عن أهل البيت، فقد روي عن الإمام جعفر الصادق ﷺ أنه قال:

«نَفْسُ الْمَهْمُومِ لِظُلْمِنَا تَسْبِيحٌ، وَهَمُّهُ لَنَا عِبَادَةٌ»^١.

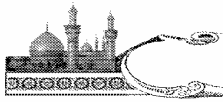
إنكم تحملون في داخلكم همّاً عظيماً بسبب مصاب الإمام الحسين ﷺ، إذن أنفاسكم كلّها تسبيح تسجّلها الملائكة لكم في صحيفة أعمالكم، ففي كلّ نفس يكتب لكم قول سبحان الله. كما أنّ حزنكم عبادة لكم، إضافة للثواب الذي تحصلون عليه لقاء خدمتكم في هذا الطريق.

لذا، فمن يتحمّل مشاقّ وأعباءً أكثر ويضع راحته وسهره في خدمة الإمام الحسين ﷺ، بطبيعة الحال له أجرٌ أعظم.

يُنقل أنّ أحد الأفراد من أهل العلم، كانت له رؤيا^٢ لاثنتين من الفقهاء الأفاضل، أحدهما الشيخ الأنصاري رحمته الله الذي تنهل الحوزات العلمية

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢٧٨ ح ٤ ب ٣٤؛ الأملاني للمفيد: ص ٣٣٨ ح ٣ المجلس ٤٠؛ الأملاني للطوسي: ص ١١٥ ح ١٧٨ المجلس ٤.

(٢) الرؤيا ليست دليلاً ولكن عبّر عنها أحياناً في الروايات بالمبشّرات، الكافي: ج ١، الروضة: ص ٩٠ ح ٥٩، صحيحة معمر بن خلاد.



الدينية من علمه منذ ١٥٠ عاماً، والآخر الشيخ الدربندي رحمته الله. هذان العالمان كانا زميلي دراسة في مرحلة الشباب، وكانا من تلامذة المرحوم شريف العلماء رحمته الله، وأصبح كلاهما فيما بعد مرجعين للتقليد، وفي ذلك الوقت كان الشيخ الأنصاري هو المرجع العام للشيععة، والدربندي له مرجعية محدودة. ذات يوم عزم أحد طلاب الشيخ الأنصاري - وكان طالباً مجداً يحمل صفات العلم والورع - على السفر إلى إيران، فقام الشيخ الأنصاري بوداعه حتى مشارف المدينة مشياً على الأقدام. وكان قد عزم ذلك الطالب على السفر أولاً إلى مدينة كربلاء ثم الكاظمية وسامراء ليواصل بعدهما سفره إلى إيران، لكنه وفي اليوم التالي توقّف ولم يكمل ما عزم عليه في المسير إلى كربلاء، ورجع من وسط الطريق. وعندما رأى الشيخ الأنصاري تلميذه في النجف الأشرف سأله: «لماذا عدت؟!» أجابه: ليلة أمس غلبني النوم وأنا في منتصف الطريق في جوف الصحراء، فرأيت ملكاً في منامي يقول لي: إلى أين أنت ذاهب في هذه الصحراء، إنك راحل عن هذه الدنيا بعد أقل من ثلاثة أيام. وهذا القصر لك - وأشار الملك إلى قصر - ولم أكن أعلم على وجه اليقين إن كانت هذه رؤيا صادقة أم لا، فقفلت راجعاً إلى النجف، لأكون عند أمير المؤمنين عليه السلام وليس في الصحراء فيما لو تحققت الرؤيا، وإذا بان خطؤها أو اصل رحلتي من جديد. وبالفعل، تحققت الرؤيا وتوفّي الرجل فعلاً بعد الرؤيا بأقل من ثلاثة أيام كما وعد بذلك.

يروي هذا الشخص نفسه للشيخ الأنصاري بأنه قد رأى في ذلك المنام أيضاً قصراً شامخاً فسأل: لمن هذا القصر؟ ف قيل له: «إنه للشيخ الأنصاري»، وفي ناحية مجاورة من ذلك القصر رأى قصراً آخر أفخم من



القصر الأوّل، فسأل: وهذا لمن؟ قيل له: «هذا قصر الشيخ الدربندي»^١. وكان المتحدّث يعرف الشيخين جيداً، ويعلم أنّ مرجعية الشيخ الدربندي لا تضاهي مرجعية الأنصاري، لذلك أثارت فخامة قصر الشيخ الدربندي في تلك الرؤيا السؤال في نفسه ليسأل الملك عن سبب ذلك، لأنّه من المتوقع أن يكون قصر الأنصاري أكثر فخامة وعظمة، فأجابه المملّك قائلاً: «هذا ليس جزاء أعمال الدربندي العامّة، بل هو هدية له من قبل الإمام الحسين عليه السلام لقاء اهتمامه بمجالسه».

وكما أنّ لخدمة المواكب الحسينية وتعظيم شعائرها ثواباً وأجرًا جزيلاً، كذلك فإنّ التصدّي لهذه المواكب ومحاربتها ستكون لهما عاقبة سيئة. ومن يضع العراقيل في طريق المواكب الحسينية، سيلقى جزاءه في دار الدنيا قبل الآخرة؛ لأنّه بذلك يكون كمن يحارب الإمام الحسين عليه السلام إنّ الثواب الحقيقي للأعمال عموماً يُكشف عنه في يوم الحساب، لكنّ المسيء للإمام الحسين سيدفع ثمن ذلك في الدنيا قبل الدار الآخرة.

(١) في ذلك الوقت كان الشيخان لا يزالان على قيد الحياة، كان الشيخ الأنصاري في النجف الأشرف، والشيخ الدربندي في كربلاء المقدسة. وبالإضافة إلى كون هذا الأخير مرجعاً دينياً، كان خطيباً يعتلي المنابر الحسينية وكان له منبر خاص في كلّ عام، حيث نُقل لي بعض من قصصه تلك بواسطتين عمّن حضر مجلسه، وكانت مجالسه تقام في الصحن الشريف في ظهيرة يوم عاشوراء من كلّ عام بعد انتهاء المجالس الأخرى حيث كانت تعجّ بجماهير غفيرة، وأحياناً كان يتحدّث قبل ساعة من مواعده، ويقول أحياناً: «لا أريد أن أقيم مجلس ندب ونواح فقد سمعتم منها ما يكفي طيلة الليل وحتى الظهيرة، لكنني أريد أن أوجّه بضع كلمات باسمكم إلى الإمام الحسين عليه السلام...» وكان مجلساً مميّزاً حقاً. كما دون المرحوم الدربندي كتاباً مسهباً عن الإمام الحسين عليه السلام يحمل عنوان «إكسير العبادات».

استلهام الدروس من عاشوراء

إنّ المشاركة والخدمة في المجالس الحسينية فيها ثواب عظيم، ولكن الأمر لا ينتهي عند هذا الحدّ، فلم يكن يوم عاشوراء مناسبة للندب والتعزية حسب، بل كان وما يزال وقفة للتأسّي بدروسه والافتداء بأبطاله، فيجب علينا أن نقتدي بسيد الشهداء عليه السلام وأن نتأسّى به في جميع شؤوننا.

إنّ من بين ما تميّزت به قضية الإمام الحسين عليه السلام ميزتين هامتين هما: العبرة والعبرة، وتكاد تكون هاتان الميزتان متلازمتين. فالذي يحظى بمنزلة أرفع وحرمة أكبر عند سيد الشهداء عليه السلام هو الأقدر على الجود في العبرة وأخذ العبرة من قضية الإمام عليه السلام. وعلى قدر السعي والجدّ في هاتين المسألتين سوف يحظى الفرد بالثواب والجائزة.

وكلمما جاد الإنسان في البكاء والأسى على مصاب الإمام الحسين عليه السلام، أظهر للعالم استنكاره لما جرى على الإمام عليه السلام، بمعنى أنّ العبرة على الإمام عليه السلام مظهر لنصرته في أيّ وقت كان.

بعبارة أخرى: إنّ توقّع الإمام الحسين عليه السلام من الأفراد يتناسب مع منزلتهم ومقامهم. ولم يهمل المعصومون عليهم السلام في رواياتهم هذا الجانب، أي منازل الأفراد، حيث يقول الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه:

«إنّ الحسن من كلّ أحد حسن وإنّه منك أحسن لمكانك منّا، وإنّ القبيح من كلّ أحد قبيح وإنّه منك أقبح...»^١.

(١) بحار الأنوار: ج ٤٧ ب ٣٣ ص ٣٤٩ ح ٥٠.



١ . انقاذ الناس من عتمة الجهل

وفيما يتعلّق بالميزة الثانية - وهي أخذ العبرة - فقبل كل شيء يجب أن نعلم لماذا اختار الإمام وأبنائه وأصحابه طريق الشهادة، وبهذه الطريقة المفجعة؟ ولعلّ زيارة الأربعين تجيب عن تساؤلنا، حيث جاء فيها:

«وَبَدَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ لِيَسْتَنْقِذَ عِبَادَكَ مِنَ الْجَهَالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلَالَةِ»^١.

إنّ أئمتنا عليهم السلام كلهم قد بذلوا مهجهم في سبيل الله ومن أجل هداية الناس، وكما روي عنهم عليهم السلام «ما منّا إلا مقتول أو مسموم...»^٢ فلماذا خصّ سيد الشهداء عليه السلام بهذا التعبير؟

إنّ الإمام الحسين عليه السلام باستشهاده قد فتح مدرسة العبرة للجميع، ليقارعوا الظلم ويتحمّلوا الشدائد والمصاعب حتى يذوقوا طعم السعادة.

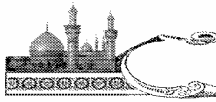
إنّ شهادة الإمام عليه السلام هي اختبار للناس وإتمام للحجة، وفي ذات الوقت مشعل هداية ونجاة من الجهل والظلمة. فسيد الشهداء عليه السلام هياً أسباب الهداية ومهدّ طريقها للناس، عندما قدّم دمه الزكي من أجل النجاة من الضلالة والجهالة ليرتقي الناس إلى السعادة والفلاح.

ومهمّتنا نحن وأمثالنا أن نتمثّل هذه البطولات والتضحيات وأن نجعل من شهادة الإمام عليه السلام حجة بالغة، وتوظيفها على أكمل وجه لهداية أنفسنا والآخرين.

بإمكاننا أن نستلهم هذه المعاني من خلال مراجعة سريعة لصفحات التاريخ، حيث روي: أنّ أحد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام اعترضه وهو

(١) تهذيب الأحكام: ح ٦ ص ١١٣ ح ١٧.

(٢) كفاية الأثر: ص ٢٢٧.



في طريقه إلى مكة أو المدينة وقال له: إلى أين يا بن رسول الله ﷺ؟ إن بني أمية سيقتلونك. فأجاب الإمام ﷺ: فيما يُمتحن هذا الخلق^١.

فدورنا أن نقتبس من نور مشعله قدر استطاعتنا لنستضيء به في طريق الهداية ونخلص أنفسنا من الظلمات.

فمن أهم الدروس في سفر واقعة استشهاد الإمام أبي عبد الله ﷺ هو اعتناق النفس من قيود الجهل وحلكة الضلال، وسلوك طريق الهداية، وهو بلا شك هدف عظيم وسامٍ إلى الدرجة التي حملت سيّد الشهداء ﷺ على أن يضحّي بنفسه من أجل بلوغه. وعلاوة على البركات المستفادة من الإمام الحسين ﷺ، تقع علينا مسؤوليتان كبيرتان: المسؤولية الأولى: أن نعمل بما نعلم ونؤمن به، وأن نسعى إلى الاقتراب أكثر فأكثر من أهداف وقيم سيّد الشهداء ﷺ.

لقد أراد الإمام ﷺ أن ينجي العباد - كلّ العباد - من الجهل والضلال والتهيه، فكلمة «عبادك»، لا تخصّ الشيعة وحدهم، بل جميع العباد. لذلك إذا أردنا أن نتقرب منه أكثر علينا أن نبذل كلّ ما نملك في خدمة هذه القضية.

إنّ الإمام الحسين ﷺ استشهد من أجل: أصول الدين، والأحكام الشرعية، والأخلاق الإسلامية. فمن أراد أن يكون على ولائه لسيّد الشهداء ﷺ وأهدافه السامية، عليه أن يسعى في الحفاظ على هذه الأهداف الثلاثة التي استشهد من أجلها الإمام ﷺ وأن يضعها على رأس أولوياته، لتقرّ به عين الإمام الحسين ﷺ والإمام المهدي ﷺ.

(١) اللهوف: ص ٦٧.



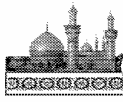
ولنعلم بأنه على قدر هممنا في المضي على هذا الدرب، تكون عنايتهما ولطفهما تجاهنا.

المسؤولية الثانية: هي أن نحث الآخرين على أن ينهلوا من هذا المعين الصافي وتعريفهم بشخصية الإمام الحسين عليه السلام وأهدافه ومبادئه^١. ويجدر بنا بعد أن نتمثل التعاليم القيّمة لسيد الشهداء أن نعلّمها لغيرنا، أي أن نطبّقها وندعو الآخرين إلى تطبيقها.

إنّ معظم الناس ليست لهم اهتمامات بحضور مجالس الوعظ والخطابة أو المجالس الدينية - لأسباب عدّة - أو لنقل إنّ حضورهم قليل ومحدود، من هذا المنطلق يتوجّب على الذين يتردّدون باستمرار على مثل تلك المجالس ويستمعون إلى محاضرات الخطباء والوعاظ ويستفيدون ممّا يطرح فيها من أحكام ومعارف، على هؤلاء أن يسعوا إلى إرشاد الآخرين ووعظهم وأن يرفدوهم بالعلوم والمعارف - ولو جزء يسير - التي تعلّموها من خلال مواظبتهم على حضور مجالس الإمام الحسين عليه السلام.

إنّ كلمة «عبادك» في عبارة «ليستنقذ عبادك» تعلّمنا أن نسعى إلى هداية جميع البشر وليس المؤمنين فحسب، وأن نأخذ بأيديهم نحو القمم العليا في الإسلام والإيمان، إلى الصراط المستقيم الذي هو صراط أهل البيت عليهم السلام.

(١) من الطبيعي أن لا يوجد تسلسل زمني بين هاتين المسؤوليتين - وهما من المسائل الملزمة في الأحكام - بمعنى أنه لا يشترط الانتهاء من المسؤولية الأولى للشروع في تنفيذ المسؤولية الثانية، بل يُمكن تنفيذهما معاً، كما أنّ تنفيذ أيّ منهما لا يغني عن تنفيذ الثانية.



إنّ في أعماق كلّ إنسان - بما في ذلك الظالم والمتعصّب والعاصي والجاهل بمختلف أنماطه - مساحةٌ للهداية وقبول الحقّ، والاستعداد للتحوّل والارتقاء، لذا فإنّ على أتباع الإمام الحسين بن عليٍّ عليه السلام أن يأخذوا بيد هؤلاء ويعينوهم على الخروج من كهف الجهل وظلمته إلى نور الهداية.

لا يستهين أحدٌ منّا بقدراته أو يقلل من قابلياته في هذا المجال، فلكلّ منّا مواهب خلّاقة وإمكانات هائلة مطمورة في ذاته، إذا ما أحسن الاستفادة منها وتوظيفها لوقف على حقيقة قدراته ولمس روائع إبداعاته، ويتجلّى لنا هذا عندما نتأمّل في البيت المنسوب إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

أتزعم أنّك جرمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالم الأكبر^١

فكم من الأمور التي يمكن إنجازها حتى بالقول وحده.

أحد الأشخاص الذين أعرفهم كان يحثّ الناس ويدعوهم إلى تقديم الإعانات المالية لتنفيذ مختلف أعمال الخير، وقد استطاع عن هذا الطريق بناء ٨٠ مسجداً، وهذه مسألة مهمّة يجدر بأهل العلم أن يأخذوها في الحسبان، وهي أنّ لبعض الوسائل كالخطابة والكتابة أثراً كبيراً في جذب الناس واستنفار طاقاتهم وإمكاناتهم قد لا تتوافر في الوسائل الأخرى، لذا ينبغي أن يوجّه أهل العلم منابرهم وأقلامهم لتحقيق هذا الهدف.

وصيّة أخرى إلى الخطباء والذين يرتقون المنابر، وهي أن يختاروا

(١) مجمع البحرين: ج ١ ص ١٢٢، مادة: انسان.



أشخاصاً ممّن يجدون فيهم الأهلية والصلاح لمرافقتهم في هذه المهامّ الجهادية، لأنّ هذه الصحبة ستكون مفيدة من جهة أنّهم سيتعلّمون من سلوك الخطيب وتصرفاته قبل أن يتعلّموا من خطبه وأقواله، ومعلوم أنّ السلوك أقوى في التأثير من الخطاب وأبلغ في التلقّي من المقال - وهذا أيضاً ينطبق علينا تجاه من نعتبرهم مثلنا الأعلى، فنحن نستلهم المعرفة من سيرتهم قبل أن نأخذ الدروس من أقوالهم - .

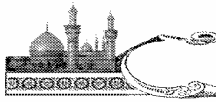
وعلى هذا الأساس، فإنّ هؤلاء الأفراد الذين يصحبونكم سيستفيدون من صحبتكم أكثر. بعبارة: سيقفون على تصرفاتكم بتفاصيلها ودقائقها، وهذا يتيح لهم التعرف على حقيقة أحوالكم وماهيّتكم ومن ثمّ يختصر عليهم طريق التصديق بأقوالكم وآرائكم.

إنّ مسؤولية هداية الناس وإنقاذهم من ظلمات الجهل والضلالة والتهيه، ليست حكراً على أحد بل هي مسؤولية عامة، وهي تعتبر أحد الدروس المستلهمة من سيرة سيد الشهداء عليه السلام.

إنّ تحقيق هذا الهدف يتمّ عبر عدّة أساليب ووسائل، وعلى كل منّا أن يسلك الطريق المناسب للوصول إلى هذا الهدف، وألاً يدّخر جهداً في سبيل ذلك.

٢. معاملة العدو بالحسنى

إن للمدرسة الحسينية عطاءً لا ينفد، ومكاسب لا تبلى، وهي تجسّد عظمة سيّد الشهداء عليه السلام. فالحسين عليه السلام إمامنا ومثلنا الأعلى، فلنرَ ماذا فعل حتى نسلك طريقه ونتبع أثره؟ وهاهنا نستعرض بعض المكاسب التي جادت بها المدرسة الحسينية على الإنسانية، علّنا ننتفع بها في حياتنا:



أحد المآثر التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام هي تقديمه الماء لأصحاب الحرّ الرياحي، فمن هم يا ترى أصحاب الحرّ. إنهم جماعة كلفهم ابن زياد بمهمّة اقتياد الإمام الحسين عليه السلام إليه، وكان عليه السلام قد قال: «حتى لو استسلمت لهم، فلن يتورّعوا عن قتلي».

نعم، إنهم جاءوا لمحاربة الحسين عليه السلام وقتله في حال عدم استسلامه، لكنّ الحرّ رجع إلى نفسه وتاب في يوم عاشوراء بعد الذي بدر منه في البداية، فتاب الله عليه.

والآن لنرَ ماذا فعل أصحاب الحرّ؟ فريق منهم رمى الإمام بوابل من سهامه، وفريق آخر حاربه بالرمح والسيف، وأولئك الذين لم يكن معهم سلاح أمطروه بقطع الخشب والحجارة، كما ساهم بعضهم في قتل علي الأكبر ابن الإمام عليه السلام، ومنهم من رمى أبا الفضل العباس عليه السلام بالسهام. وكان الإمام عليه السلام يعرفهم ويعرف نواياهم، لكن مع ذلك سقاهم الماء، وهنا يمكن أن نسأل: «يا أبا عبد الله لماذا سقيتهم الماء؟». الجواب هو أنّ الله تعالى يريد من الإنسان أن يخدم أخاه الإنسان صالحاً كان أم طالحاً، وهنا أيضاً لا ينبغي أن يقال: لو لم يسقهم لما دخل بعضهم النار معللاً الأمر بأنهم كانوا سيموتون من العطش، وبالتالي لم يكونوا ليشاركوا في محاربتة عليه السلام، لأنّ الله يريد من الإنسان أن يخدم نظيره الإنسان بغضّ النظر عن كونه كافراً أو مسلماً، عادلاً أو فاسقاً، ولكن بشرط أن لا تكون تلك المساعدة علامة على تأييد مسلكهم الخاطيء.

لنحاول تعلّم هذه الدروس من الإمام عليه السلام وأن نستعمل ألسنتنا ومواقفنا في فعل الخير دائماً ومع الجميع دون استثناء، فإذا كان باستطاعتنا التفريج عن كربة مكروب لا نتردد في ذلك، وإذا كان بإمكان

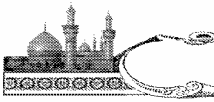


المرء أن يساعد بماله أو لسانه أو التوسّط للمساعدة لصالح من يعرفه أو حتى من لا يعرفه، فليفعل.

لا شكّ في أنّ قتلة الإمام الحسين عليه السلام كانوا شرّاً خلق الله، لكن مع ذلك نرى الإمام عليه السلام نفسه في ذلك اليوم يترجّل عن فرسه ليسقي من ماء قربته أحد أفراد العدو الذي زالت قواه من شدة العطش ولم يقوَ على النهوض، يقول بعض الرواة بأنّ ذلك الشخص كان أحد الذين شاركوا في قتل الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، والإمام عليه السلام نفسه كان يعلم بهذا، ومع ذلك سقاه الماء.

كان بإمكان الإمام الحسين عليه السلام عند لقائه الحرّ وجيشه المنهك العطشان أن يبدهم عن بكرة أبيهم بإشارة واحدة - كما قلنا - خصوصاً أنّه كان أكثر منهم استعداداً وتأهباً وجاهزية للقتال، وكان محتاطاً لكل شيء، وفي المقابل كان أفراد جيش العدو خائرين وعطاشي، ولم يكونوا يقوون على القتال، ولو قدّر لهم أن يشتبكوا لما نجا منهم أحد البتّة، لقد كان أولئك في قبضة الإمام عليه السلام وما كان عليه إلا أن يشدّ قبضته حتى يعصرهم في سويغات قليلة فيقضي عليهم أو يأسرهم في معركة سهلة، لكن ليست هذه من شيم الإمام عليه السلام ونبيل أخلاقه، فقد عاملهم بالحسنى وقدم لهم ولخيولهم الماء ليرتوا.

لقد وقف الحرّ في طريق الإمام الحسين عليه السلام ولم يسمح له بالتقدم معللاً ذلك بأنّه مأمور بالتصدّي لجيش أبي عبد الله عليه السلام ومنعه من التقدم، وعلى الرغم من أنّ الحرّ لم يتعرّض للإمام عليه السلام بسوء لأصالة معدنه ونقاء ذاته، إلا أنّه على أيّ حال كان يُحسب على الأعداء، وكان بمقدور الإمام عليه السلام منع الماء عنه وعن جيشه ليهلكوا جميعاً من العطش،



لأنه كان في حالة دفاع عن النفس، لكنه ﷺ أبى أن يلجأ لمثل هذه الأساليب ومعاملتهم بنفس منطقهم، وأن يبيح لنفسه إهلاكهم بالعطش. فسيرة أئمتنا عليهم السلام سيرة الهداية وإنقاذ الناس.

لقد ضرب الإمام ﷺ مثلاً رائعاً في اللطف والعطف حتى مع أعدائه وكان يأمل أن يهدي به الله ولو فرداً واحداً من جيش العدو وينقذه من شفير الهاوية وعذاب الآخرة.

تنطوي هذه الأحداث والوقائع المروعة والمعبرة في آن معاً على دروس جمّة وعميقة الغور وهي تعتبر بحق مصنع الإنسان، وإن الوقوف عند تفاصيلها مدعاة للوعي والتنوير.

علينا أن نعمل جاهدين لكي نعرف العالم على هذه السيرة المفعمة بمعاني الإنسانية، وأن نثبت لهم بأن الإسلام يختزن في كل لبنة من لبنات صرحه الشامخ مبادئ الرحمة والمروءة والواقعية والإنسانية بكل ما في هذه الكلمات من معان ومفهوم وفي أرقى مستوياتها، ومتى ما استطعنا إيصال تلك التعاليم المضيئة إلى أسمع العالم فإننا قد أنزلنا هدف الإمام الحسين ﷺ «ليستنقذ عبادك» إلى أرض الواقع والتطبيق.

والجدير بالملاحظة أنّ الجهل بهذه التعاليم النورانية لا يقتصر على غير المسلمين في العالم بل أنّ الكثير من المسلمين لا يزالون يجهلون الجزء الأكبر من حقائقها. وهذه التعاليم تتطلب الشرح والتفسير وتنطوي على دقائق وأسرار كثيرة ينبغي لنا أن نعرضها على الناس كما هي.

في رواية صحيحة عن الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ أنه قال لأبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي - وهو من الثقات - : «رحم الله عبداً أحيا أمرنا، فقال أبو الصلت: وكيف ذلك؟ فقال الإمام:



«يتعلّم علومنا ويعلمها للناس، فإنّ الناس لو علّموا محاسن كلامنا لاتبّعونا»^١.

إنّ درجات العلماء ومراتبهم عند الله سبحانه وتعالى وأهل البيت عليهم السلام يوم القيامة تعتمد على مقدار علمهم وجدّهم واجتهادهم في هداية عباد الله وإرشادهم.

حينما نقول مثلاً إنّ فلاناً جادّ في عمله نعني أنّه يسعى في كسب رزقه في كلّ الأحوال والظروف صيفاً وشتاءً، ولا يؤثّر عليه شيء آخر، وكذلك هو الحال مع من يريد أن يتشرف بزيارة بيت الله الحرام فلن يتوانى عن طرق جميع الأبواب وتهيئة مستلزمات هذا الأمر العظيم حتى يوفّق في تحقيقه. وهكذا بالنسبة للعالم المجدّد الذي يسعى في هداية خلق الله فهو لا يترك صغيرة أو كبيرة إلا ولجأ إليها لكي يفوز بهدفه وهو عبودية الناس لله وهدايتهم وما من شك أنّ الله يسدّد خطاه في مسعا.

إذا عقد أهل العلم العزم على هداية الناس وأظهروا الجدّيّة في إيصال رسالة أهل البيت عليهم السلام، عند ذلك نستطيع القول أنّهم قد ارتقوا إلى مستوى المسؤولية وأدّوا ما عليهم، والحقّ أنّ الإمام الحسين عليه السلام سيّد الشهداء لم يجر تعريفه للناس كما يجب وكما هو حقّه باعتباره إمام الحقّ في الدنيا والآخرة وإمام الإنس والجنّ، ولا شك أنّها مهمّتنا جميعاً وبالأخصّ أهل العلم أن تقدّم سيرة الإمام عليه السلام إلى العالم وأن نجسّد مقولة الإمام عليه السلام المعصوم الخالدة المتمثّلة في عبارة «ليستنقذ عبادك» على الواقع.

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ٣٠٧.



نأمل أن نستوعب جميعاً دروس المدرسة الحسينية في الهداية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والثقة بالله تعالى وإظهار المحبة مع الصديق والعدو... وغير ذلك من الدروس القيّمة، وأن نعلّمها للناس، ونجعلها مهمّتنا جميعاً بلا استثناء، إن شاء الله.

٣. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بعد التدبّر بمقولة الإمام عليه السلام الخالدة: «أريد أن أمر بالمعروف»^١، يتّضح أنّ من جملة الدوافع الحقيقية لقيامه عليه السلام هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذي فيه دلالة على أهميّة هاتين المسؤوليتين.

حينما يسعى الانسان في الأمر بالمعروف، فيجب أولاً أن يهيئ المستلزمات العقلية والشرعية التي يتطلّبها هذا الأمر، وأن يعمل على تعبئة جهوده واستنفار طاقاته لهذا الغرض. صحيح أنّ هذه المسألة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) واجب كفاي، أي بقيام أحد المكلّفين بها يسقط تكليفها عن الباقيين، ولكن المشكلة تكمن في إحراز الفرد، قيام أحد بالأمر، ليسقط تكليفه عن الباقيين، ممّا تحتم علينا وكلّ من موقعه التصدّي لهذا الأمر، وذلك لأنّ الجهل بأحكام الإسلام في الواجبات والمحرمات ضارب بأطنابه في أوساط المسلمين.

وكما أنّ القرآن الكريم يتحدّث صراحة عن شكوى النبي عليه السلام من هجر المشركين لكتاب الله حيث تقول الآية: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^٢.

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٢٩.

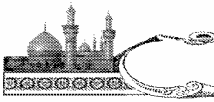
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.



كذلك كان الأمر من كثير من المسلمين بعد إعراضهم عن كتاب الله تعالى وتركهم امتثال جميع أوامره ونواهيه، خصوصاً بعد رحيل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

فالعامل بالقرآن الكريم وعدم هجره لا يقتصر على إقامة الصلاة وأداء الصوم ومناسك الحجّ وشعائره، بل إنّ لعدم هجر القرآن وأداء حقّه على الوجه الأكمل والتزام حدوده معنى أوسع وأشمل ممّا نتصوّر. هناك طيف عريض من الناس ليس لهم إمام بالأحكام المعروفة الواردة في كتب الفقهاء. من هنا تأتي ضرورة مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - طبعاً بشروطها - وتعليم الناس أحكام الإسلام، وإذا كان الإمام الحسين ﷺ قد ضحّى بنفسه الزكية من أجل تثبيت دعائم الإسلام وتطبيق أحكامه، فإنّ أقلّ واجب يقع على عاتقنا هو ألاّ نبخل بتعليم الناس أحكام الإسلام، فلو جرى إطلاعهم على مسائل الشريعة لتحصّنوا - ولو بمقدار - ممّا يعرض لهم في حياتهم. فالسبيل الأمثل لتحقيق هذا الأمر هو تلبية نداء النصر الذي أطلقه الإمام سيّد الشهداء ﷺ وانتشال الناس من أوحال الحيرة وظلمات الجهالة إلى نور الهداية.

أنقل لكم حادثة سمعتها قبل أكثر من ثلاثين أو أربعين عاماً من أحد رجال الدين، قال إنه عزم على السفر إلى الهند في رحلة تبليغية، وقد ذهب إلى قرية هناك كان يعرفها بالاسم، ولكن لم يكن لديه اطلاع واضح عنها ولا عن أهلها، وسرّ أهل القرية كثيراً لمقدم رجل الدين وإلقائه الخطب فيهم، وفي أحد الأيام أقامت إحدى حسينيات تلك القرية مراسيم عزاء سيّد الشهداء ﷺ، وقد ألبست بالسواد، وفي أثناء دخول وقت الصلاة انتبه رجل الدين إلى عدم رفع الأذان في الحسينية



وعندما سئل عن السبب، صُدِمَ عندما عرف أنّ أهل القرية لا يعرفون الأذان ولا حتى الصلاة، بل إنّ الإسلام لمّا يدخل قلوبهم بعد، فهم لا يزالون على كفرهم السابق، عند ذلك ارتقى المنبر وخطب في الناس قائلاً: أيّها الناس، قد جاءكم الإمام الحسين عليه السلام بعدما عرفتموه بقيامه الذي أنار ظلم القلوب، وإنّ لهذا الإمام جدّاً عظيماً صلّى الله عليه وآله ووالدّاً كريماً عليه السلام وأماً طاهرة عليها السلام وأخاً مجتبيّاً عليه السلام يكنّ لهم الإمام عليه السلام حبّاً واحتراماً فائقين، فإن لم يكن هؤلاء قد جاءوا إلى قريبتكم بعد، فهذا هو الإمام الحسين عليه السلام وهو خامسهم قد شرف دياركم بقدمه، فحريّ بكم أن تستقدموا بقية الأسرة الطاهرة الكريمة لتتشرّفوا بهم وتنهلوا عنهم ما حملوا عن ذلك الجدّ العظيم رسول الله محمد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله من ختم رسالات السماء... إلى آخر ما أبان لهم في خطبته المضيئة عن الإسلام والنبيّ وأئمة الهدى عليهم السلام.

وأضاف قائلاً: لقد أطلعتهم على أصول الدين وفروعه من الألف إلى الياء، ممّا كان له أثر كبير عليهم، حيث اعتنق جميعهم أو معظمهم الإسلام. في الحقيقة، إنّ قلوب هؤلاء كانت بمثابة صفحات بيضاء لم يكتب فيها شيء، وحين أضاء نور الإسلام قلوبهم أسلموا له، ولا عجب في هذا، فما تزال الدنيا - برغم ظلماتها وضبابها - تحتوي على صفحات بيضاء ناصعة مهيتة لأن تمتلئ بأحرف من نور سيّد الشهداء عليه السلام إذا ما أشرق عليها. وإذا ما حملنا المسؤولية المتمثلة في هداية الناس وأطلعنا العالم على النهج الحقّ لسيّد الشهداء عليه السلام، فستهوي أفئدتهم إليه لا محالة وسينضوون تحت لوائه.



ومن الضروري أيضاً تعرية النهج التعسفي لبني العباس وبني أمية وإطلاع الناس على الحقيقة المخزية للظلمة أمثال معاوية ويزيد وهارون والمأمون والمتوكل الذين كانوا يقتلون الناس لموالاتهم أهل بيت الرسالة ومعدن العلم آل محمد ﷺ، وعلى الشبهة والظنة. كذلك وفي الوقت نفسه ينبغي أن ننقل الصورة المشرقة لسيرة الإمام الحسين عليه السلام ونهجه مع عدوه الذي كان في قبضته والذي كان بإمكانه القضاء عليه بإشارة واحدة لكنه أبى إلا أن يُحسن معاملته وأن يسقيه وخيله من الماء. فإذا أحسننا القيام بواجبنا في تقديم الصورة الناصعة لأهل البيت عليه السلام إلى بقية الأمم واطّلع الناس عليها، فإنهم سيعتقدون بهم وبنهجهم، وسيزدادون بعداً عن الظلمة والمستبدين ومن إليهم.

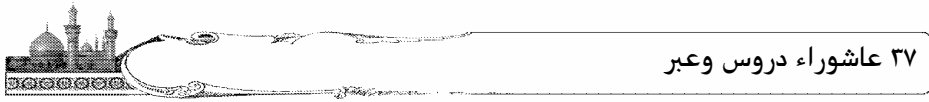
٤ . الثقة بالله

على كل فرد منا أن يمضي في طريق الأهداف التي بذل الإمام الحسين مهجته في سبيل تحقيقها، وأن نتخي جميعاً لتلبية النداء الذي أطلقه. لقد قال عليه السلام في يوم عاشوراء:

«اللهم أنت ثقتي في كل كرب»^١.

وللفظة «ثقة» هنا مفهوم عميق، ولربما نستطيع أن نبين معنى قول الإمام عليه السلام هذا في ضوء المعنى العميق الذي تكتنزه لفظة (ثقة) على النحو التالي: «اللهم أنت سندي واطمئناني وإيماني واعتمادي». و«الكرب» أيضاً معنى دقيق وقد اختير من بين المفردات التي تعني

(١) الإرشاد: ج ٢ ص ٩٦.



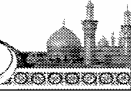
الانكماش والاضطراب والحزن. وفي تقديم الضمير هنا دلالة خاصة تتمثل في الحصر والتخصيص، فيكون المعنى الإجمالي للعبارة: إلهي أنت وحدك مدعاة سكوني واطمئناني عند عظيم الكربة وفرط الغم، وأنت من يهدئي خاطري ويسكن روعتي.

والحقّ أنّ فصحاء العرب لم يشهدوا من قبل مثل هذا البيان والترتيب الباهر للألفاظ لتفيد هذه المعاني الراقية والغايات السامية.

إنّها مسألة في غاية الأهمية أن يثق الإنسان بالله ويعتمده، وهي في ذات الوقت صعبة المنال لكنّها ليست بالمستحيلة فهي ممكنة بالجدّ والاجتهاد. فلو وثق الإنسان برّبّه، سيبلغ لا محالة مرحلة التكامل ويحلّق في رحبة الآفاق الروحية.

في أغلب الأحيان عندما نعمل عملاً صالحاً نتوق أنفسنا إلى أن يطّلع عليه الآخرون، حتى لو تعاملنا بدهاء لكي نخفي ما جُبلت عليه أنفسنا وحاولنا أن نغطّي على عُجْبها وزهوها، وتظاهرها بعدم اهتمامنا بهذا الأمر، ستبقى في أعماقنا بقايا رغبة تدفعنا إلى إطلاع الآخرين على إنجازاتنا ونقول في أنفسنا ليت فلان حاضراً ليشهد ما أصنع. فإذا ما وضع الإنسان ثقته بالله وكان موثلاً اعتماده، كبرت روحه، واتّسع أفقه، وعند ذاك سيطرّح عنه هذه الصغائر النفسيّة.

لقد أطلق الإمام الحسين عليه السلام، نداءه هذا في لحظات عصيبة افتدى فيها بكلّ ما يملك في الظاهر من هذه الدنيا من إخوة ومال وبنين، وكلّ شيء، وكان هو نفسه مثخناً بالجراح وملقى على الرمال الحارقة في أرض كربلاء التي عفّرت جسده الطاهر وهو ينزف دماً زكياً، في تلك البرهة التي سقط إخوته وأبناؤه وجميع أصحابه الأوفياء مضرّجين



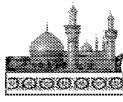
بالدماء، ولم يتبق إلا أهل بيته وعياله الذين كانوا يتابعون المشهد المأساوي بصبر وألم، في هذا الخضم الهائج من البلايا وأمواج المصائب العاتية يتوجّه الإمام عليه السلام إلى الله ليؤكد ثقته به: «اللهم أنت ثقتي في كلِّ كرب»، إنها حقاً تبرز أنه عليه السلام كان ممسوساً في ذات الله تعالى حين يطلق هذا القول وسط غبار المعركة المتصاعد واشتداد أوارها، وهو ما دعا أحد الرواة الشهود على واقعة كربلاء لأن يصف رباطة جأشه وقوة عزمه عليه السلام بما يلي:

«... فوالله ما رأيت مكثوراً قطّ قد قُتل ولده وأهل بيته وصحبه أربط جأشاً منه...»^١

ثمّة أناس لم يستوعبوا جيداً معنى التوكّل، حيث يتصورون أنّ التوكّل يعني تركهم للأفعال الواجبة واليومية المتداولة، ويعتقد هؤلاء بتعارض فكرة التوكّل مع الأخذ بالأسباب الدنيوية الطبيعية وأنّ أمور المتوكّلين الدنيوية والمعاشية تتأتى عن طرق غيبية غير متداولة، وليس عليهم أن يبذلوا الجهد لتهيئة أسباب معيشتهم وتحسين أساليب حياتهم. لكن التعاليم الإسلامية تفند هذا التصور. إنّ عبارة «اللهم أنت ثقتي في كلِّ كرب» لا تعني بأيّ حال من الأحوال أن يقفز الإنسان على قوانين الدنيا ويترك الجِدَّ والاجتهاد، جاء في القرآن الكريم: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^٢، فالتوكّل يعني أنّه في الوقت الذي يبذل الإنسان جهده ويأخذ بأسباب الدنيا المتاحة، عليه أن يضع ثقته في التقدير الإلهي ويعتمد على الله سبحانه وتعالى اعتماداً مطلقاً، ويرضى بما قسم له.

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٥٠.

(٢) سورة النجم، الآية: ٣٩.



من المعلوم أنّ سيّد الشهداء قد أعدّ ليوم عاشوراء كل الأسباب والمستلزمات الضرورية بالتوكّل على الله، ويروى في هذا الشأن أنّ قافلته كانت تحتوي بالإضافة إلى الأبقار والأغنام، ٢٥٠ من الإبل، كما ورد في بعض النصوص التاريخية أنّ سيّد الشهداء عليه السلام قد حطّ رحاله على أرض كربلاء بمعيّة ألف وخمسمئة شخص، ومعلوم أنّ تهيئة الطعام والماء لهذا العدد من الأشخاص بالإضافة إلى ٢٥٠ من الإبل ومعها الأبقار والأغنام ليس بالأمر السهل.

قبل أن يلتقي الإمام الحسين عليه السلام بالحرّ الرياحي وصل إلى مكان فيه ماء فأمر أصحابه أن يستقوا من الماء، وفي المقابل كان الحرّ يقف مع جنده الذين بلغوا زهاء الألف وقد غرز العطش مخالبه فيهم وفي خيولهم، حول هذه الواقعة، يروي لنا التاريخ: «فقال الحسين لفتيانه: اسقوا القوم واروهم ورشّفوا الخيل ترشيفاً»^٢.

علاوة على شدة حرارة الجو، كان يجب إرواء الخيل والإبل التي تشرب عشرة أضعاف كمية الماء التي يشربها الإنسان، من هنا يتّضح لنا بأنّ الإمام عليه السلام كان يحمل معه كمية كبيرة من المياه استطاع أن يسقي بها ١٥٠٠ من المقاتلين وسائر أفراد القافلة و ٢٥٠ من الإبل، بالإضافة إلى سقاية ١٠٠٠ مقاتل من جيش الحرّ مع خيولهم، ما يعني أنّ الإمام عليه السلام قد أعدّ لمحاربة العدو كل مستلزمات القتال من عدّة وعدد، واحتاط للأمر بما يتناسب مع حجمه وأهميته.

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢ ص ٧٨؛ بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٧٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٧٦.



يتبين ممّا قيل، أنّ عبارة «اللهم أنت ثقّتي في كلّ كرب» لا تعني بأيّ حال من الأحوال أن يترك الإنسان العمل والمثابرة ويركن إلى الكسل، بل أن يعدّ لكلّ شيء في هذه الدنيا عدّته ويهيئ أسبابه، وأن يسعى في حلّ المسائل بالطرق المشروعة، دون أن يستغني عن التوكّل على الله وأن ينيب إليه في جميع أموره وأن يلجأ إليه وحده دون غيره. نستخلص ممّا تقدّم أنّ لكلّ من التوكّل والعمل مكانته وأهميته الخاصّة به، وهما ينسجمان مع بعضهما ويكمل بعضهما الآخر.

ذكر الحسين عليه السلام ذخر ليوم الحساب

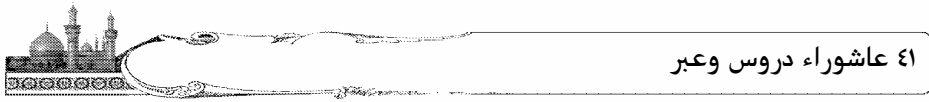
روي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة الحسين بن علي عليه السلام، فأما يوم القيامة فإنما هو بعث إلى الجنة وبعث إلى النار»^١.

كلنا سنرحل عن هذه الدنيا وسنحاسّب على أعمالنا في ثلاث محطات - أعاننا الله عليها - حيث نُقل في بعض الروايات أنّه عند الموت، يوتى بروح الإنسان لتُسأل، وحسب الرواية فإنّ الجسد لا يرفع من مكانه ما لم يتمّ الانتهاء من الحساب. وهناك حساب ثانٍ قبيل يوم القيامة، وثالث في يوم القيامة. وتصرّح الرواية المذكورة بأنّ حساب البرزخ للمؤمن والكافر فرادى وجماعات هو من اختصاص الإمام الحسين عليه السلام فقط.

إذاً كلّنا سنواجه الإمام عليه السلام وسنكون مسؤولين أمامه، وقد خصّه الله

(١) بحار الأنوار: ج ٥٣، باب الرجعة: ص ٤٣ ح ١٣.



جلّ وعلا بخصوصية لم يخصّ جدّه أو أباه أو أمّه أو أخاه بها - مع أنّهم جميعاً يفوقونه في المنزلة - هذه الخصوصية هي في حسابه للخلق قبل يوم القيامة.

إذا علينا أن نتزوّد ليوم الحساب مادامت الفرصة سانحة، حيث يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«فإنّكم لو قد عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم»^١.

وفي رواية أخرى له:

«فإنّ اليوم عمل ولا حساب، وإنّ غدّاً حساب ولا عمل»^٢.

لا يستطيع الإنسان يومئذ إضافة حسنة واحدة لصحيفة أعماله ولا محو سيئة واحدة منها.

لهذا، وبسبب انقطاع الإنسان عن العمل في الدار الآخرة - من ذكر ينفعه أو حسنة تضاف له - تراه يتحسّر على كلّ لحظة من لحظات حياته، لم يستزد من عملٍ صالحٍ أو يقلع من ذنبٍ، وما إلى ذلك.

عاشوراء والأحكام الاستثنائية

لقد خصّ الله سبحانه وتعالى الإمام الحسين بامتيازات دون غيره، فمثلاً: ورد في روايات عدّة ما يشير إلى: كراهة الصلاة بلباس أسود، لأنّ السواد يقلّل من ثوابها، كما يكره الطواف بلباس أسود، ويكره أيضاً الجزع على الميّت وهو غير الحزن والبكاء، فالجزع يعني العويل على الميّت، أو الضرب على الرأس واللطم على الوجه، لكنّ الجزع ولبس

(١) نهج البلاغة: ص ٦٢ الخطبة ٢٠.

(٢) أصول الكافي: ج ٨ ص ٥٨.



السواد على الإمام الحسين عليه السلام ليس غير مكروه فحسب، بل كما قال بعض العلماء هو مستحب أيضاً. فالامتيازات التي خصَّ الله تعالى بها الإمام الحسين لم يشرك معه غيره من المعصومين عليهم السلام بها، وبعض الأمور التي تكره في مواضع أخرى قد تكون غير مكروهة إذا كانت في سبيل الإمام الحسين عليه السلام بل تُعدّ فضلاً وثواباً.

روى الشيخ في المصباح، عن عبد الله بن سنان قال: دخلت على سيدي أبي عبد الله جعفر بن محمد في يوم عاشوراء فألفيته كاسف اللون ظاهر الحزن ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط. فقلت: يا ابن رسول الله ممّ بكأوك، لا أبكى الله عينيك؟ فقال لي:

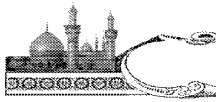
أو في غفلة أنت؟ أما علمت أنّ الحسين بن علي أصيب في مثل هذا اليوم؟ قلت: يا سيدي فما قولك في صومه؟ فقال لي:

صمه من غير تبييت وأفطره من غير تشميت، ولا تجعله يوم صوم كمالاً وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء فإنّه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله وانكشفت الملحمة عنهم وفي الأرض منهم ثلاثون صريعاً في مواليتهم يعزّ على رسول الله مصرعهم ولو كان في الدنيا يومئذ حياً لكان عليه السلام هو المعزّى بهم.

قال: وبكى أبو عبد الله عليه السلام حتى أخضلت لحيته بدموعه ثم قال:

«إن الله عزّ وجلّ لما خلق النور خلقه يوم الجمعة في تقديره في أول يوم من شهر رمضان وخلق الظلمة في يوم الأربعاء يوم عاشوراء في مثل ذلك اليوم يعني العاشر من شهر المحرم في تقديره وجعل لكلّ منهما شرعةً ومنهاجاً...»^١.

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٣٦، سائر ما جرى عليه عليه السلام: ح ٣ ب ٣٧.



فإنه تعالى قد أكرم الإمام الحسين عليه السلام بقائمة طويلة من الامتيازات. وعلى هذا الأساس، فأولئك الذين يتحملون قسطاً أكبر من الشدائد والصعاب في سبيله، الذي هو سبيل الله تعالى، سيغبطهم غيرهم ويتحسّر عليهم.

إنّ مثل الآخرة كمثل أسواق الدنيا، من يعمل ويكدّ أكثر، يكون ربحه في نهاية الموسم أكبر، ومن كان عمله أقلّ كان ربحه بطبيعة الحال أقلّ من غيره، مع فارق واحد وهو أنّ كلّ ما يجمعه الإنسان في سوق الدنيا - قلّ أو كثر - هو متاع قليل، بينما الخدمة لسيد الشهداء عليه السلام هي الثروة الأكثر التي يستطيع الإنسان أن يأخذها معه لآخرته.

يقول الإمام الحسين عليه السلام مخاطباً أصحابه: «الدُّنْيَا حُلُوها وَمُرُّها حُلْمٌ»^١.

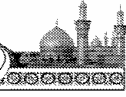
أحياناً يرى الإنسان أحلاماً سعيدة، لكن ما أن يتبسه من نومه حتى يتحسّر على كونها مجرد أحلام، وبالعكس حينما يرى كابوساً، يفرح حين يرى أنّه كان حلماً لا حقيقة، وبالنسبة لنا عندما ننتقل إلى الآخرة سنرى بأنّ الدنيا لم تكن إلّا حلماً وانتهى، لكنّ الخدمات التي تقدّمها في طريق محبة الإمام الحسين عليه السلام، تبقى، وكلّما كانت هذه الخدمات أكثر وأكبر كانت فرحتنا أعظم.

جزاء قتلة سيد الشهداء

نقل صاحب كتاب كامل الزيارات (وهو من المصادر المعتمدة والقيمة لدى الشيعة) خبراً مفاده أنّ كلّ من شارك في قتل الإمام سيد الشهداء عليه السلام ابتلي بأحد الأمراض الثلاثة: الجنون والجذام والبرص.^٢

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥ ب ٣٧ ص ٩٠ ح ٢٩.

(٢) راجع كامل الزيارات: ص ٦٢ ب ١٧ ح ٨.



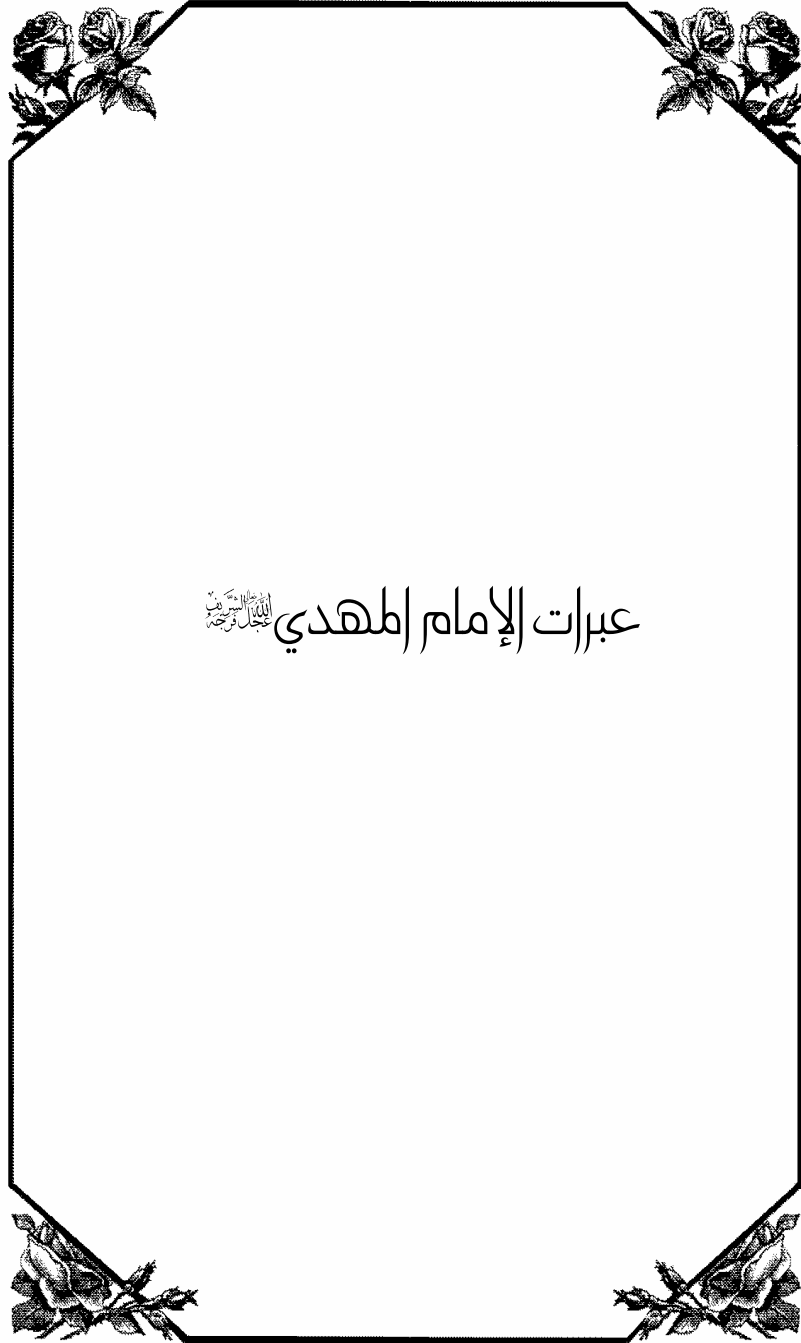
يفيد الخبر أيضاً: أنّ هذه الأمراض قد انتقلت إلى ذريّاتهم من بعدهم، على الرغم من أنّهم لم يكونوا في عصر ارتكاب الجريمة، إلا أنّ ذلك من عواقب فعل آبائهم في قتل الإمام الحسين عليه السلام. وهذه مسألة تكوينية. كما نقرأ في (كامل الزيارات) أيضاً: أنّ قتلة الإمام الحسين قد قُتلوا جميعاً، ولم يمت أيّ منهم ميتة طبيعية. في هذا السياق يقول الإمام الباقر عليه السلام:

«والله لقد قُتل قتلة الحسين ولم يُطلب بدمه بعد»^١.

والله تعالى لم يرض بعد، لأنّ للإمام الحسين مكانة في الملائكة الأعلى، عظيمة جداً.

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا جميعاً لخدمة شعائر الإمام الحسين. ووصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) كامل الزيارات: ص ٦٣ ب ٨٨ ح ٢.



عبرات الإمام المهدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَظَّمَ اللَّهُ أَجُورَنَا وَأَجُورَكُمْ بِمَصَابِنَا بِسَيِّدِنَا الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ
وَجَعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ الطَّالِبِينَ بِثَأْرِهِ مَعَ وَلِيِّهِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ مِنْ آلِ
مُحَمَّدٍ ﷺ. *

الناحية المقدّسة ووصف المصاب

يقول بقیة الله الأعظم الإمام الحجّة المنتظر ﷺ في زيارة الناحية
المقدّسة، مخاطباً جدّه أبي عبد الله الإمام الحسين:
«فلما رأين النساء جوادك مخزياً».

فيصف حالة جواد الإمام وقد نظرت إليه النسوة من آل البيت ﷺ
عند وصوله إلى المخيم بلا فارس وكأنّه يخبرهنّ بالفاجعة العظيمة،
فرأينه (أي الجواد) مخزياً: تبدو عليه علامات الأسى، مطأطئاً رأسه
حزيناً وكأنّه يحسّ بالتقصير بسبب عجزه عن إغاثة مولاه الإمام الحسين.
ثمّ يمعن ﷺ في الوصف قائلاً:
«ونظرن سرجك عليه ملوياً».

مشيراً لما جرى على الإمام من خلال وصف حالة الجواد.
فالسرج هو ما يوضع على الفرس لجلوس الراكب، ويوثق بالجواد
بكلّ استحكام لئلا يقع الراكب من الفرس حين عدّوه، وإذا ما وقع
الفارس من جواده دون اختياره يلتوي السرج إلى الأسفل.
ويستمرّ الإمام ﷺ فيصف ما آل إليه الأمر من حال النساء بقوله:

(* ترجمة جانب من حديث سماحته ﷺ، ليلة الحادي عشر من المحرمّ عام ١٤٢٥هـ في
جموع المعزّين.



«فبرزن من الخدور ناشرات الشعور».

الخدور: جمع خدر، وهو - في اللغة - ما يتوارى به، والخادر: كل شيء منع بصراً فقد أخدره، ولذلك يُطلق على الظلمة خدرًا، فالخدر إذاً هو الستر الذي لا يكشف؛ فيكون معنى هذه العبارة: أن بنات الرسالة قد خرجن من خبائهن الشديد الستر.

أما قوله ﷺ: «ناشرات الشعور» فيمكن تصويره كالتالي: كان من المتعارف عند العرب سابقاً أن المرأة إذا فقدت عزيزاً عليها تبقى فترة من الزمن محزونة لمصابه، لا تفعل حتى البسمة، لفقده، علاوة على هذا فإنها وفي ظروف كهذه تفتح ضميرتها - مع مراعاة الستر والحجاب - كعلامة لشدة المصيبة، وما زالت هذه العادة موجودة في العراق وربما في مناطق عربية أخرى أيضاً. وليس المراد من العبارة كما قد يتصور بعض الناس أن المخدّرات خرجن من الستر ورؤوسهن مكشوفة - والعياذ بالله - .

إذاً فيكون معنى «ناشرات الشعور» فتح الظفائر تحت المقانع لشدة المصاب، بعد أن ربطن المقانع على رؤوسهن بإحكام امتثالاً لأمر أبي عبد الله ﷺ، فقد أوصاهن بذلك لكي لا يذهلن عن حجابهن من شدة المصيبة وهول الفاجعة.

يصور الإمام بعد ذلك حالتهم بقوله:

«على الخدود لاطمات وبالعويل داعيات».

حقاً: إن كل كلمة في هذه الزيارة تعبّر عن مصيبة عظيمة. فتارة يدعو الإنسان شخصاً، وأخرى يناديه برفيع صوته، وكلاهما لا يقال له عويل، إنما يكون العويل حينما يبكي الإنسان ويصيح برفيع صوته. وهذا معناه أن العلويات خرجن من المخيم إلى مصرع سيّد الشهداء - ولم تكن المسافة بينهما بعيدة - وهنّ مهرولات باكيات يصرخن بأصواتهن



مناديات: وامحمداه، واعلياه، وافاطمتاه، واحسناه، واحسيناه، واجعفراه، واحمزتاه، ولسان حالهن: يارسول الله إحضر اليوم في كربلاء، وانظر ما جرى علينا، وأنت يا أبتاه يا أمير المؤمنين احضر وانظر حالنا. ثم إنه عليه السلام قال:

«وإلى مصرعك مبادرات»

فقد تسابقت العلويات صغارهنّ وكبارهنّ إلى مصرع سيّد الشهداء ولا يُعلم لماذا أسرعن؟ فربما أسرعن ليدركن لحظة من حياة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام أو أسرعن لشدة اللوعة أو لغير ذلك.

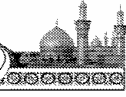
في عصر اليوم العاشر من المحرم وتحت وطأة الغبرة وشدة المحنة أرسل عمر بن سعد لعنه الله الرؤوس الشريفة نحو الكوفة، وبات هو وجماعته وكذلك بقيّة أهل البيت في كربلاء، وفي ظهر اليوم الثاني سيقّت السبايا من كربلاء إلى الكوفة، والمسافة - كما ينقل المؤرّخون - ثلاثة منازل أي ما يعادل مسير ثلاثة أيام.

لقد أمر ابن سعد - كما روى المؤرّخون، ومنهم صاحب البحار - أن تتحرك قافلة الأسارى عصر يوم الحادي عشر نحو الكوفة فوصلت إليها صباح اليوم الثاني عشر؛ ممّا يدلّ على شدة السرعة التي سيقوا بها. وقد أشار بقيّة الله الأعظم عليه السلام إلى حال سبي العلويات مخاطباً جدّه قائلاً:

«وسبي أهلك كالعبيد وصُفِّدوا في الحديد»

فقد قادهنّ القوم كما كان المشركون يقودون عبيدهم فتنكروا لما كان من رسول الله وأمير المؤمنين عليهما في معاملة أسراهم المشركين بإنسانية ورفق.

لقد خرج المشركون في بدر وغيرها لمقاتلة النبي صلّى الله عليه وآله وقصدوا بذلك



قتله، وعندما أُسر بعضهم في إحدى المعارك لم يستطع النبي ﷺ أن ينام طيلة تلك الليلة بسبب أنين واحد منهم، أمّا بنو أمية فقد أسروا ذرية النبي ﷺ ولم يرقوا لحالهم أبداً.
أما الصفد فهو أن تُغلّ يدا الإنسان إلى عنقه أو إلى الخلف بالأغلال وتُجعل القيود حول جسده ثم تقفل.

نعم، بمثل تلك الحال ساقوا أهل بيت النبي من كربلاء إلى الكوفة في ليلة واحدة، فقد قيّد أتباع يزيد جميع العلويّات بالأغلال بما فيهم العلويّات الصغار والأطفال، وكان من ضمنهم الإمام الباقر وطفلان للإمام المجتبي، فضلاً عن الإمام السجّاد عليه السلام أجمعين.
أمّا الحالة التي سيقّت بها قافلة الأسارى فقد أشار إليها الإمام الحجّة بقوله: «فوق أقتاب المطيات».

فإنّ الذي يركب الفرس أو الحمار أو غيرهما من الدوابّ عادةً لا يحتاج إلى محمل أو غيره لأنّ ظهور هذه الحيوانات مستوية، وإن كان يفضل أن يوضع على أظهرها قماش وما أشبهه، أما بالنسبة للجمال فالأمر يختلف تماماً؛ لأنّ أظهرها غير مستوية، ولذلك يضعون عليها القتب المعمول من الخشب ويربطونها جيّداً لئلا يقع الراكب، ثمّ يضعون على الأقتاب فراشاً ليجلس الراكب عليه بلا ألم.

يُنقل أنّ ابن سعد اتخذ لنفسه وأصحابه هودج أعدّوها لنوقهم، أمّا الجمال التي أركب عليها أهل البيت فكانت أقتابها مجردة حتى من أبسط شيء يمكن أن يحمي راكبها إذا اعتلاها.

يعبر العلامة المجلسي في (البحار) عن حال أهل البيت بما فيهم النساء والأطفال قائلاً: وأفخاذهم تشخب دماً.

فمن الطبيعي أنّ الجمال حينما تجدد في السير، وراكبوها على هذه

الحالة تشخب أفخاذهم دماً؛ فقد عزم الظالم على إيصالهم إلى الكوفة على أشد ما يكون الإيلام.

ثم يمعن الإمام عليه السلام في وصفه، قائلاً: «وأيديهم مغلولة إلى الأعناق». ولو لاحظتم كتب المقاتل تجدون أن عمر الإمام السجّاد عليه السلام كان آنذاك قد تجاوز العشرين عاماً أي إنه كان شاباً ولم يكن حدثاً، حتى ينقل أن ابن زياد أمر أحد الشرطة - وآه من شرطة الظلمة - أن يذهب ويرى الإمام السجّاد عليه السلام فإن وجده شاباً قطع رأسه ولكنه عندما رآه لم يفعل؛ ممّا يدلّ على أن الإمام عليه السلام قد نحلّ بدنه وذاب جسمه إلى درجة، بحيث تصوّر الظالم أنه دون سنّ الشباب، نتيجة لما مرّ عليه عليه السلام من الأهوال وعظم المصائب التي رآها في كربلاء فضلاً عن الطريق الذي قادوهم فيه وأيديهم مقيّدة إلى أعناقهم من كربلاء إلى الكوفة. حتى أن أوداج الإمام السجّاد عليه السلام كانت تشخب دماً من أثر الأغلال والقيود التي قيّدوه بها طيلة المسير. فمن عصر اليوم الحادي عشر إلى صباح اليوم الثاني عشر كان الأعداء يسرون بأهل البيت عليهم السلام مقيّدين والدماء تنزف منهم.

حزن الإمام على جدّه

ولن تسكن لوعة الإمام الحجّة عليه السلام، أو تهدأ ندبته على ما آل إليه حال جدّه الحسين عليه السلام كما وصف نفسه الشريفة في دعائه المعروف بـ «دعاء الندبة» حين يخاطب جدّه قائلاً: لأندبّك صباحاً ومساءً.

الندبة تعني البكاء بحرقة ولذع من الحزن. ليت شعري ماذا يتذكّر الإمام الحجّة؟ وأيّ مصيبة من مصائب جدّه يستحضر بحيث إنه لا يفتر ولا يكلّ أبداً.



إنّ الإنسان المفجوع يهدأ ويسكن تدريجياً، أمّا الإمام الحجّة عليه السلام فلن يهدأ وسيظلّ يندب جدّه ليل، نهار. بل ارتقى في أساه، حين قال:
ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً.

إنّ من يفقد عزيزاً له ويبكي عليه مدّة بشدة تحمرّ عينه وقد تخرج منها قطرة من الدم؛ إلا أنّ إمام العصر عليه السلام يخاطب جدّه ولسان حاله:
سأبكي عليك يا جدّاه بكاءً شديداً متواصلًا، بل حتى إذا جفّت دموعي، صبّت مقلّتي عليك دماً.

وهذا معناه أنّ الإمام الحجّة يبكي على جدّه الحسين عليه السلام بحرقه وألم كلّ يوم وليس فقط يوم عاشوراء؛ إذ أنّ مصيبة سيّد الشهداء وأهل بيته مصيبة استثنائية، وشاءت إرادة الله سبحانه أن لا يكون لها نظير في الكون منذ الأزل وإلى يوم يُبعثون.

دروس من الرضا والتسليم

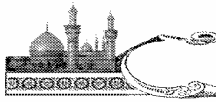
حينما خاطب ابن زياد، العقيلة زينب عليها السلام: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ نراها أجابته: «ما رأيت إلاّ جميلاً»^١.

فلم يُسمع لأهل البيت بما فيهم النساء والأطفال - فضلاً عن الإمام السجّاد والإمام الباقر عليهما السلام - ولو كلمة واحدة تُسخط الله تعالى رغم عظم المصائب التي رأوها.

ولا سُمع أنّ أهل البيت عليهم السلام تضجّروا أو تأسّفوا لما ضحّوا به أو حتى شكوا ما جرى عليهم من قتل وتشريد وسبي ونفي وتحريق.

نعم، إنّ الإمامين السجّاد والباقر عليهما السلام كانا معصومين، وإنّ السيّدة

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١١٥ ب ٣٩.



زينب كانت عالمة غير معلّمة ولكن الأطفال الصغار الذين كانت تتراوح أعمارهم بين الثلاث والأربع وبقية النسوة لم يكونوا كذلك، ومع ذلك فلم تصدر منهم كلمة لا تُرضي الله تعالى، الأمر الذي زاد من رفعة شأنهم حتى حظوا بالقرب من الله تعالى في كل شيء حتى على مستوى الإجابة والإحسان لمن يلوذ بهم، وفي هذا درس وعبرة لنا.

انظروا اليوم إلى مقام طفلة سيّد الشهداء عليه السلام، السيّد رقية في الشام - مركز بني أمية حتى اليوم - ولاحظوا كثرة الوافدين على زيارتها بغية التزوّد من سنا مجدها وعزّها، فضلاً عن طمعهم بكرمها في قضاء حوائجهم، رغم مرور أكثر من ألف وثلاثمائة وخمسين سنة على وفاتها.

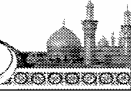
دورنا تجاه الشعائر

لنستفد من بركات سيّد الشهداء عليه السلام بقدر الإمكان، وذلك من خلال المشاركة في مجالس العزاء وإحيائها، ولنعمل على عقد هذه المجالس في بيوتنا فإنها تجلب بركة الدنيا والآخرة.

إنّ كل من يقيم مجلساً سواء للرجال أو للنساء، وفي محرّم أو في صفر، وفي عاشوراء أو في غيره، كل ذلك يجلب البركة؛ لأنّ ذكر أهل البيت عليهم السلام يجلب البركات ومنها سلامة الذريّة. فالذي يريد أن تكون ذريّته صالحه عليه أن يجلب البركة في بيته، بإقامة مجالس ذكر أهل البيت، كل حسب قدرته وإمكانيته.

وإذا استطاع أحدكم أن يقيم المجالس يوماً فإنّ لذلك فوائد كثيرة، أما إذا لم يتمكّن من ذلك كل يوم فلا بأس في كل أسبوع أو كل شهر أو حتى مرّة في السنة.

فاسعوا أيّها الإخوة الأعزّاء أن توقدوا في بيوتكم مصباح سيّد الشهداء وذلك من خلال إقامة مجلس العزاء على مصابه عليه السلام. هذا المصباح



ورغم محاولات الأعداء الكثيرة التي أرادوا بها أن يطفئوا نوره قد بقي منيراً على مدى أربعة عشر قرناً، وسيبقى منيراً إلى يوم القيامة.

البشرية كلها ممتحنة بقضية عاشوراء

إنّ قضية عاشوراء ستبقى إلى يوم القيامة وسيُمتحن فيها الملايين من البشر.

إنّ الامتحان بقضية عاشوراء ليس اليوم فقط أو في عاشوراء عام ٦١هـ وإنما كان من قبل. فقد امتحن نبيّ الله نوح وإبراهيم الخليل عليهم السلام. وكذلك نحن جميعاً نمتحن، ولذلك لا بدّ أن نحذر ونحتاط فلا نسيء إلى شيء من قضايا سيّد الشهداء، فإنّ الله تعالى يعفو عن معصية العبد بحقه أسرع من عفوه عن التقصير في حقّ سيّد الشهداء، وهذا نظير ما في الرواية أنّ الله تعالى ينظر إلى زوّار قبر أبي عبد الله يوم عرفة قبل أن ينظر إلى زوّار بيته الحرام.

انظروا لما حدث اليوم^١، فهل سيمتنع بسببه الزوّار من المجيء ثانية إلى قبر سيّد الشهداء؟ وهل تصوّر الأعداء أنّ أفعالهم ستعيق الناس عن زيارته عليه السلام؟

لقد التقيت بالعديد من المظلومين في العراق، فكان بعضهم يقول: فقدتُ أولادي الخمسة ولا أعلم عن مصيرهم شيئاً، وغير ذلك من قتل الشباب وانتهاك الأعراض والتجرّي على العلماء، ومع كلّ ذلك لم يتراجع الموالون عن قضية سيّد الشهداء ولن يتراجعوا إلى يوم القيامة. إنّه لمن سعادة المرء أن يقيم مجلساً لسيّد الشهداء وإن لم يحضره إلاّ

(١) في عاشوراء ١٤٢٥ في كربلاء.



القليل ولم يقدم فيه إلا اليسير، فهو عند الله عظيم، فضلاً عن دفعه لبلاء الدنيا والآخرة.

أما الذين لم يوفّقوا لذلك فليصمّموا من اليوم أن يقيموا في بيوتهم مجالسه عليه السلام.

لنجعل أبناءنا في خدمة أهل البيت عليهم السلام

إنّ دنيا اليوم تختلف عن السابق، فالיום إذا وقعت حادثة بسيطة في كربلاء مثلاً، لا يمرّ عليها خمس دقائق حتى يصل خبرها إلى أقصى أطراف العالم بسبب وسائل الإعلام.

وكما تعلمون إنّ تعداد البشرية اليوم ستّة مليارات نسمة، كثير منهم لا يعرف الإمام الحسين بل ربّما لم يسمع بعضهم به، وإذا ما سمعوا به، فإنّهم لا يعرفونه، كما تعبّر الروايات «عارفاً بحقّه». ولذا فإنّ مسؤوليتنا - نحن العارفين بحقّ سيّد الشهداء عليه السلام - أن نوصل صوته إلى البشرية كلها ونعرفها به. وأبسط ما يمكن القيام به في هذا المجال مثلاً هو جمع مقدار من الأموال وافتتاح موقع على بريد الشبكة المعلوماتية (الانترنت) وبواسطته نعرّف سيّد الشهداء عليه السلام للعالم؛ تمهيداً لدخول الآلاف بل الملايين على الموقع، علّهم يهتدوا على أثره.

من جانب آخر، اسعوا أن يكون في بيت كلّ واحد منكم خادم للإمام الحسين، ومن كان عنده عدّة أولاد فلينذر أحدهم خادماً في طريق سيّد الشهداء وطريق الإمام المهدي عليه السلام. وذلك عن طريق تعلّمه علوم أهل البيت عليهم السلام ليعلّمها للناس.

وينبغي لكم أن ترغّبوهم في ذلك إن لم تكن لهم رغبة في هذا الطريق، ولا تجبروهم عليه، وذكّروهم بالمرحوم الشيخ عبد الزهراء الكعبي الذي لا يزال صوته وهو يقرأ مقتل الإمام الحسين يُسمع في كثير



من الأماكن، حتى في أوربا حيث بلغنا أنهم يبشون مقتل الإمام الحسين عليه السلام بصوته عليه السلام رغم مرور ثلاثين عاماً عن رحيله.

لقد رأيتته هو وبعض أقربائه بما فيهم والده رحمة الله عليهم وقد ذكروا أنهم سمّوه بهذا الاسم لأن ميلاده كان في يوم ميلاد الصديقة الزهراء عليها السلام، كما أن شهادته بالسمّ - على ما نقل - صادفت يوم شهادتها عليها السلام.

فاسعوا لأن يكون في بيتكم مثل هذا الصوت الذي يستمع إليه الملايين من الناس، فلو كان الشيخ عبد الزهراء من التجار الكبار أو حاكماً من الحكام لم يُفد والديه - ونفسه بالطبع - كما أفادهما بعد أن نذر نفسه لطريق أهل البيت والإمام الحسين عليهما السلام أجمعين.

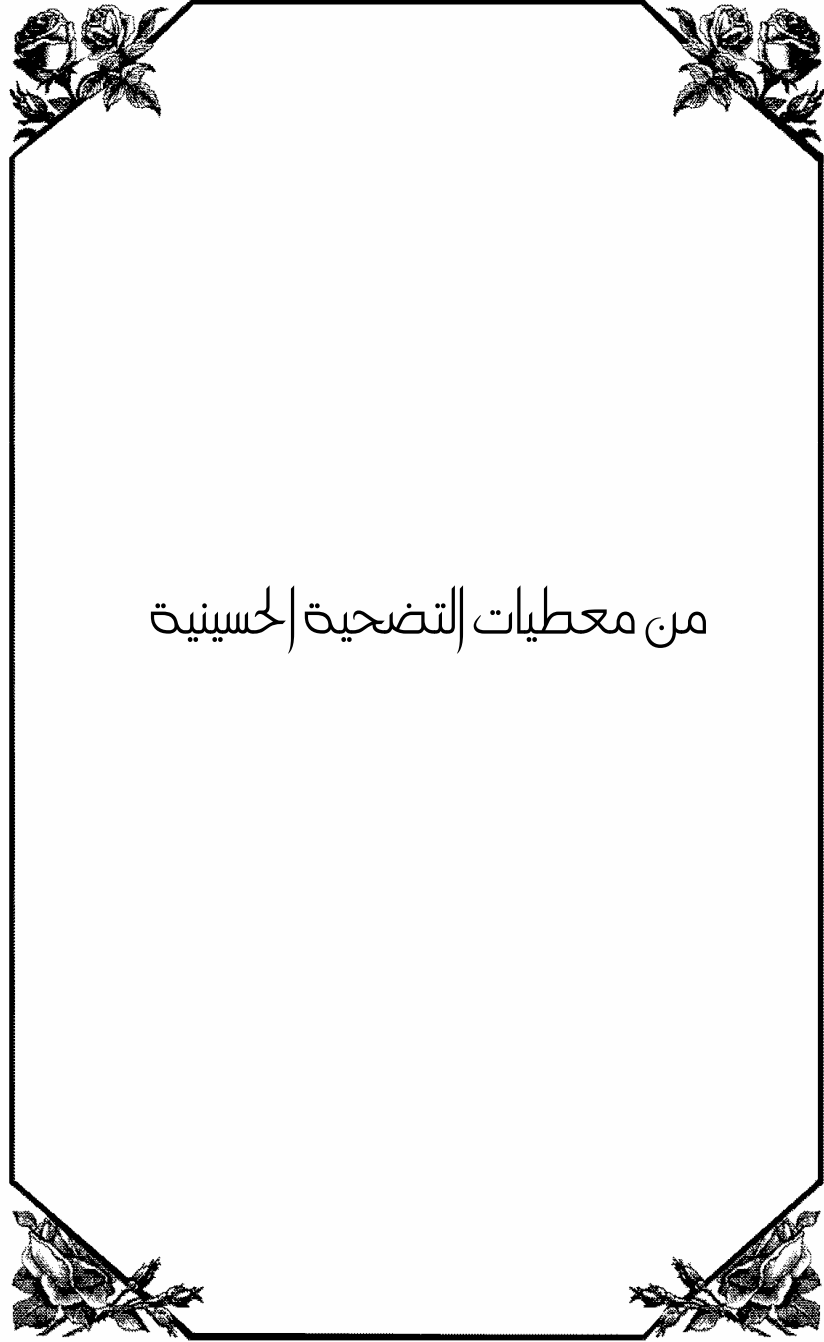
احرصوا أن يكون أحد أولادكم من أهل العلم ولا تنسوا أن تحثوه على هذا الطريق علماً أن كل أجر يحصله ستكونون شركاء معه، كما في الحديث الشريف:

«من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة»^١.

اسعوا بأن تجعلوا أحد أبنائكم - ذكراً كان أو أنثى - في عداد خدمة الإمام الحسين عليه السلام، أمّا الذين لم يتزوجوا بعد فينبغي لهم أن يعاهدوه على أنهم إن تزوجوا ورزقوا بذرية أن يندروا أحدهم لأن يكون من طلبة العلوم الدينية الذين يخدمون خطّ سيّد الشهداء وإمام العصر عليهما السلام.

أسأل الله تعالى ببركة سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين أن يوفّقنا لما يحبه ويرضاه وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) الكافي: ج ٥ ص ٩.



من معطيات التضحية الحسينية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.*
لقد ضحى الإمام الحسين عليه السلام بكل ما يملك في سبيل الله تعالى، وكان بذله استثنائياً ومتميزاً، فأعطاه الله سبحانه وميزه في عطائه بما يتناسب وبذله الذي لم يكن لأحد لا من قبله ولا من بعده؛ امتيازات لم يعطها أحد قط حتى أولئك الذين هم أفضل من الحسين عليه السلام،^١ وهم

(* هذه المحاضرة تعود إلى عام ١٤٠٠هـ .

(١) هذا - كما لا يخفى - لا يعني أنهم عليهم السلام دونه في البذل والتضحية والعطاء. فهم نور واحد ثم إنهم عليهم السلام أفضل منه، كما صرح الحسين عليه السلام نفسه في كربلاء حين قال: جدّي خير مني وأبي خير مني وأمي خير مني وأخي خير مني. ولكنّ التضحية التي قيضت للحسين عليه السلام كانت أعظم وكانت استثنائية فخصه الله تعالى بعطاء فريد واستثنائي، ولو قيض لأيّ منهم ما قيض له من التضحية لما اختلف الحال.

كما لا يخفى أنّ ما لاقاه رسول الله ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام والصديقة الزهراء عليها السلام والسبط المجتبي عليه السلام لم يكن بالأمر الهين، فلشدّ ما عانى النبي ﷺ حتى قال: ما أودى نبي مثل ما أوديت (مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج ٣ ص ٤٢) ومن يراجع خطبة أمير المؤمنين عليه السلام المعروفة بـ«الشقشقية» وخطبة فاطمة الزهراء عليها السلام في الأنصار والمهاجرين بعد غضبها حقّها في فدك والفيء والخمس وخطبة الإمام الحسن عليه السلام في الناس بعد خذلان عسكره له، يدرك مدى الأذى والضيم الذي لحقهم جراء اغتصاب حقوقهم، إلى غير ذلك من المآسي والآلام؛ ولكن لا يوم كيوم أبي عبد الله عليه السلام كما شهد بذلك أخوه الإمام الحسن عليه السلام: لا يوم كيومك يا أبا عبد الله. (أمالي الصدوق: ص ١٧٧)



جدّه المصطفى ﷺ وأبوه المرتضى ﷺ وأمه الزهراء ﷺ وأخوه
المجتبى ﷺ. وهذا الأمر ملحوظ في الأدعية والزيارات كثيراً^١.

مسؤولية دم الإمام الحسين ﷺ

في زيارة للإمام الحسين يرويها ابن قولويه القمي^٢ في كتابه «كامل
الزيارات»؛ عن الإمام الصادق ﷺ مخاطباً جدّه الإمام الحسين ﷺ:
وضمنّ - أي الله تعالى - الأرض ومن عليها دمك وثارك^٣.

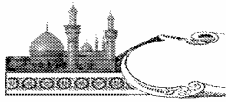
يمكنني القطع أنه لم يرد مثل هذا التعبير في الأدعية والزيارات
المروية عن أهل البيت ﷺ بمثل ما ورد هنا بحق الإمام الحسين، وقد
حار العلماء في تفسيرها، ومنهم العلامة المجلسي الذي نقل هذه الزيارة
في كتابه «بحار الأنوار» عن ابن قولويه.

لنستطلع أولاً معاني مفردات هذه الجملة وأولها مفردة «ضمن».

(١) فضلاً عما روي في هذا الشأن من الأخبار، فقد روي عن ابن عباس أنه قال: أوحى الله
إلى محمد ﷺ: «إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وإني قاتل بابتك سبعين ألفاً،
وسبعين ألفاً» (بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٢٩٨؛ المستدرک علی الصحیحین للحاکم: ج ٢
ص ٢٩٠-٥٩٢ و ج ٣ ص ١٧٨، لسان الميزان لابن حجر: ج ٤ ص ٤٥٧ رقم ١٤١١، تهذيب
التهذيب له: ج ٢ ص ٥٣٠٥، تفسير القرطبي: ج ١٠ ص ٢١٩ تفسير الدر المنثور للسيوطي:
ج ٤ ص ٢٦٤ مورد الآية ٥ من سورة الإسراء) إلى غير ذلك من الامتيازات التي تفرّد بها
الإمام الحسين ﷺ.

(٢) وابن قولويه هذا (ت: ٣٦٨ هـ) هو أستاذ الشيخ المفيد ﷺ، فالشيخ المفيد يروي عن
الكليني بواسطته، والشيخ القمي رحمه الله مدفون ﷺ في الكاظمية في الرواق الشريف وفي
محاذاة تلميذه الشيخ المفيد.

(٣) كامل الزيارات لابن قولويه (اعتبره جماعة من فقهاء الشيعة ومحدثيهم من أصحاب
الكتب): ٣٨٥ ح ١٧ ب ٧٩ زيارات الإمام الحسين بن علي ﷺ.



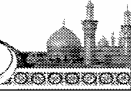
فنقول: الضمان هو أحد أبواب الأحكام العملية الشرعية وقد وقع الخلاف بين الشيعة ومخالفهم في تحديد صيغته والعمل بمقتضاه. فالمشهور بين العامة أنه «ضمّ ذمّة إلى ذمّة»، أمّا مشهور الشيعة فيقولون: إنّ الضمان «نقل ذمّة إلى ذمّة». وتوضيحهما:

لو كان في ذمّة زيد مال لعمره بسبب دين مثلاً، وضمن خالدٌ زيداً لدى عمره، فحسب مشهور الشيعة للضمان، لا يحقّ لعمره بعد ذلك مطالبة زيد بالمال لأنّ الذمّة قد انتقلت إلى خالد وهو المطالب حينئذ. أمّا حسب مشهور العامة فإنّ عمراً يمكنه أن يطالب زيداً وخالداً كليهما، وحقّه بمطالبة كلّ منهما يتنفي لو وفّى له أحدهما، فيكون الضامن - على كلا الرأيين - مسؤولاً أمام صاحب الحقّ، سواء بانتقال المسؤولية إليه وحده، أم بالاشتراك مع المستفيد من ذلك الحقّ.

فالظاهر من عبارة الإمام الصادق عليه السلام في قوله وضمّن الأرض ومَن عليها هو: أنّ الله سبحانه وتعالى ألقى على الأرض ومَن عليها مسؤولية دم الحسين، لأنّ ذلك الدم الطاهر أريق عليها، فأصبح بذمّتها وذمّة مَن عليها فصارت بذلك هي ومَن عليها الضامن والمسؤول عن دم الحسين عليه السلام.

لا إشكال أنّ العدل الإلهي يعدّ أصلاً من أصول الدين عند أتباع آل البيت عليهم السلام، والذي يعني أنّ الله منزّه عن الظلم. وهذا يستلزم أن كلّ ما يرد في روايات أهل البيت عليهم السلام لا بدّ أن ينسجم مع منطق العدل الإلهي، وكلّ تفسير يتعارض مع العدل الإلهي أو ينافيه فهو مرفوض سلفاً جملة وتفصيلاً.

مفاد النصّ ههنا أنّ الله ضمّن الأرض، أي الأرض كلّها، فليس في العبارة ما يصرف لفظة الأرض عن معناها العام إلى بقعة بعينها، مع العلم



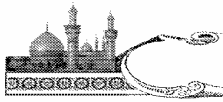
أنّ كلمة «كربلاء» وهي الأرض التي أريق عليها دم الحسين عليه السلام موجودة في الروايات والزيارات الأخرى كثيراً، وكذلك كلمة «الكوفة» وهي الأرض التي خرجت منها الجيوش لقتل الحسين عليه السلام. ولكن عندما نراجع هذه الزيارة نرى كلمة «الأرض» وردت بإطلاقها، بل يقول النص: وضمنّ الأرض ومن عليها. أي: وكلّ البشر الذين سكنوا الأرض من أوّل الدنيا إلى آخرها.

يقول العلامة المجلسي رضوان الله عليه: لعلّ المقصود بـ(من عليها): الملائكة والجن^١.

ولكن قد يقال: ولماذا الملائكة والجن فقط؟ بل البشر وكلّ شيء أوعز إليه التسبيح لله تعالى أيضاً، لأنّ (من) ههنا موصولة وهي ظاهرة في العموم كما هو المشهور بين علماء اللغة والأصول. فتكون معنى العبارة: أنّ الله تعالى ألقى مسؤولية دم الحسين على الكرة الأرضية وكلّ من عليها.

وحقّ للعلماء أن يحاروا في توجيه هذه العبارة التي وردت عن الإمام الصادق عليه السلام وهو لا يقول كلمات مهملة؛ لأنّه من أهل البيت عليهم السلام الذين هم القمّة في البلاغة ناهيك عن عصمتهم ودقّتهم في كلّ الأمور؛ فلماذا يقول الإمام عليه السلام إنّ الله تعالى جعل دم الحسين عليه السلام في ذمّة الأرض؟ ما شأنها؟ هل هي قتلت الحسين عليه السلام؟ وإذا كان المقصود بكلمة الأرض هنا كربلاء فنحن نعلم أنّ الله تبارك وتعالى رفع شأنها بالإمام الحسين عليه السلام حتى جعلها أشرف من الكعبة - وهذه من جملة العطاءات الاستثنائية التي خصّ بها الإمام الحسين عليه السلام - ولكن الإمام عليه السلام لم

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٩٨ ص ١٧٠.



يخصص أرض كربلاء بل قال: ضمّن الأرض. أي كل الأرض، فإذا كان الإمام الحسين عليه السلام قد قُتل على بقعة من الأرض، فلماذا حمل الله الأرض كلها مسؤولية ذلك الدم الطاهر؟

نعم، حار العلماء في فهم هذا المقطع من هذه الزيارة، فقال جماعة: بما أنه قُتل الإمام الحسين عليه السلام على الكرة الأرضية فإن الله تعالى جعلها كلها مسؤولة عن تعذيب قتلة الحسين عليه السلام وخاذه حيثما دُفِنوا وفي أي بقعة منها، وهذا هو ضمان الله على الأرض، وهو مائز مميّز الله تعالى به الحسين عليه السلام وخصيصة خصّه بها، وكشف عنها الإمام الصادق عليه السلام. أما كيف تنفذ الأرض هذا التكليف الإلهي فهذا ليس من شأننا معرفته، وهي تعرف تكليفها ونحن يكفي أن نعرف في المقام أنها مكلفة وأنها تؤدّي تكليفها؛ ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^١.

النقطة الأخرى الجديرة بالتأمل في هذه الزيارة قوله: «ومن عليها». وهذا يعني أننا نحن أيضاً وآباؤنا وأبناؤنا وأجيالنا اللاحقة ممّن سيعيش على هذه الأرض، جميعاً مسؤولون عن دم الحسين عليه السلام والشار له، فأنا وأنت بدمتنا دمه وكذا من يعيش اليوم وغداً في أقصى نقاط العالم. والسؤال: نحن لم نكن موجودين في زمن بني أمية ولا شهدنا مقتل الحسين عليه السلام فكيف نكون مسؤولين، وعم؟ بل الإمام الصادق عليه السلام نفسه لم يكن موجوداً في زمن جدّه ولا رأى مقتله، ولو شهد لنصره فكيف يقول إذا: ضمّن الأرض ومن عليها دمك وثارك؟

إذاً لا بدّ أن يكون لذلك معانٍ أخرى فلنحاول الوقوف عليها.

(١) سورة فصلت، الآية: ١١.



عاشوراء والتكوين

نستنتج من كل ما تقدم أن الله أعطى للحسين ما لم يُعط أحداً من العالمين؛ إذ ربط دمه بعالم التكوين، فألقى مسؤولية دمه على الأرض كلها، وعلى كل من عليها.

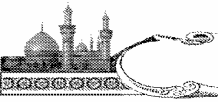
يقول النص: «ضمّن الأرض ومن عليها دمك وثأرك» فإنّ الدم شيء والثأر شيء آخر. الثأر يعني الانتقام للدم المراق.

ربما استغرب العلامة المجلسي قدس من المعنى الحقيقي الظاهر لهذه العبارة، ولعلّه اعتبره منافياً للعدل الإلهي، فكيف يحمل الله تعالى الأرض وكل من عليها المسؤولية وفيهم من لا يرضى بقتل الحسين عليه السلام ويلعن قاتليه ويتبرأ منهم؟! بل فيهم الأنبياء والأولياء وأهل البيت عليهم السلام؟!!

هذا الأمر جعل العلامة المجلسي يأتي بمعان مجازية للعبارة؛ منها: أنّ معنى العبارة أنّ الأرض تعذب قتلة الحسين عليه السلام عندما يُدفنون فيها، فهذا هو الضمان الذي ضمّنه الله الأرض.

بمعنى أنّ المسؤولية الملقاة على عاتق الأرض والجمادات هي مسألة تكوينية. كما أنّ مسؤولية مَنْ جعل الله له العقل والشعور كالإنسان والجن والملك هي مسؤولية تشريعية. وبالتالي يكفي أن نعرف أنّ الله جعل دم الحسين في ذمّة الكرة الأرضية، ولا بأس في ذلك. ولكن الشقّ الثاني هو الذي يحتاج إلى تأمل وهو كلمة «ومن عليها» فظاهر العبارة أنّ كل من على الأرض يتحمّل مسؤولية دم الحسين عليه السلام، مع أنّ من بينهم أحبّاء الحسين عليه السلام - كما قلنا - فكيف يستقيم ذلك؟

يقول الفقهاء: إذا ورد حديث صحيح وفيه صيغة أمر مثلاً، فظاهر صيغة الأمر هو المعنى الحقيقي - أي الوجوب - إلا إذا كانت هناك قرائن على عدم إرادة الوجوب، فننتقل إلى الاستحباب.



وهنا أيضاً لما كان المعنى الحقيقي لا يمكن إرادته من العبارة لأن ذلك يقتضي توجيه العقوبة حتى على الذين لم يشتركوا ولم يرضوا بقتل الإمام الحسين عليه السلام، وهذا يتنافى مع منطق العدل؛ لذا لا يمكن حمل العبارة هنا على المعنى الحقيقي، فنبحث عن أقرب المجازات، إذ الحكم العقلي لصرّفها عن المعنى الحقيقي موجود بسبب العدل الإلهي.

أما المجازات التي ذكرها العلامة المجلسي رحمته الله فقد لا تكون أقرب المجازات. والمسألة طبعاً في كلمة «دمك» أما الثأر فربما لا مسألة علمية فيه، أمّا دمك، فإنّ الله ضمّن الأرض ومنّ على الأرض مسؤولية دم الإمام الحسين فربط بينه وبين التكوين، لم يستثن فيها حتى الأنبياء والرسل. روي أن إبراهيم الخليل لمّا مرّ من أرض كربلاء وهو راكب عثر به مركبه فشجّ رأسه وسال دمه فأخذ في الاستغفار وقال: إلهي أيّ شيء حدث منّي؟ فنزل إليه جبرئيل وقال:

«يا إبراهيم ما حدث منك ذنب ولكن هنا يُقتل سبط خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء فسال دمك موافقة لدمه»^١.

أليس هذا مصداقاً حياً لربط قضية الإمام الحسين بالتكوين؟ علماً أنّ النبي إبراهيم عليه السلام كان قد عاش قبل آلاف السنين من حادثة كربلاء فكيف شجّ رأسه عندما مرّ على أرض كربلاء؟
إبراهيم الخليل عليه السلام على ما له من عظمة^٢، عندما يمرّ من أرض

(١) انظر العوالم للبحراني ص ١٠٢ ح ٣.

(٢) إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء وشيخ المرسلين ولقد اتّخذه الله خليلاً من بين كلّ مخلوقاته من الإنس والجنّ والملائكة، ونسب إليه بعض الشعائر المقدّسة في مكّة المكرمة تعظيماً له وتشريفاً وتكريماً، وإلاّ فإنّ معظم هذه الشعائر ابتدأ بها آدم عليه السلام؛ فأدم أوّل من بنى الكعبة المشرفة، وأوّل من طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة، وأوّل من نزل عرفات وهو أوّل



كربلاء يُشجّ رأسه ويخرج منه الدم موافقة لدم الحسين عليه السلام؛ ذلك أنّ قتل الحسين عليه السلام قتل للكرامة وللإسلام وللأنبياء جميعاً وتخريب للتكوين والتشريع؛ ومن هنا جعل دمه وثأره على عاتق الأرض ومن عليها أجمعين، وهذا هو معنى: ضمّن الأرض ومن عليها دمك وثأرك. ولا يقصد بالتأثر قتل قاتله فقط بقدر ما يعني تفاعلاً تكوينياً، وفي الإنسان يعني المسؤولية التي ينبغي تحملها تجاه قضيتته عليه السلام.

مسؤوليتنا تجاه قضية الإمام

روي عن الإمام الرضا عليه السلام:

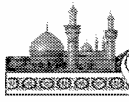
«كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكاً وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام. فإذا كان يوم العاشر، كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ويقول: هو اليوم الذي قُتل فيه الحسين عليه السلام»^١.

وهذا يعني أنّ لمحرم خصوصية تميّزه عن باقي الشهور. فبحلول هذا الشهر الحرام، وما إن يهّل هلاله يتبادر إلى الأذهان إسم الإمام الحسين عليه السلام، حيث قُتل في العاشر منه مظلوماً شهيداً، الأمر الذي يذكّرنا بمسؤوليتنا تجاه قضيتته. ومن جملة تلك المسؤولية أمران:

الأمر الأوّل: التعريف بالإمام الحسين عليه السلام وشرح قضيتته وبيان أهدافها وتبيين مبادئ نهجه الذي سار عليه، وكشف ما جرى عليه وعلى آله وصحبه لجميع الناس في شرق الأرض وغربها.

من ذهب إلى منى، وعندما سئل الإمام عليه السلام عمّن حلق رأس آدم عليه السلام بعد أداء المناسك، قال: جبرئيل. ومع ذلك فإنّ الله تعالى ينسب العديد من شعائر الحجّ إلى إبراهيم عليه السلام.

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ص ١٩١.



ومن وسائل ذلك إقامة عزاء الإمام الحسين والتشجيع على إحيائه بمختلف الأشكال المشروعة^١.

أما الأمر الثاني: فيتحدد - بعد إتقان مقدمته في الأمر الأول - بالافتداء في متابعة أهداف الإمام الحسين عليه السلام.

فالتعريف بالحسين عليه السلام وقضيته من خلال إقامة مجالس العزاء والشعائر الحسينية - من جانب - والعمل على تحقيق هدف الإمام المتمثل بإنقاذ العباد من جهالة الكفر وضلالة الباطل إلى نور الحق والإسلام والإيمان^٢ - من جانب آخر - هما ضمن المسؤولية الملقاة علينا تجاه الإمام الحسين عليه السلام.

فلنشمر عن ساعد الجد وخصوصاً في شهري محرم وصفر، ولنعدّ ونستعدّ قبل حلولهما، لنستثمر طاقاتنا في هذا السبيل من أجل أن تتحقق المبادئ العليا المتمثلة بسيرة أبي عبد الله الحسين عليه السلام وذلك من خلال المواكب والشعائر والمجالس والأفلام الرمزية المسجلة والشبكات المعلوماتية والفضائيات والمنابر والندوات، وسائر الوسائل المتاحة، فهذه جميعها تشكل جزءاً من مسؤوليتنا الوارد ذكرها في قول الإمام الصادق حين يخاطب جدّه الحسين عليه السلام: «وَضَمَّنَ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا دَمَكَ وَتَارَكَ». فما أكثر الناس الذين لا يعرفون الإمام الحسين وقضيته وأهداف نهضته، وما أثقل مسؤوليتنا تجاههم؟

(١) ينبغي مراعاة الشرع الشريف في التثبت من حليّة الشعيرة وذلك عن طريق إيكال الأمر إلى الفقهاء المتخصصين في معرفة الحلال والحرام - وهم مراجع التقليد - لمقدرتهم في تحديد ما هو جائز منها، ولا ينبغي الاستماع لغيرهم أو القول دون علم.

(٢) كما تقدّم في قوله عليه السلام في زيارة الأربعين: «وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة». فاللام للتعليل - أي لهذا السبب - والمقصود بكلمة «عبادك» جميع الخلق وليس طائفة خاصة.



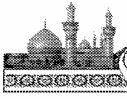
نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لخدمة الإسلام والسعي الجادّ في سبيل خدمة أهداف الإمام الحسين عليه السلام عن هذا الطريق، طريق تعريف العالم أجمع بالإمام عليه السلام وأهداف نهضته الشريفة.

استثنائية الجزاء للإحياء والزيارة

إنّ من يُسدي خدمة للإمام الحسين عليه السلام ويشجّع الآخرين لقضاياه وعزائه ومجالسه وشعائره، فإنّ الله تعالى يصنع به ويعامله معاملة استثنائية، وكذلك يعاقب الذين خذلوه وخذلوا مجالسه وأيامه من بعده، بعقوبة استثنائية في الدنيا والآخرة.

نقل المرحوم السيّد الأخ قدس في بعض كتبه أنّه ذكر عند أحد أنّ تربة الحسين شفاء من كلّ مرض بإذن الله تعالى، فطلب - وكان من المستهزئين - قليلاً من التربة الحسينية، وعندما جيء له بها أهانها، فلم يعيش حتى صباح اليوم التالي مع أنّه كان معافى. وقيل إنّ هذا الشخص كان من شخصيات بني العباس، أي أنّه لم يكن ممن حضر الواقعة ولكن الأرض انتقمت منه لأنّه أهان تربة الحسين عليه السلام.

وروي أنّه سأل عبد الله بن رباح القاضي، شخصاً أعمى عن سبب عمائه، فقال: كنت حضرت كربلاء وما قاتلت، فنمت فرأيت شخصاً هائلاً، قال لي: أجب رسول الله ﷺ. فقلت: لا أطيق، فجرّني إلى رسول الله ﷺ؛ فوجدته حزيناً وفي يده حربة، وبسط قدّامه نطع، وملك قبله قائم في يده سيف من النار يضرب أعناق القوم وتقع النار فيهم فتحرّقهم ثمّ يحيون ويقتلهم أيضاً هكذا. فقلت: السلام عليك يا رسول الله، والله، ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت سهماً. فقال النبي: أأنت كثر السواد؟! فسلمني وأخذ من طست فيه دم فكحلني من ذلك الدم،



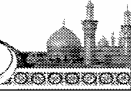
فاحترقت عيناى، فلما انتبهت كنت أعمى^١.

وهذا معناه أن هذا الرجل لم يكن راضياً بالمجيء والمشاركة في قتل الإمام الحسين عليه السلام ولكنه كان يخاف نعمة ابن زياد ففكر أن يذهب ولا يمارس أيّ فعل بل يكتفي بمغادرة الكوفة والحضور في كربلاء مع العسكر ولكن معتزلاً القتال. فهو لم يحمل على أحد بسيف ولا طعن برمح ولا رمى نبلاً، أي لم تلوّث يده ولكنه مع ذلك لقي ذلك العقاب الأليم. فإذا كان هذا حال من مثله فكيف بمن شارك في قتل الإمام عليه السلام أو حارب شعائره من بعده؟

لقد بلغ الذين اشتركوا في قتال الإمام في كربلاء ٣٠٠٠٠ على أقلّ الروايات، فما الذي يؤثّره هذا الفرد الذي لم يمارس أيّ فعل سوى الحضور؟ ورغم ذلك استحقّ العذاب لمجرد حضوره في الصفّ المعادي للإمام. وفي الصورة المعاكسة هكذا يكون نصيب حضورك اليوم في مجلس عزائه عليه السلام، فإنّ الألوّف والألوّف من المجالس تقام، فما حجم مشاركتك وحضورك قياساً للحضور الجماهيري الفخم الذي يحضره، ولكن مع ذلك لا ينبغي أن تستصغر حضورك وتستتهين به وتقول: إنه لا يؤثّر كثيراً، بل ينبغي أن تشترك دائماً.

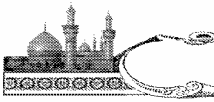
وهكذا الأمر في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فحتى لو كان يحضرها الملايين فلا تقل ما الذي يضرّ لو لم أحضر لأنني قطرة في بحر، وذلك لأنّ قضيتّه عليه السلام استثنائية حتى على مستوى الجزاء، سواء في جهة المؤيّد أو المعارض؛ ولذا حاول أن لا تشترك بلسان ولا عمل ضدّ أيّة شعيرة

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٣٠٣ عن (مناقب آل أبي طالب): ج ٤١ ص ٥٨.



من شعائر الإمام الحسين، ولا تتكلم ضد أي من القائمين بمجالس الإمام، ولو وجدت فيهم نقصاً فلا تشهر بهم، ولا تستهزئ بأي من الشعارات حتى لو كنت لا تراها كما يراها غيرك، بل دع كل موالٍ يعبر بطريقته الخاصة ما لم تتعارض مع الشرع.

وقد نقل لي أنه كان أيام المرجع الديني الكبير السيد البروجردي قدس سره شخصان قد صدر من كل منهما سلبية قد تبدو هيئة في نظر بعضنا إلا أنها عند الله عظيمة. حيث كان أحدهما لديه صهر مواظب وبإيمان على الحضور في مجالس العزاء التي تقام لأبي عبد الله عليه السلام وكان هذا الشخص بدل أن يثني على صهره ويكبر فيه روح الإيمان على مواصلة المشاركة كان يثبطه ويقلل من عزيمته قائلاً له: لا داعي لكل هذا الاهتمام في المشاركة، وكيفيك القليل من الحضور. أما الآخر فكان يستهزئ ببعض الشعائر ويستخف بالقائمين عليها. ففي ليلة العاشر من المحرم لإحدى السنين رأى أحدهما في منامه - ونقل الحادثة بعد ذلك للسيد البروجردي قدس سره - كأن يوم القيامة قد قام، وهو وزميله - الذي يستخف ببعض الشعائر - في ساحة المحشر حائرين لا يدرين ما يصنعان ولا يعرفان مصيرهما. وإذا بهما يشاهدان مكاناً فيه جنة فسألا عنه، فقيل لهما: هناك يجلس الإمام الحسين عليه السلام، ومحبه يدخلون عليه، يحدثهم ويحدثونه. فانبريا قائلين: نحن كذلك من محبي الإمام الحسين وممن يشترك في إحياء مجالس عزائه وإقامة شعائره؛ فلنذهب لزيارته ورؤيته عليه السلام. وعندما هما بالدخول مع سائر المؤمنين إلى حضرة الإمام الحسين عليه السلام، حال الملائكة الموكلون بحراسة مجلسه دونهما، فتعجبا قائلين: لم لا تسمحون لنا بالدخول؟! فقالت الملائكة لهما: كذلك أمرنا، ألستما فلاناً وفلاناً؟ فقالا: نعم، ولكن هلاً أخبرتمونا عن السبب، وبعد إصرارهما دخل أحد الملائكة ثم خرج، وقال لهما: لقد منعتما بما كان



منكما في تثييط أحدكما لصهره، واستهزاء الآخر ببعض الشعائر. حينها فزع الشخص من نومه - وكان الوقت قبيل الفجر - مرهوباً خائفاً، لم يقوَ على معاودة نومه حتى الصباح، ثم جمع قواه وذهب إلى بيت صاحبه - الذي رآه في المنام معه - طالباً منه التهيؤ للذهاب معاً إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام؛ وبعد أن استقرَّ بهما المكان، قصَّ لصاحبه ما رآه في المنام بحذافيره، وأخذاً يبكيان طالبين من الإمام عليه السلام الصّفح عن خطيئتهما، متعهدين على الإقلاع عنها وعن أمثالها.

فهذان أدركا نفسيهما بواسطة رؤيا فتابا ونصحا، فما بالك بمن يموت وهو على ما هو عليه من بخلٍ في المشاركة، أو الاستخفاف بما لا يعلم؟! ومن الأمور والعطاءات الإلهية التي تفرّد بها الإمام الحسين زيارته عليه السلام؛ فإنّها تستحبّ حتى مع الخوف بل يزداد في ثبوتها، في حين أنّ الحجّ على عظمتها يشترط في صحّته خلوّ السرب (أي الطريق) من الخوف والخطر، حيث يقول جمهرة من الفقهاء إنّهُ لو لم يبال الشخص بذلك وحجّ وأصابه الخطر لم يصحّ حجّه، بل ذهب بعضهم إلى أنّه لا يُقبل منه إذا لم تكن الطريق آمنة حتى لو لم يُصب بسوء؛ لأنّه لم يلتزم بهذا الشرط الذي هو من شروط وجوب الحجّ، فليس المقصود الاستطاعة المالية فقط بل يدخل ضمنها الأمن، فمن لم يأمن الطريق لا يكون مشمولاً لها.

أما زيارة الحسين عليه السلام فمسنونة ومستحبة حتى مع الخوف بل ورد الحثّ عليها، مع أنّ الظلمة كانوا يسجنون الزوّار وربّما يقطعون منهم الأيدي والأرجل ويصادرون الأموال، ومع ذلك لم نسمع أنّ الأئمّة عليهم السلام نهوا مواليتهم عن الزيارة بل كانوا يشجّعونهم؛ الأمر الذي أدّى بزوّار

(١) كما مرّ في رواية ابن بكير المتقدّمة في ص ٢٥ من هذا الكتاب.



الإمام عليه السلام لأن يتوافدوا على قبره الشريف رغم الأخطار وبعد الأسفار، في الحرّ والبرد رغم كل الظروف، حتى وصلتهم من الإمام الصادق عليه السلام تلك الدرر المكنونة من أدعيته عليه السلام في قوله:

«اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا، وخلافاً منهم على من خالفنا فارحم تلك الوجوه التي قد غيرتها الشمس... اللهم إني استودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتى نوافيهم على الحوض يوم العطش»^١.

وفي حديث محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال له:

«هل تأتي قبر الحسين عليه السلام؟»

قلت: نعم على خوف ووجل فقال:

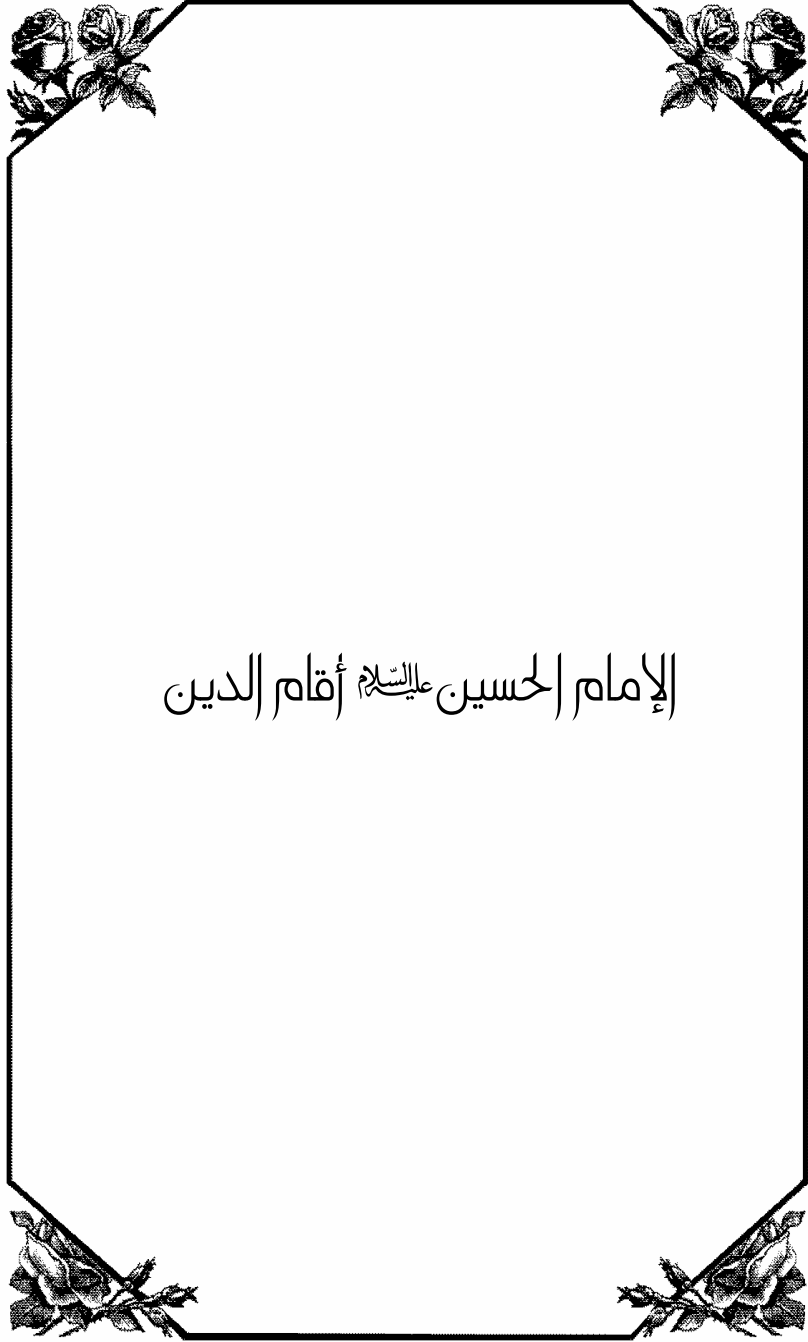
«ما كان من هذا أشدّ، فالثواب فيه على قدر الخوف»^٢.

إنّ الذي يواجه الصعوبات ويشترك في قضايا سيّد الشهداء، لاشكّ يكون ثوابه أكثر من غيره، بل تكون تلك المعاناة فضلاً من الله عليه. فمثلاً لو أنفق شخص ألف دينار في هذا الطريق وكان يمثل نصف ما يملك، وأنفق آخر نفس المبلغ ولكنها كانت تشكّل ربع ما يملك فلاشكّ أنّ الأوّل أكثر ثواباً.

لنرتقي بهمتنا في خدمة الإمام الحسين عليه السلام ولا نستصغر ما نستطيع عمله في هذا الطريق الاستثنائي، فإنّ التوفيق من الله تعالى، لأنّه سبحانه جعل ما يرتبط بالإمام عليه السلام استثنائياً.

(١) الكافي للكليني: ج ٤ ص ٥٨٢ ح ١١ فضل زيارة الحسين عليه السلام.

(٢) كامل الزيارات: ص ٢٤٤-٢٤٥. كما تقدّمت رواية ابن بكير: ص ٢٤.



الإمام الحسين عليه السلام أقام الدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين،
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.*

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^١.

إنّ الله تعالى يخبر المسلمين في هذه الآية الكريمة أنّ ما شرعه لهم من الدين هو ما وصّى به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام. فما هو الشيء الذي وصّى به الله نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً عليهم السلام؟ يظهر جوابه من قوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾. حسب اللغة فإنّ قوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ يدل من قوله: ﴿وَمَا وَصَّيْنَا﴾، يعني أنّ ما أوصى به الله سبحانه أنبياءه - ومن جملتهم نبينا سيّد الأنبياء والمرسلين - هو إقامة الدين؛ أي جعله قائماً.

فكما أنّ الإنسان القائم يتحرّك ويمارس حياته بشكل طبيعي خلافاً للمريض الذي لا يستطيع القيام والنهوض، فكذلك الدين إذا كان مبعداً

(*) حديث سماحته في الأول من شعبان عام ١٣٩٦هـ بمناسبة ذكرى مولد الإمام الحسين عليه السلام في الثالث من الشهر.

(١) سورة الشورى، الآية: ١٣.



عن الحياة لم يكن قائماً، والله تعالى وصّى أنبياءه ﷺ أن يقيموا الدين.

الإمام الحسين عليه السلام وإقامة الدين

إن الإمام الحسين عليه السلام أقام دين جدّه ﷺ، ولولاه لما قامت للدين الإسلامي قائمة. وهذا ما سنبيّنه خلال كلامنا؛ عسى أن نكون قد وفينا بعض ما علينا تجاهه ولو بمقدار ما تحمله رأس الأبرة من بلل البحر! ذلك أنّ الحديث عن الحسين عليه السلام حديث عن الإسلام والقرآن وعن الرسالة والحقّ وعن كلّ فضيلة.

لقد ذكر القرآن الكريم قصة إسرائ نبيّه ﷺ وعروجه إلى السماء في عدة موارد؛ منها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٦٦﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٦٧﴾﴾. جاء عن ابن عباس:

فلما بلغ ﷺ إلى سدرة المنتهى فأنتهى إلى الحجب قال جبرئيل: تقدّم يا رسول الله ليس لي أن أجوز هذا المكان، ولو دنوت أنملة لاحتقرت^٢. وجاء في رواية أخرى أنه ﷺ قال:

فلما انتهيتُ إلى حجب النور قال لي جبرئيل: تقدّم يا محمد ﷺ! وتخلّف عني، فقلت: يا جبرئيل في مثل هذا الموضع تفارقني؟! فقال: يا محمد ﷺ إنّ انتهاء حدّي الذي وضعني الله عزّ وجلّ فيه إلى هذا المكان، فإن

(١) سورة النجم، الآية: ٩٨. انظر الكافي: ج ١ ص ٤٤٢ ح ١٣، وفيه: «...فقال أبو بصير للإمام أبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، ما قاب قوسين أو أدنى؟ قال: ما بين سيّتها إلى رأسها...».

(٢) مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج ١ ص ١٣٥-١٥٦ عنه بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ١٨ ص ٢٨٦.



تجاوزته احترقت أجنحتي بتعدي حدود ربي جلّ جلاله. فزجّ بي في النور زجّة حتى انتهيت إلى حيث ما شاء الله من علو ملكه^١.

وهنا عندما بلغ الله تعالى بحبيبه هذه المرتبة جعل يريه آياته الكبرى، وتحقق قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾^٢ وكان مما رآه عليه السلام من الآيات الكبرى مكانة حفيده الإمام الحسين عليه السلام وعظمته في السماوات. عن الإمام الحسين عليه السلام قال:

أتيت جدّي رسول الله ﷺ، فرأيت أبيّ بن كعب جالساً عنده، فقال جدّي: مرحباً بك يا زين السماوات والأرض فقال أبيّ: يا رسول الله وهل أحد سواك زين السماوات والأرض؟ فقال النبي ﷺ: يا أبيّ بن كعب! والذي بعثني بالحق نبياً، إنّ الحسين بن علي في السماوات أعظم مما هو في الأرض، واسمه مكتوب عن يمين العرش: إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة^٣.

ومن هنا ينبغي لزائر الإمام الحسين عليه السلام أن يعرف أنه بين يدي من، ويكلّم من، ولو كنّا كذلك ونحن في حرم الإمام وبين يديه عندما نزوره لما شغلنا شيء آخر أبداً. يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ أتى الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كتبه الله في أعلى عليين»^٤.

إنّ الله سبحانه وتعالى دعا أشرف أنبيائه ورسله ﷺ ومن خاطبه في

(١) علل الشرايع للصدوق: ج ١ ص ٥ ح ١ ب ٧ العلة التي من أجلها صارت الأنبياء والرسل والحجج عليهم السلام أفضل من الملائكة.

(٢) سورة النجم، الآية: ١٨.

(٣) مدينة المعاجز، للبحراني: ج ٢ ص ٣٢٧ رقم ١١٦.

(٤) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١١٠ ح ٢.



القدسيّ بقوله: لولاك لما خلقت الأفلاك^١، دعاه لأعظم وليمة يغذّيه منها بالتحاليم القدسيّة وليريه من آياته الكبرى، والتي منها: إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة. فهذا هو الحسين عليه السلام؛ فهل عرفناه حقّ معرفته؟

أنّى لطاقتنا الفكرية المحدودة أن تدرك عظمة الإمام والله سبحانه يعبر عنه بأياته الكبرى، وأنه مصباح الهدى وسفينة النجاة، بعد أن رآه رسول الله صلى الله عليه وآله مكتوباً على ساق العرش قبل أن يولد الإمام الحسين عليه السلام.

وهنا نسأل: لماذا يري الله أشرف أنبيائه صلى الله عليه وآله هذه الكلمة عن سبطه عليه السلام ويعده آية كبرى؟ وما هو السرّ وراء ذلك؟

الجواب: هو أنّ الحسين عليه السلام قد بذل الغالي والنفيس من أجل تحقيق الآية التي صدرنا بها الكلام وما وصّى الله به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين، وهو ﴿أَنِ اقِيمُوا الدِّينَ﴾. إنّ الحسين عليه السلام أقام الدين وحفظ الشريعة. فلولا الحسين لما كانت الصلاة اليوم ولا الصيام، ولا حجّ البيت أحد؛ لأنّ بني أمية كانوا على وشك القضاء على الدين، ولكنّ الحسين عليه السلام حفظه وأقامه ببذل دمه الطاهر ودماء أهل بيته الكرام.

محاولات بني أمية للقضاء على الدين

كان لمعاوية بن أبي سفيان صديق ونديم اسمه المغيرة بن شعبة، وكان يشبه معاوية - فإنّ الطيور على أشكالها تقع - .

يقول المطرف بن المغيرة بن شعبة:

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ١٤٨-١٥٧، عنه بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٤٠٣ ح ١.



دخلت مع أبي علي معاوية، فكان أبي يأتيه، فيتحدث معه، ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتماً، فانتظرت ساعة، وظننت أنه لأمر حدث فينا، فقلت: ما لي أراك مغتماً منذ الليلة؟ فقال: يا بني، جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم. قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً، فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه. فقال:

هيهات هيهات! أيّ ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثمّ ملك أخو عدي، واجتهد وشمرّ عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر، وإن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات: (أشهد أن محمداً رسول الله) فأبيّ عمل يبقى، وأبيّ ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك! لا والله إلا دفناً دفناً.

أرأيت كيف كان يفكر معاوية؟ أمّا ولده يزيد فقد أظهر ما كان يضمّره بعد قتله سبط رسول الله ﷺ عندما قال تلك المقالات^٢.

(١) رواه المعتزلي في شرح نهج البلاغة، ج ٥ ص ١٢٩ على ما في الموفقيات للزبير بن بكار.

(٢) قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٤.

وقال في أبيات أخرى:



نموذج ثالث من خلفاء بني أمية هو «الوليد بن يزيد».

ذكر ابن الأثير أنه: اتخذ له ندماء فأراد هشام أن يقطعهم عنه فولاه الحج... فحمل معه كلاباً في صناديق، وعمل قبة على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة وحمل معه الخمر وأراد أن ينصب القبة على الكعبة ويشرب فيها الخمر^١.

ومن أخباره أنه واقع جاريتته وهو سكران وجاءه المؤذنون يؤذنونه بالصلاة، فحلف لا يصلي بالناس إلا هي، فلبست ثيابه وتنكرت وصلت بالمسلمين وهي جنب سكرى^٢.

بعد هذا النزر القليل من ذلك الجم الكثير من مثالب بني أمية، يُعلم كيف أن الإمام الحسين أنقذ دين جدّه ﷺ؟ وكيف أنه حقق وصية الله لأولي العزم من أنبيائه بإقامة الدين؟

أليس للإمام الحسين ﷺ حق على كل صلاة تقام على وجه الأرض؟ أليس لدمه حق على الكعبة والبيت الحرام؟ فلولا جهاد الحسين ﷺ ونهضته ودمه لما كانت صلاة ولا حج ولا صيام وما كانت تؤدّى الزكاة

لما بدت تلك الحمول، وأشرفت تلك الرؤوس على ربا جيرون
نعب الغراب فقلت: قل أو لا تقل فقد قضيت من الرسول ديوني

(جواهر المطالب في مناقب الإمام علي ﷺ لابن الدمشقي: ج ٢ ص ٣٠١).

يعني أنه اقتصر من رسول الله ﷺ عندما قتل سبطه بمن قتلهم الإسلام من أجداده الكفرة في بدر. فالقضية عند يزيد تتلخص في نزاع بين قبيلتين، فلا دين ولا نبوة ولا وحي ولا جنة ولا نار!

(١) الكامل في التاريخ: ج ٤ ص ٤٦٧ ذكر بيعة الوليد بن يزيد.

(٢) انظر فلك النجاة للمولوي الحنفي: ص ٩٨ الوليد بن يزيد، وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق: ج ٧٠ ص ١٤٢ رقم ٩٤٣٧ ترجمة نوار جارية الوليد، نحوه.



ولا الخمس ولا سائر أحكام الإسلام.
وما نقلناه كان قليلاً من كثير، فاقرأوا التاريخ بأنفسكم لتعلموا ما أراد
الأمويّون فعله بالإسلام، وما هو دور أبي عبد الله الحسين عليه السلام؟ ولهذا
كان مكتوباً على ساق العرش:
إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة.

حسين عليه السلام منّي وأنا من حسين عليه السلام

وهكذا أيضاً يُفسّر معنى الحديث النبويّ الشريف:

«حسين منّي وأنا من حسين»^١.

أمّا أنّ الحسين من النبيّ فهذا واضح ولكن كيف يمكن أن يكون
الجدّ من الحفيد أو السبط؟ لاشكّ أنّ النبيّ عليه السلام يقصد بذلك استمرار
رسالته. وهذا الكلام يحاكي ذاك التعبير المكتوب على ساق عرش الله
تعالى لأنّ بقاء اسم النبيّ عليه السلام مرفوعاً على المآذن (أشهد أنّ محمداً رسول
الله) إنّما استدام بتضحيات الإمام الحسين عليه السلام. ولولا الإمام
الحسين عليه السلام لمحا معاوية ويزيد وآل مروان من بعدهما هذا الذكر،
ولعادت الجاهلية من جديد، فهكذا كان تخطيط معاوية، وهكذا كان أمر
الله في إنقاذ دينه بدم الحسين عليه السلام، ولولا شهادة الحسين عليه السلام وأهل بيته
لما بقي للإسلام من أثر.

إذن كلّ مسجد تدخله اليوم فهو مدين للحسين عليه السلام، وكلّ صلاة
وصيام، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وبرّ بالوالدين، وإخلاص لله،

(١) كشف الغمّة للأربلي: ج ٢ ص ٢١٨.



بل واسم رسول الله ﷺ عندما يُرفع في الأذان، كَلَّه قام بتوضيحات الإمام الحسين عليه السلام، وهذا معنى قول النبي ﷺ: «وأنا من حسين».

ولولا الحسين لكان اسم الرسول ﷺ - وكما تمنى معاوية - حاله حال اسم أبي بكر وعمر، لا يزداد أن يُقال: كان محمد ﷺ. أمّا رفعه في الأذان مقروناً بالرسالة كل يوم مرّات، وامتداده في استمرار تعاليمه في الصلاة والصوم والمساجد والحجّ والدين كَلَّه فكل ذلك رهين دم الحسين عليه السلام. وهذا معنى مخاطبتنا له عليه السلام في الزيارة:

«أشهدُ أنّك قد بلّغت عن الله ما أمرت به، ووفيت بعهد الله، وتمت بك كلماته، وجاهدت في سبيله حتى أتاك اليقين»^١.

ينقل الشيخ محمد شريعت رحمته - أحد علمائنا الذين عاصرتهم، أصله من كراچي، وكان يسكن في النجف الأشرف وكربلاء المقدّسة - أنه كانت تربطه صداقة بقسّ مسيحي فقال له يوماً: أنتم الشيعة عندكم الحسين عليه السلام ولكنكم لا تستفيدون منه كما ينبغي. ولو كان الحسين عليه السلام لنا لركزنا له في كل شبر من الأرض منبراً نجتمع الناس حوله ونبلّغهم ديننا ولما تركنا إنساناً على وجه الأرض إلاّ دعونا إليه.

الإهتمام بذكرى الميلاد المبارك

أقترح ثلاث خطوات بسيطة يتمكّن كل واحد منّا العمل بها لعلنا نرفع شيئاً من تقصيرنا تجاه الإمام الحسين عليه السلام:

أولاً: قبل أيّام من ذكرى ميلاده المبارك أخبر كل من تلقاه - سواء في

(١) كامل الزيارات ص ٣٨٥ رقم ٦٣٣.



محلّ عملك أو في طريقك إلى البيت أو صديقاً تلقاه - أن يوم الثالث من شعبان هو يوم ميلاد الإمام الحسين عليه السلام، ولا أبالغ إن قلت أن كثيراً من المسلمين الذين تعيش بينهم لا يعلمون بذلك!

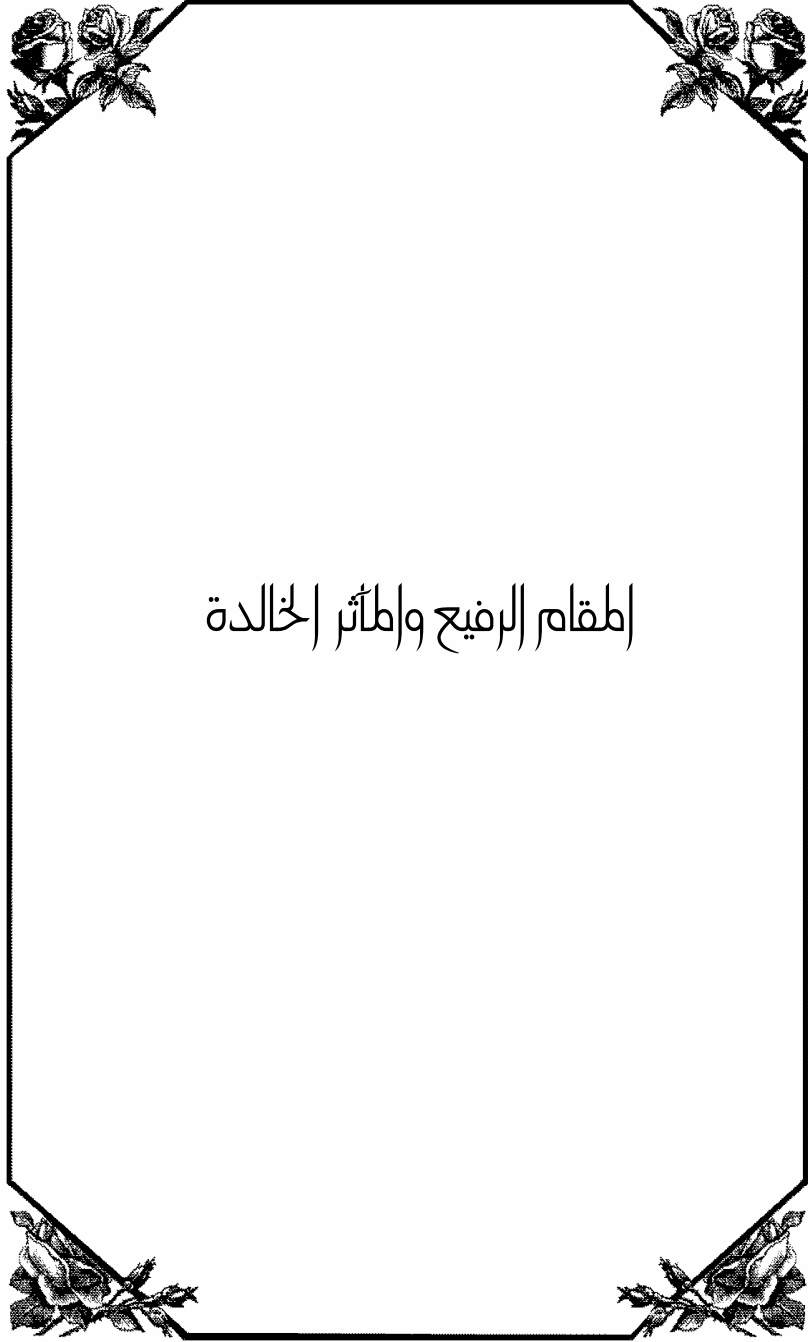
ثانياً: لتتحف أولادنا وعوائلنا بفكرة ولو مبسطة عن أهل البيت عليه السلام لاسيما صاحب الذكرى الإمام الحسين عليه السلام في يوم ميلاده؛ ليرتّبوا على حبّهم.

ثالثاً: لنظهر في يوم ميلاد الإمام الحسين عليه السلام علامات التهئة ولنوزع الهدايا أو الحلويات على عوائلنا وزملائنا في محلّ عملنا وأهالي منطقتنا. إنّ العمل بهذه الأمور الثلاثة هو أقلّ ما يمكن أن نقدّمه، في حُبّ الحسين عليه السلام ومولاته.

أمّا الأمور المطلوبة منا لكي نكون على طريقه عليه السلام فقد لا تكون بسيطة، فإنّه عليه السلام أقام الدين، والمرجوّ منا صيانته وإبقاء نوره مضيئاً أبداً لكن من المؤسف أنّ الواقع خلاف ذلك، فنرى ذوينا يرتكبون المحرّمات، ولا يؤدّون الواجبات ولكن مع ذلك ترى بعضنا - ومع الأسف - لا يكثرث!

فإذا كنّا من الذين يهتمّون بمعالجة الأمراض الروحية في المجتمع كاهتمامنا بمعالجة الأمراض البدنية خاصة إذا أصيب بها أحد أبنائنا، فليكن سعينا من الآن أن نبدأ بنشر حبّ الحسين وفكر الحسين عليه السلام، ثمّ السعي للعمل وفقه إن شاء الله تعالى.

أسأل الله سبحانه أن يوفّقنا لذلك، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



امقام الرفيع واطائر الخالدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين،
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين*.

مكانة كربلاء

إنّ مقام الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام عند الله تعالى عظيم جداً،
وهذا الأمر وإن تجلّى لأهل الأرض بعد استشهاد الإمام وأنصاره وأهل
بيته عليه السلام في ظهر يوم عاشوراء، لكنّه كان معروفاً في السماء حتى قبل
استشهاده عليه السلام، بل إنّ الله سبحانه وتعالى قد أمر أمينه جبرئيل أن يعزي
نبيّه آدم عليه السلام في أوّل خلقته بمصيبة سيّد الشهداء عليه السلام ويخبره بما
سيؤول إليه أمره^١.

نسب الباري تعالى الكعبة إليه فسُميت بيت الله الحرام، تقديساً

(* هذه المحاضرة ألقيت في جموع المعزّين المؤمنين لسماحته بمناسبة مصاب الإمام أبي
عبد الله الحسين عليه السلام، في ٦ محرم الحرام ١٤٢٥هـ .

(١) انظر العوالم، الإمام الحسين عليه السلام، للبحراني: ص ١٠٤ ح ١ باب ٢ ما ورد في إخبار الله
تعالى خصوص آدم عليه السلام (ط: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام - قم).



لمكانتها وتشريفاً لمنزلتها؛ لامتناع أن يكون له سبحانه بيت بعينه، فهو غني عن المكان. لهذا رفع هذه البقعة بنسبتها إليه عز وجل.

هذه الكعبة المشرفة التي كرمها الله، وأمر الحجيج أن يخلعوا عن ربقتهم هوى الدنيا عند مشارفها، وأن يدخلوها مُحْرَمِينَ، تاركين جملة من اللذائد الدنيوية المباحة، تفاخرت^١ فيما مضى على البقاع الأخرى، كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال:

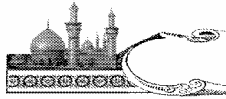
«إن أرض الكعبة قالت: من مثلي وقد بنى الله بيته على ظهري ويأتيني الناس من كل فج عميق وجعلت حرم الله وأمنه! فأوحى الله إليها أن كفي وقرّي، فوعزتي وجلالي ما فضل ما فضلت به فيما أعطيت به أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غمست في البحر فحملت من ماء البحر! ولولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا ما تضمنته أرض كربلاء لما خلقتك ولا خلقت البيت الذي افتخرت به؛ فقرّي واستقري...»^٢.

فما الذي أعطاه المولى سبحانه وتعالى لكربلاء؟ وأي ميزة امتازت بها عن غيرها؟ لمعرفة ذلك نسمع ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام:

«وإن أرض كربلاء وماء الفرات أول أرض وأول ماء قدّس الله تبارك وتعالى، فبارك الله عليهما فقال لها: تكلمي بما فضلك الله تعالى؛ فقد تفاخرت الأرضون والمياه بعضها على بعض. قالت: أنا أرض الله المقدسة

(١) إن الكعبة وسائر الأشياء التي تحيط بنا هي مخلوقات الله تعالى، وجميعها لها إحساس وشعور، لكن معظم البشر لا يستطيعون درك ذلك، وقد ورد في القرآن الكريم أن جميع الخلائق تسبح لله لكننا لا نفقه تسييحها.

(٢) كامل الزيارات: ب ٨٨ ص ٢٦٧ ح ٣ فضل كربلاء.



المباركة، الشفاء في تربتي ومائي ولا فخر بل خاضعة ذليلة لمن فعل بي ذلك ولا فخر على من دوني بل شكراً لله، فأكرمها وزادها لتواضعها^١.

مضايقة زوار قبر الإمام الحسين عليه السلام

لقد عزم الحكّام الظلمة ومنذ شهادة الإمام عليه السلام - عدا بعض الفترات القليلة - على منع الناس من زيارته، بل وصل الأمر إلى إيراد العقوبة على كل من يذكر اسم كربلاء.

نعم، لقد شطبوا على اسم كربلاء بالقلم الأحمر من عهد ظالم إلى من هو أظلم، وأذاقوا الكثير من الناس مختلف الآلام جرّاء ذكرهم لقضية كربلاء وإحياء اسم سيّد الشهداء عليه السلام، بل وصل الأمر بهم أن قتلوا الكثير من المؤمنين بعد أن عذبوهم بسبب قراءة مصيبة على سيّد الشهداء عليه السلام أو إنشاد بيت واحد من الشعر في حقّه عليه السلام، وكأنّهم قد غفلوا عمّا سيرونه يوم القيامة عندما يُعرض الخلق للحساب، ويثاب أولئك الذين خدموا سيّد الشهداء عليه السلام أو ذاقوا المحن وقاسوا آلام التعذيب أو سُجنوا ولو لليلة واحدة في سبيل قضيتّه عليه السلام فعندها سيتحسّر الظلمة على ما فرطوا في جنب الله تعالى أمام المقام الرفيع للإمام الحسين عليه السلام وزوّاره.

لقد كان قبر الإمام الحسين عليه السلام في الصحراء ولم يكن مرتفعاً عن الأرض سوى بقدر أربعة أصابع، ولم يكن مكتوباً عليه شيء إذ أنّهم محوا حتى كتابة الإمام السجّاد عليه السلام - وإن كان قبره الشريف في قلوب الناس لا يمحي أبداً - في محاولة لمحو أيّ دلالة يهتدي الناس بها إليه،

(١) المصدر نفسه: ص ٢٧٠ ح ١٥.



إلى غير ذلك من الأساليب التي كانوا يعاملون الموالين الوالهيين، الأمر الذي حتم على كل من يريد زيارة الإمام الحسين أن يُعدّ نفسه للسجن أو التعذيب أو القتل إذ إنّ بني أمية وبني العباس وأتباعهم كانوا قد نشروا عمّالهم يجوبون الصحراء عليهم يلمحون راجلاً أو راكباً يتّجه نحو القبر المشرف؛ ليطاردوه ويقتلوه إذا قبضوا عليه؛ الأمر الذي حدا بزوّار الإمام أن يودّعوا أهلهم وخواصّ أقاربهم، بل كان قسم منهم يكتبون وصاياهم حينما كانوا يعزمون الذهاب إلى كربلاء - التي لم تكن مدينةً بعد - لأنّهم لا يعلمون هل سيعودون ثانية، أم لا!

آنذاك وفي تلك الظروف كانت الزيارة تعني التحديّ.

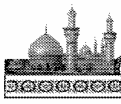
عن يونس بن ظبيان قال: قلت له (أي للإمام الصادق عليه السلام): جعلت فداك زيارة قبر الحسين في حال التقيّة^١. قال:

إذا أتيت الضرات فاغتسل ثمّ البس أثوابك الطاهرة، ثمّ تمرّ بإزاء القبر وقل صلّى الله عليك يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك يا أبا عبد الله، فقد تمّت زيارتك^٢.

ولا يقتصر الأمر على هذا، بل إنّ قراءة نفس الزيارة الجامعة أو زيارة وارث أو غيرهما، من الزيارات التي يقرأها المؤمنون اليوم بكلّ اطمئنان عند حرم سيّد الشهداء عليه السلام، كانت تعدّ جرماً، وكان أداء التحية والسلام على الإمام الحسين عليه السلام يعدّان رفضاً، ليس في العراق حسب وإنما في كلّ البلاد الإسلاميّة.

(١) أي: كيف أزور الامام الحسين مع الخوف من الاعداء وفي حال التقيّة منهم؟

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه: ٢٤٤ ح ٤ باب ٤٥. مؤسسة النشر الاسلامي، قم.



حين رأت العقيلة زينب ابن أخيها زين العابدين عليه السلام في الحادي عشر من المحرم يجود بنفسه، قالت مسلية له:

«لا يجزعتك ما ترى فوالله إن ذلك لعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جدك وأبيك وعمك عليه السلام، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها وهذه الجسوم المضرجة، وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء، لا يدرس أثره ولا يعفورسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياح الضلالة في محوه وتطميسه، فلا يزداد أثره إلا ظهوراً، وأمره إلا علواً»^١.

لفظ «إمام» يحمل معنيين أحدهما سلبي والآخر إيجابي، وقد استخدم القرآن الكريم كلا المعنيين: ﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ﴾^٢، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى التَّارِ...﴾^٣. وهم أئمة الضلال الذين كانوا يدعون الناس إلى طرق النار، وفي المقابل هناك أئمة الهدى الذين يدعون إلى الهدى والصلاح، يقول عنهم القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا...﴾^٤. يطلق لفظ «إمام» ويراد منه كل من اتهم به قوم، سواء كانوا على صراط مستقيم أو كانوا ضالين^٥، لكن قد شاع استخدامها في الماضي في البلاد الإسلامية لرجال الدين الإسلامي خاصة لتمييز بها عن

(١) كامل الزيارات ب ٨٨ ص ٢٦٢ ح ١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢.

(٣) سورة القصص، الآية: ٤١.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

(٥) انظر لسان العرب لابن منظور: ج ١٢ ص ٢٤ (مادة أمم).



غير المسلم من الملل والنحل الأخرى، فالعلماء ورجال الدين في الديانات والطوائف الأخرى لهم ألقابهم الخاصة بثقافتهم الدينية من قبيل الراهب والجاثليق والبابا والموبد^١ والقسيس والحاخام^٢ والحبر^٣، لذا فإن كلمة «إمام» تخص الثقافة الدينية الإسلامية دون غيرها وتستخدم للتعبير عن زعيم أو قائد الأمة الإسلامية.

من خلال مقارنة المسألتين المذكورتين آنفاً نستنتج أن «أئمة الكفر» هم في الظاهر مسلمون ومن الذين يدعون التمسك بالإسلام والسنة المطهرة، لكنهم في حقيقة أمرهم كفار مارقون. وتتجسد هذه الحقيقة أكثر إذا ما علمنا أن الله تبارك وتعالى قد اعتبر الكثير ممن لبسوا ثوب الإسلام ظاهرياً، كفاراً، فهؤلاء لم يكونوا وثنيين أو يهوداً أو مسيحيين أو مجوساً، بل كانوا في ظاهر أمرهم ممن يقيمون الصلاة، ومع ذلك فقد سمّاهم القرآن الكريم صراحة كفاراً في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^٤.

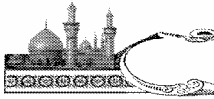
لعلّ السبب وراء هذه التسمية هو خدمتهم للكفر بشكل عملي، أي أنهم في أقوالهم وأفعالهم يوجهون الضربة للإسلام ويعرضون كرامة المسلمين للخطر، وبأفعالهم يساهمون عملياً في تقوية أركان الكفر ويقوضون أسس الإسلام. على هذا الأساس، مهما تلبس هؤلاء بظاهر إسلامي وتظاهروا بأداء أحكام الإسلام والالتزام بقوانينه، فهم في الحقيقة

(١) الموبد: صاحب معبد النار، والموبدان رئيسهم.

(٢) الحاخام: رئيس الكهنة عند اليهود.

(٣) الحبر: الرجل العالم.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٤.



خارجون عن الدين الإسلامي.

ويعود أصل انحراف هؤلاء عن جادة الهداية إلى اغتصاب حقّ الأئمة في الخلافة وتسخيرهم لأموال المسلمين في طريق محو الإيمان وإبادة المسلمين، ولم يتورّعوا عن اقتراف أي ظلم أو قول كذب أو سفك دم في سبيل تحقيق أهدافهم.

فالمقصود بعبارة أئمة الكفر الواردة على لسان السيدة زينب هم أئمة الكفر في البلاد الإسلامية الذين يسعون إلى إزالة نهج سيّد الشهداء من ضمير الشعوب وذاكرتها، بالتواطؤ مع «أشباع الضلالة» الذين يجعلون أنفسهم في خدمة أولئك الأئمة، يدفعهم إلى ذلك طمعهم وحرصهم في الحصول على شيء من حطام الدنيا أو جهلهم بالحقيقة أو عنادهم رغم ما استيقنته نفوسهم من الحق.

و كلمة «ليجتهدن» التي اتّصلت بها لام القسم ونون التوكيد تفيد سعيهم الحثيث وعزمهم الأكيد على محو اسم سيّد الشهداء عليه السلام في محاولة لطمس ذكراه.

إنّ التصديّ والقمع الذي يمارسه الظلمة تجاه سائر الأفكار والمظاهر يؤدّيان إلى إضعاف تلك المظاهر، لكنّ الأمر يختلف بالنسبة لمواكب سيّد الشهداء عليه السلام، فكلمًا اشتدّ القمع والضغط اشتدّ نورها وقويت أكثر، وكلمًا كان عدد المعارضين والمتصدّين لمنعها يزداد، كان عدد المواليين والقائمين على إحيائها يزداد أيضًا.

ففي الماضي كانت الشعائر والمجالس الحسينية مقتصرة على المناطق الشيعية، وأحيانًا بعض المناطق الإسلامية، أمّا الآن، ورغم السياسات التي اتّبعَت لمحو هذه الشعائر، نرى أنّ النطاق الجغرافي لإقامة هذه المراسيم



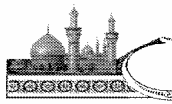
اتَّسع ليشمل مختلف أرجاء العالم بما فيها البلاد غير الإسلامية، وهذا هو معنى (الظهور) الوارد في كلام السيدة زينب. ونتيجة لهذا الانتشار، أصبح الذين لم يسمعوها باسم الإمام الحسين عليه السلام يتعاطفون معه ومع أهداف قيامه في محاربة الظلم، وبدأوا يدخلون في الإسلام، وأصبحوا هم أنفسهم عاملاً مهماً في إقامة هذه الشعائر.

نقطة أخرى تشير إليها السيدة زينب أيضاً وهي علو الأمر (وهو كل ما يرتبط بالموكب الحسينية). ففي الأيام السالفة كانت مجالس العزاء تقام في المحلات السكنية والحسينيات والتكايا و... إلخ، فكان الحاضرون لهذه المراسم فقط هم الذين يشهدون وقائعها، أما اليوم، وفي ظل تقدّم وسائل الإعلام والاتّصال، يمكن لجميع الناس مشاهدتها عن طريق الوسائل المختلفة المسموعة والمرئية، وأن يشهدوا وقائعها عن كثب، وهذا هو معنى علو الأمر.

لقد انقلب الأمر اليوم بفضل الله تعالى وبفعل التحديات الصارخة والتضحيات الباذخة للموالين، ففي العصر الحاضر لا تجدون في العالم مكاناً ليس فيه لسيد الشهداء عليه السلام علم، ولا دولة إلا وتعدّد فيها مجالسه.

أخبرني أحد المؤمنين الذين وُفقوا لزيارة الإمام الحسين في يوم عرفة بأنّه لم يستطع الزيارة في الصحن الشريف فاضطرّ لقراءة الزيارة من أحد السطوح المشرفة على المشهد الشريف.

حقيقة الأمر أنّ الله تعالى قد خصّ سيّد الشهداء عليه السلام بأمر، منها: تلك الدموع التي تذرّفها عيون الناس لمصابه فضلاً عن بكاء الملائكة ونوح



الجنّ وحزن السماء والأرض وغيرها بل تعدّى الحال لأن تكتب الكتب وتنشر المقالات وتنظم الأشعار لمصابه عليه السلام حتى من قبل غير الموالين وغير المسلمين.

نقل أحد الوعاظ، قال: شاهدت أحد عبدة الأصنام في بعض البلاد؛ كان شاعراً قد نظم شعراً لأبي عبد الله الحسين عليه السلام وقد رأيت شخصياً الجزء الثاني من ديوانه، فرغم أنه لا يعتقد بالله تعالى إلا أنه أنجز ديواناً في حقّ سيد الشهداء عليه السلام وإن أمثال هذه الأعمال تعدّ بالمئات إذا تتبّعها أحد.

وهذا بحدّ ذاته مدعاة لأن نقندي بأهل البيت عليهم السلام وأن نسير على خطاهم ونتبع وصاياهم، وإلا فحتى غير المسلمين يقولون: إن الإمام الحسين ليس إمامكم وحدكم بل إمامنا ورائدنا نحن أيضاً.

مقام أنصار الإمام الحسين عليه السلام وزوّاره

إنّ من بركات سيّد الشهداء عليه السلام أنه يكافئ كلّ من يقدم شيئاً في طريقه، وبالمقابل - والعياذ بالله - فإنه يُجازى في الحياة الدنيا كلّ من يخطو خطوة في محاربتة أو يكتب كلمة تحول دون خدمته، ناهيك عن جزاء الآخرة.

فمن الملفت للنظر عند تتبّع أحوال حوارى رسول الله ﷺ أمثال أبي ذر الغفاري أو حوارى أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام وحوارى غيرهم من الأئمة الأطهار عليهم السلام أنه لانجد ولو زيارة واحدة تتضمن ذكرهم

(١) راجع أسرار الشهادة للرشدي: ج ٣ ص ٤٧١ - ٤٧٣ (ط. دار ذوى القربى - قم).



- على جلالة قدرهم - أمّا بالنسبة لأصحاب الإمام الحسين عليه السلام فقد ورد ذكرهم في زيارته عليه السلام، زيارة عاشوراء:

«السلام عليك يا مولاي وعليهم وعلى روحك وعلى أرواحهم وعلى تربتك وعلى تربتهم»^٢.

هكذا يصنع القرب من الإمام الحسين عليه السلام، بحيث إنّ كلّ من زاره - بمن فيهم الأئمة المعصومون عليهم السلام كما هو الحال مع الإمام الباقر عليه السلام الذي رويت عنه تلك الزيارة - تجده قد سلّم على التربة التي دُفن فيها أنصار الإمام الحسين عليه السلام.

ولا يخفى أنّ في أصحاب الإمام الحسين من لم يكن قبل مناصرته للإمام عليه السلام كعمّار بن ياسر ومالك الأشتر ومحمد بن أبي بكر في ولائهم، بل كان فيهم من هو عثمانيّ الهوى كزهير بن القين، والقائد الأمويّ كالحرب بن يزيد الرياحي والنصراني المذهب مثل وهب.

هكذا هي مدرسة الإمام الحسين عليه السلام قد انضمت في طياتها مختلف المذاهب والأطياف، فجعلت ممّن كان عثمانيّ الهوى بمرتبة من يسلم على تربته، وكذا الحال بالنسبة للنصراني والأمويّ، فهي مدرسة عظيمة تحاكي عظمتها عظم مؤسسها عليه السلام.

لذا ينبغي لنا نحن الذين لم نوفّق لدرك زمانه، أن نسير على خطى أنصاره الذين بذلوا مهجهم دون مهجته.

(١) قال الإمام الحسين عليه السلام في عظمة أصحابه: فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي... - الإرشاد للمفيد: ج ٢ ص ٩١ - .

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ٤١٢ ح ١٦، مقطع من زيارة يوم عاشوراء (كتاب الحج).

ونقيض ذلك ما ورد بحق أعدائه، فقد ورد بشأنهم في الزيارة نفسها:
«والعن أرواحهم وديارهم وقبورهم...»^١.

شروط مهمة

ولكي نكون مخلصين لله تعالى وأوفياء في المودة لذي القربى عليه السلام يلزم:

أولاً: أن نتعلم الإخلاص من سيد الشهداء عليه السلام ونسعى في تطوير المجالس الحسينية^٢ في الهيئات وفي المنازل إلى الأفضل وعلى جميع المستويات ولا ندع الخلافات وغيرها تحكمنا، خاصة وإن الشيطان وأعدائه يسعون جاهدين لإفساد خدماتنا، بل ليكن نظرنا دائماً إلى سيد الشهداء عليه السلام.

ثانياً: علينا أن لا نقصر في قضايا الإمام الحسين عليه السلام، فعلى أصحاب الأموال أن يبذلوا أموالهم، والمتكلمون عليهم أن يشدوا قلوب الناس بألستهم، والكتّاب لا يتوانوا في كشف الحقائق بأقلامهم. وإلا فإن من يقصر في قضية الإمام الحسين عليه السلام ستكون عاقبته الندامة ولا بد أن يأتي يوم يتحسر فيه.

ثالثاً: ثمة قضية اعتبرها مسؤولية ثقيلة ووظيفة شرعية على عاتقي لا بد لي من بيانها وهي: أن أحكام الله تعالى مهمة ومقدسة للغاية، بحيث إن

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ٤١٢ ح ١٧ كتاب الحج.

(٢) فإن الشعائر الحسينية من شعائر الله والله تعالى يقول: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ - سورة الحج، الآية: ٣٢ - .



سيد الشهداء عليه السلام على جلاله قدره وعلو مقامه قد ضحى من أجلها بكل غال ونفيس.

ولم يقتصر الأمر على بذل نفسه، وإنما قدم أمامه جميع أهل بيته وأنصاره، ولولا هذه التضحيات لما وصلت إلينا الأحكام الشرعية ولضاع دين الله تعالى.

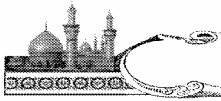
إنّ اللعب والعبث بأحكام الله تعالى يستتبع عواقب وخيمة، فحتى رسول الله ﷺ الذي هو أشرف الأنبياء والمرسلين — والذي خاطبه الباري تعالى في الحديث القدسي: «يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك»^١ - قال بالنسبة إليه في القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿١﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٢﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٣﴾﴾.

وكما تعلمون أنّ (لو) أداة امتناع لامتناع وهي تستعمل لبيان عدم تحقق ما بعدها؛ لوجود المانع في نفس المحل، ولذا فإنّ قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾ معناه أنّ الرسول الأكرم ﷺ لا يتقول، ولكن من باب (فرض المحال ليس بمحال).

فهذا ليس توهيناً من عند الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ - والعياذ بالله - وإنما هو بيان لمقام الأحكام والأمانة في تنفيذها، فضلاً عن عدم المحاباة في هذا الأمر. فلو أنّ الرسول الأعظم ﷺ مع مقامه العظيم تقول وبدل أحكام الله لما عداه السخط الإلهي. كما لا يخفى أنّ هذا الخطاب هو من باب: (إياك أعني واسمعي يا جارة).

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٢١٦.

(٢) سورة الحاقة، الآية: ٤٤.



لذا يجب علينا جميعاً عدم الإخلال والتهاون بوظيفتنا الشرعية تجاه الأحكام الإلهية والسنن المطهّرة لرسول الله وأهل بيته عليهم السلام والالتزام بها بيننا وبين الله تعالى، وأن نسعى جاهدين ألا نخرج عن حدود أحكام الله وأن لا نبتعد عن الإمام الحسين عليه السلام فإنّ بعض الأمور غير قابلة للإصلاح فيما لو صدرت بدون تدبّر.

على سبيل المثال: ذكر جماعة من العلماء القدامى والمتأخرين أنّه إذا كان شخص يقلّد مجتهداً وصديقه يقلّد مجتهداً آخر، وكان فتوى مجتهدة في مسألة ما بالحلية بينما كان نظر المجتهد الآخر بالحرمة فلا يحقّ له أن يدعو الآخر للعمل وفق رأي مجتهدة بالحلية، لأنّه إذا ارتكب هذا الآخر خلاف رأي مجتهدة فإنّه يكون قد ارتكب الحرام وكذلك يكون قد ارتكب الحرام لأنّه أغراه بالحرام.

وكذا الحال لو كان أحد المجتهدين يفتي بالوجوب والمجتهد الآخر يفتي بعدم الوجوب. وقد صرّح بعض العلماء أنّ من يفعل ذلك تسقط عدالته.

إنّ سيّد الشهداء عليه السلام استشهد لإحياء أحكام الله تعالى، فلنسعّ نحن بدورنا لصيانة هذه الغاية العظيمة والمحافظة على ثمارها. أسأل الله تعالى بحقّ سيّدنا أبي عبد الله أن يوفّقنا لذلك.

مآثر خالدة

أمّا عبارة: «لا يدرس أثره»، فمعناها أنّ المآثر التي أتى بها سيّد الشهداء عليه السلام هي مآثر خالدة لا تمنحي ولا تندرس، وستظلّ باقية كعلامة وضاءة في طول التاريخ لا يزيدتها تقادم الزمان إلاّ تألقاً وسطوعاً، إنّها بلا

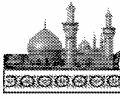


شكّ معجزة إلهية لم تتح لأحد غير سيّد الشهداء عليه السلام.

من الطبيعي أن يكون للإنسان أصدقاء وأعداء، أصدقاؤه يرجون خيره وصلاحه، وأعداؤه يسعون في الكيد له والقضاء عليه ومحو ذكره. وهذا ينطبق أيضاً على سيّد الشهداء عليه السلام، مع فارق أنّ أعداءه هم من الحكّام الظلمة والمستبدين وهم بطبيعة الحال قلة قليلة، فالشعوب لا خصومة لها مع سيّد الشهداء عليه السلام - حتى أنّ الكثير من أتباع الأديان الأخرى يكتنون له محبة واحتراماً - . هناك ملاحظة يجب الالتفات إليها وهي أنّ أعداء الإمام الحسين عليه السلام على مدى التاريخ كانوا من أصحاب القوة والنفوذ، من جملتهم هارون والمتوكّل - من حكّام بني العباس - اللذين كانا على رأس أعظم امبراطورية على وجه الأرض، وكانا يحظيان بالمال والسلاح والسطوة، وعملاً كلّ ما في استطاعتهما لمحو اسم الإمام الحسين عليه السلام وذكره لكنهما لم يفلحا، فبقي اسمه يتردّد على كل لسان وذكره حيّاً في ضمائر الشعوب.

لقد عقد أعداء الإمام عليه السلام - بدءاً بابن سعد وابن زياد ويزيد وغيرهم - العزم على محو ذكره، ووظفوا كل قدراتهم وطاقاتهم لتحقيق هذا الهدف، فقتلوه أفجع قتلة وعملوا ما في وسعهم لإزالة أيّ أثر له، وكمّموا الأفواه كي لا يجرؤ أحد على ذكر اسمه الشريف. بعد كلّ هذه السياسات الجائرة، انظر كيف خلد ذكر الإمام في قلوب الشعوب وذاكرتها، وازداد بريق اسمه يوماً بعد يوم! سرّ ذلك يكشفه لنا هذا الحديث الشريف:

ثم يبعث الله قوماً لا يعرفهم الكفّار لم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نيّة فيوارون أجسامهم ويسيّمون رسماً لقبير سيّد الشهداء بتلك



البطحاء يكون علماً لأهل الحق وسبباً للمؤمنين إلى الفوز وتحققه ملائكة من كل سماء مائة ألف ملك في كل يوم وليلة ويصلون عليه ويطوفون عليه ويسبحون الله عنده ويستغفرون الله لمن زاره ويكتبون أسماء من يأتيه زائراً من أممك متقرباً إلى الله تعالى وإليك بذلك وأسماء آبائهم وعشائرتهم وبلدانهم ويوسمون في وجوههم بميسم نور عرش الله هذا زائر قبر خير الشهداء وابن خير الأنبياء، فإذا كان يوم القيامة سطع في وجوههم من أثر ذلك الميسم نور تغشى منه الأبصار يدلّ عليهم ويعرفون به وسيجتهد أناس ممن حقت عليهم اللعنة من الله والسخط أن يعفوا رسم ذلك القبر ويمحوا أثره فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلاً^١.

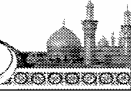
محاولات الظلمة التملص من جرائمهم

المثير للسخرية ما روي عن زعم يزيد أنه لم يكن لديه علم بما جرى في كربلاء واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وأنه حمل ابن زياد مسؤولية واقعة الطف. ولكن أتى له أن يتنكر لمسؤوليته عما حدث، فذلك أوضح من الشمس في رابعة النهار، وكان الرسول الكريم صلى الله عليه وآله يعلم بهذه المسؤولية، لذا كان يقول: «ما لي وليزيد؟»^٢.

لقد اعتاد الحكام الظلمة استخدام مثل هذه الألاعيب والمناورات وذلك بإلقاء مسؤولية جرائمهم وموبقاتهم على حاشيتهم ومن هم أدنى

(١) كامل الزيارات: باب ٨٨ ص ٢٦٥.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٦٦ الحديث ٢٤.



منهم؛ وذلك لتبرئة أنفسهم وخذاع الشعوب بأنها من فعل الحاشية والصغار وأنهم لم يحيطوا بها علماً، بينما الرأس هو أصل المفسد والموبقات، وقد نُقل حديث الرسول الكريم ﷺ حول استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في قوله: «ما لي وليزيد»، وكفى بهذا دليلاً على مسؤولية يزيد المباشرة عما حدث من فجائع في كربلاء.

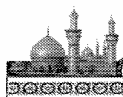
إذا أجمع الطغاة والمستبدون على فناء شخص ما، وخلدته صفحات التاريخ فذاك دليل على حَقانِيَّة ذلك الشخص، ولاشكَّ أنها معجزة إلهية لسيد الشهداء عليه السلام وبرهان مظلوميته وحقيقته، وإنَّ في ذلك لَعبرة لأولي الألباب.

وصايا لمقيمي الشعائر الحسينية

ختاماً نذكر ببعض الملاحظات والوصايا لمقيمي الشعائر الحسينية والقائمين عليها:

١. استغناء الإمام سيد الشهداء عليه السلام

يجب أن نعلم بأنَّ الإمام الحسين عليه السلام غنيٌّ عنَّا. فالمعصومون هم ذوات مقدّسة، وهم نور الله وسبب سكون خلقه، لذا فهم في غنى عن العالمين، إلاَّ الله سبحانه وتعالى. نحن الذين نحتاجهم في الأمور، فإنَّ وفَّقنا في إحياء شعائرهم وذكرهم فتلك نعمة من الله علينا، وفضل جاد به أئمَّتنا عليهم السلام فشمّلونا بعطفهم وأدخلونا في كنفهم. وإذا انتابنا الكلال يوماً في هذا الطريق وشعرنا بالافتقار عن بذل المزيد في إقامة مراسيم العزاء الحسينية، فإنَّ ذلك ليكون لنا بمثابة ناقوس الخطر الذي ينبِّهنا لئلاَّ نخاطر بالتفريط بهذا العمل العظيم فنحرم أنفسنا من الثواب الجزيل بعد



أن قضينا عمراً في خدمة البيت الحسيني.

فالسعيد من سعد بمجاورة البيت الحسيني ووُفق في خدمته.

في أدعيتنا في شهر رمضان المبارك نقول: «ولا تستبدل بي غيري»^١، وهذه العبارة مهمة جداً للقائمين على مجالس العزاء الحسينية على الرغم من مكانتهم المرموقة، يجب أن يتنبهوا إلى معناها ويدعوا الله أن يوفقهم لاستمرار خدمة أهل البيت عليهم السلام حتى الرmq الأخير.

يخبرنا التاريخ عن الذين رافقوا الإمام الحسين عليه السلام في رحلته من المدينة ومكة حتى العراق ولكن قبيل يوم عاشوراء وهن عزمهم وتراجعوا عن نيّتهم فاعتذروا من الإمام عليه السلام ورجعوا، وهناك جمع كبير تحرك باتجاه العراق مباشرة في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة ولم يعد إلى مكة وذلك ليحظى بشرف الوقوف إلى جانب أبي عبد الله عليه السلام ضد أعدائه، ولكن من هذا العدد الكبير استطاع نفر قليل فقط أن يحظى بتوفيق الشهادة في جيش الإمام عليه السلام، وهناك من طلب الشهادة في نصره سيّد الشهداء عليه السلام ونالها بالفعل رغم ما كان عليه من تباين الهوى والمعتقد من أمثال زهير بن القين الذي كان عثمانياً والحرّ الرياحي الذي كان من قادة الجيش الأموي ورجل مسيحي هو وهب بن عبد الله بن جناب الكلبي.

٢. السير في طريق الأهداف الحسينية

ومن مسؤولية الجميع - على الأخص القائمين بأمر العزاء الحسيني - معرفة الأهداف التي جاهد من أجلها الإمام الحسين، والسعي إلى تفعيلها

(١) الكافي: ج ٤ ص ١٦٢ حديث ٣.



والاستفادة من ثمارها.

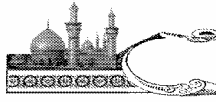
إننا إذا بذلنا الجهود في سبيل تعريف الإسلام وإيقاف الناس على تعاليمه السمحاء فقد سرنا على طريق أهداف أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فلندعوا غير المسلمين إلى الدخول في الإسلام، أو غير الشيعة لأن يستبصروا، ولنعمل على تثبيت قلوب ضعيفي الإيمان من الشيعة، ودعوتهم إلى الصلاح والاستقامة في عقيدتهم وعملهم، وبذلك نكون قد ساهمنا في تطبيق تلك الأهداف المضيئة، ولن تكون هذه الأعمال أقل قيمة أو ثواباً من إحياء مجالس العزاء الحسينية، يقول الإمام الحسين عليه السلام عن نهضته:

«... أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدِّي صلى الله عليه وآله وسيرة أبي علي بن أبي طالب عليه السلام»^١.

ومن مسؤوليتنا - خاصة القائمين منا على مواكب العزاء - أن نتعلم أحكام الله تعالى، من قبيل تفسير القرآن الكريم، ومسائل الحلال - والحرام، والآداب والأخلاق وسائر التعاليم الإسلامية وأن نعلمها الآخرين.

لقد ضحى الإمام الحسين عليه السلام بدمه الزكي من أجل إقامة شريعة الله وأحكامه، ويجب على أتباع مدرسة الإمام عليه السلام أن يسيروا في الطريق نفسه. ولا ننسى بأن أحكام الله لا تتعلق بالصلاة والصوم والخمس والزكاة والحج فقط، فمعارف أهل البيت عليهم السلام بحر لا ينفد كلُّ يغترف منه بمقدار حاجته وقدرته. إن إقامة جلسات تعليم الأحكام الإلهية وتفسير

(١) نفس المصدر: ج ٤٤ ص ٣٣٠.



القرآن الكريم ونشر الكراسيات الدينية تعدّ من طرق نشر المعارف الإسلامية وتعريف الجميع بمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

٣. الإخلاص في العمل

التحلّي بالإخلاص هو الأساس لكلّ من نذر نفسه للسير على نهج الإمام أو أراد أن يستظلّ بخيمته عليه السلام.

ففي الوقت الذي كان فيه بدن سبط رسول الله صلى الله عليه وآله في شدة الألم من أثر الرماح والسيوف، وأهل بيته - أخواته ونساؤه وأطفاله - تحاصرهم نيران وسياط بني أمية وكان الأعداء يستعدّون لقتله، تحت وطأة كلّ هذه الأوضاع العصبية التي تستعصي على الوصف ترى الإمام عليه السلام يدعو: «اللهم أنت ثقتي في كل كرب»^١.

هذه الكلمة تمثّل قمة التسليم والإخلاص لله تعالى، وجدير بنا نحن أيضاً أن ننتهج النهج نفسه في أعمالنا عند خدمتنا في البيت الحسيني، وأن لا نتوخّى غير إعلاء اسمه وذكره وأهدافه. إذا كانت هناك اختلافات بيننا فلا نعكّر صفو المجالس الحسينية بها، ويجب أن تكون الخلافات والمقالات وجميع قضايانا الشخصية خارج البيت الحسيني، وأن نكرّس ذلك البيت لإقامة مراسيم العزاء وإحياء الشعائر الحسينية فقط.

٤. اجتناب المعاصي

والنقطة الأهمّ التي يلزم الاهتمام بها هي اجتناب المعاصي، وتزداد أهميتها بالنسبة للمعزّين في شهر محرّم الحرام. يجب علينا اجتناب

(١) نفس المصدر ج ٤٥ ص ٤.



المعاصي - مهما بدت صغيرة - ويجب قبل هذا تشخيص المحرّمات والمعاصي، لأنّ من يجهل حدود الحلال والحرام وتنقصه المعرفة اللازمة في هذا المجال، لا يستطيع حفظ نفسه عن الوقوع في المعاصي، من هنا فمن اللازم أن يتعلّم الإنسان المحرّمات غير المعروفة أيضاً لينأى بنفسه عنها، على سبيل المثال، إعانة الظالمين بأيّ نحو كان، هي من المحرّمات غير المعروفة.

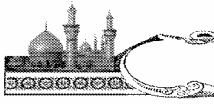
صفوان الجمّال هو أحد أصحاب الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام وسمّي بالجمّال لأنّه كان يعتاش عن طريق إكرائه الجمال للمسافرين، قال له الإمام الكاظم عليه السلام يوماً:

كلّ شيء منك حسن جميل إلا إكراؤك جمالك من هذا الرجل - يعني هارون -^١.

قلّما ورد مثل هذا الإطراء والمدح في أحد من الأصحاب وهو يدلّ على سموّ منزلة صفوان وولائه لأهل البيت عليهم السلام. وفي الوقت ذاته لا يظنّ أحد أنّ هارون كان بحاجة إلى إبل صفوان، إنّه لم يكن بحاجة لا إلى صفوان ولا إلى إبله، وإنّما كانت عينه على شيء آخر، وإنّه كان على علم بولاء صفوان لموسى بن جعفر عليه السلام، لذلك كان يفعل ذلك علّه يجذبه إليه فيتردّد عليه مرّة أو مرّتين في العام ويبعده عن الإمام عليه السلام، لكن الإمام عليه السلام لم يُجز حتى هذا الاتصال الضعيف حينما سأل صفوان قائلاً:

أترغب أن يرجع هارون من حجّه سالماً فينقذك مبلغ كرايته لإبلك؟

(١) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٢٥٩ حديث ٢١٥٠٨.



فأجاب صفوان: بلى. لكن عندما ذكر له الإمام عليه السلام عدم جواز هذا المقدار من الرغبة، قرّر صفوان بيع جميع إبله. الإمام عليه السلام كان يعلم أنّ هذه الخطوة لن تؤثر على هارون وأعماله، لكنّه أراد أن تكون صحيفة صفوان خالية من هذا الذنب المغفول عنه.

يروى أيضاً أنّ أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام كان بناءً بني عمارات كثيرة من جملتها قصور فخمة لحكام بني العباس وبيوت فارهة ومساجد. جاء هذا الشخص يوماً إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال له: يا ابن رسول الله، سأمتنع من الآن فما بعد عن بناء القصور لبني العباس وسأكتفي ببناء المساجد لهم. فقال له الإمام عليه السلام:

لا تغنهم حتى في بناء مسجد^١.

فكان ذلك جواباً واضحاً من الإمام في الامتناع عن إعانة الظالم حتى في بناء المساجد.

فالجدير بالقائمين بأمر إحياء الشعائر الحسينية أن ينحّوا بأنفسهم عن ارتكاب المحرّمات أيّاً كانت، وأن يتجنّبوا المعاصي المستترة عن العيان أيضاً. وليجعلوا محور أعمالهم قضية الإمام الحسين عليه السلام وما يتعلّق بها فقط ويتجنّبوا الانشغال في قضايا أخرى خارجة عن هذا الإطار وأن لا تكون هذه المجالس مسرحاً للنزاعات والاختلافات وتصفية الحسابات الشخصية والمناوشات الكلامية.

٥. أسلوب الدعوة وأهميته

الأمر الآخر المهمّ هنا هو أسلوب الدعوة ودوره في إقامة الشعائر

(١) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٣٣٨.



الحسينية، إذ يأتقانه يمكن إنجاز الكثير من الأعمال وتقديم أحسن الخدمات، إذا ما أجاد المتصدّي كيفية استقطاب الأفراد ودعوتهم إلى المشاركة في العزاء، فبعضٌ ينبغي حثّه على حضور المجالس والاستماع إلى المرثي والمشاركة في مراسيم اللطم، وبعضٌ آخر يتمّ تشجيعهم على المساهمة المالية من خلال إهداء التبرّعات - مهما كان حجمها - إلى مجالس العزاء، أو منح الفرصة لأولئك القادرين على تقديم مختلف الخدمات إلى المعزّين لأنّ يقوموا بهذه المهمّات والمساهمة في خدمة ضيوف أبي عبد الله عليه السلام.

المهمّ أن يستحضر الجميع - كلّ حسب موقعه - الواجب الملقي على عاتقه في هذا المجال، وألاّ يتوانى عن ذلك، وأن يحصّن نفسه من اليأس بفعل وساوس الشيطان.

ومن المسائل المهمّة، هي المساهمات المالية التي يجب ألاّ نستصغرها، فلا يخجل الإنسان من المساهمة المالية وإن قلّ المبلغ الذي يتبرّع به، فالبحر يتكوّن من اجتماع القطرات، وما يدريك، لعلّ في هذه المبالغ الصغيرة من البركة والخير ما لا تتوافر عليه المبالغ الكبيرة، لذا يجب تشجيع أيّ مساهم مهما كان حجم مساهمته صغيراً أو كبيراً، وأن توظّف هذه التبرّعات في إقامة مجالس العزاء على أحسن وجه. ففي هذا العمل كرامة وشرف كبيران، وفي الواقع إنّ المشاركين في إقامة هذه المجالس سواء من تبرّع بالمبلغ أو جمعه أو الذي هيّأ مستلزمات العزاء، فجميعهم لهم أجر كريم.

أمّا الذين لهم الاستطاعة المالية ويرفضون دعوات التبرّع المالي فأقلّ ما يقال عنهم أنّهم محرومون من هذا الثواب وهذه السعادة، وبالتالي لا



ينبغي الإلحاح في الطلب إليهم، لأنه أحرى بالإنسان أن يبادر بنفسه إلى هذه الكرامة العظيمة.

على الجميع أن يسعوا لإقامة مجالس العزاء على أحسن وجه، وأن يبذلوا جهودهم لإخراجها بأحسن صورة ممكنة.

٦. إنقاذ الناس من الضلال

النقطة الأخرى العمل على تحقيق هدف نهضة الإمام الحسين عليه السلام المتمثل بإنقاذ الناس من الضلالة^١.

إنّ هدف نهضة الإمام سيّد الشهداء عليه السلام يتلخّص في هذه العبارة العظيمة، لقد أراد أن ينقذ الناس من جهلهم وضلالهم، لذلك على القائمين بأمور العزاء الحسيني أن يضعوا هذا الهدف المقدّس نصب أعينهم وأن يسعوا إلى تحقيقه كما أراد الإمام عليه السلام. من هذا المنطلق يجب أن تتنوع مجالس العزاء في مضامينها لتضمّ قراءة المراثي وإقامة العزاء، وبيان الأحكام الشرعية وتناول التاريخ الإسلامي ومعارف أهل البيت عليهم السلام، وبيان فلسفة نهضة سيّد الشهداء عليه السلام ومكتسباتها، ليكون المعزّون قد تلقّوا تثقيفاً دينياً مناسباً.

فينبغي ذكر بعض القصص التاريخية البسيطة عن أهل البيت عليهم السلام وإلقاء بعض المفاهيم الأخلاقية والأدبية الخاصة بالأطفال، بالإضافة إلى تناول بعض الأحكام الشرعية الخاصة بالنساء في المجالس الخاصة بهنّ، وكذلك إصدار بعض الكراسات العلمية، هذه بعض الطرق الكفيلة

(١) كما في الرواية: «وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة». تهذيب الأحكام ج ٦ ص ١١٣.



بتوسيع الخلفية الثقافية للمشاركين في المجالس وخدمة الأهداف السامية التي نهض من أجلها الإمام عليه السلام، وهي التنوير وإنقاذ الضالين من ضلالهم.

أسأل الله سبحانه وتعالى ببركة الإمام الحسين عليه السلام أن يديم علينا توفيق المشاركة في إحياء المراسيم الحسينية، وأن يضاعف النور الحسيني في قلوبنا يوماً بعد يوم، وأن يحشرنا مع الذين تلاقت أهدافهم مع أهدافه السامية في إنقاذ الناس من الجهل والحيرة والضلال. ووصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.



لنتنافس في إحياء الشعائر الحسينية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين*.
قال الله تعالى: (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)¹.

هذه الآية الكريمة وإن كانت تشمل مطلق الأعمال الصالحة - والمقصود بها التنافس في درجات الجنة - إلا أنّ من مصاديقها المهمّة إحياء ذكر الإمام الحسين عليه السلام وتعظيم الشعائر الحسينية. وهذا التنافس يشتدّ عند أهل العلم من حيث إنّ كلّاً منهم يتبعه أو يستفيد منه ويسترشد بأرائه جماعة من الناس.

إنّ عظمة قضية الإمام الحسين عليه السلام وخصوصيّتها من القضايا المتسالم عليها؛ لأنّ الموارد التي خصّه الله تعالى بها سواء على صعيد التشريع أو التكوين كثيرة ومشهورة.

ومن تلك الموارد المشهورة «الاستشفاء بتربة الإمام الحسين عليه السلام»،

(*) القى المرجع الديني سماحة آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي عليه السلام هذه الكلمة على جمع من علماء ومبلّغي إصفهان الذين قاموا بزيارته في بيته المكرّم بمدينة قم المقدّسة في السابع والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام ١٤٢٧ للهجرة، للاستفادة من إرشادات سماحته القيّمة.
(١) سورة المطففين، الآية: ٢٦.



فمع أنّ أكل التراب والاستشفاء به حرام مطلقاً ولو كان من تراب قبور المعصومين عليهم السلام، إلا أنّ تربة قبر الإمام الحسين عليه السلام وحدها مستثناة، فقد جعل الله تعالى فيها الشفاء وخرجت من الحرمة إلى الاستحباب.

بل إنّنا لم نسمع أية رواية عن استشفاء الأئمة عليهم السلام بأيّ تراب حتى تراب قبر أمّهم الزهراء عليها السلام أو جدّهم المصطفى صلى الله عليه وآله أو تراب قبور أئمّة البقيع عليهم السلام، ولا حتى تراب الكعبة وهي البقعة التي شرفها الله تعالى بأن نسبها إليه، إلا ما هو المشهور عن استشفائهم بتربة جدّهم الإمام الحسين عليه السلام.

وهناك قصص كثيرة تحكي الاستثناءات التكوينية والتشريعية لقضايا أبي عبد الله الحسين عليه السلام، لا أريد أن أعود إلى المدوّن منها في كتب التاريخ، ولكن سأنقل بعض ما حدث في التاريخ القريب غير المكتوب.

إحياء مراسم عاشوراء أفضل حتى من طلب العلم

● من تلك القصص - على سبيل المثال - ما عاصرها السيد الوالد قدس الله روحه في سامراء - والقصة تعود إلى زهاء قرن منذ الآن - قال: جرت عادتنا - نحن أهل العلم - أن نعطلّ الدروس والمباحثة منذ اليوم الأول من المحرم حتى الثالث عشر منه رغم أنّنا نعتقد أنّ عملنا في الحوزة من الدرس والتدريس والمباحثة هو واجب عينيّ. وكنا ننشغل بمراسم ومجالس العزاء لأبي عبد الله الحسين عليه السلام، فنشارك في مجلس للعزاء والطم في المدرسة، وحتى الوقت المتبقيّ كنا نصرّفه في المباحثة والكتابة حول سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام وقضيّته أو في مطالعة الكتب التي في هذا الشأن مثل كتاب «القمقام الزخار» أو ما جاء في



كتاب «بحار الأنوار» حول الإمام الحسين عليه السلام وقصة استشهاده.

وفي إحدى السنوات فكّر أحد الطلبة في هذا الأمر ورأى أنه لا ضرورة للانقطاع عن الدرس خلال هذه الأيام، وكان من الطلبة المجدين والمتدبّنين، فقرر أن يقتصر على حضور المجلس الذي يقام في المدرسة، وبمجرد أن ينتهي المجلس وينزل الخطيب من المنبر، يدخل إلى غرفته ويواصل مطالعة دروسه السابقة ويحضّر للدروس اللاحقة، أما التدريس والحضور للدرس عند أحد والمباحثة فهذه كانت معطّلة بطبيعة الحال. ولذا خاطب نفسه: ماذا سيضرّ لو استغدت من الوقت لإحراز تقدّم في الدرس، مع أنني أحضر المجلس، كما أنني لا أدعو أحداً ليشاركني في الدرس أو التدريس ولا في المباحثة، ومن ثمّ فإني لا أؤثر بتفرّغي وحدي للمطالعة والكتابة والمراجعة، على حضور المجالس والمشاركة في مراسم العزاء خاصّة وأنّي لا أخبر أحداً بذلك.

وبعد أن انتهت أيام عاشوراء، وفي اليوم الحادي عشر من المحرم، وإذا بهذا الطالب يعاني من آلام شديدة في عينيه، ولم ينفع معها العلاج، وحُرم من الدرس والمطالعة، واستمرّت حالته حتى يوم العشرين من المحرم، وإذا بالألم يزول واستطاع أن يعود إلى الدرس. فكانت مدّة حرمانه من الدرس مساوية لمدّة انقطاع سائر الطلبة، ولكنه حُرّم الأجر الذي حصلوا عليه بالمشاركة في مراسم عشرة عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام، وأدرك أن تلك المراسم والمشاركة فيها مفضّلة حتّى على دراسة العلوم الدينية مع ما للأخيرة من الشأن والأهميّة، واعتبر بما جرى له.



كرامة لزائري أبي عبد الله الحسين عليه السلام

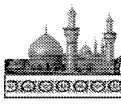
● نقل لي بعض الإخوة العراقيين الذين يفدون لزيارة الإمام الرضا وأخته المعصومة عليهما ما شاهدوه بأنفسهم وما وقع لهم من كرامات أبي عبد الله الحسين عليه السلام بسبب إحيائهم ذكره وإقامة مراسيم العزاء عليه.

قالوا: عندما منع طاغية العراق (صدام) السير على الأقدام لزيارة الإمام الحسين عليه السلام لم يبال المحبّون واستمروا يتوافدون على كربلاء، فنشرت الطائرات والدبابات والجنود على الطرق المؤدية إلى كربلاء من النجف والحلة والكاظمية... واعتقلوا كثيرين وأعدموهم، لتحذير الناس وتخويفهم ومنعهم من الاستمرار.

واستمرّ المنع واشتدّ حتى سقط صدام ونظامه، أي دام أكثر من عشر سنين، استشهد خلالها كثير من الزوار، لأنّ شرطة أمن النظام كانوا إذا لمحو زائراً ماشياً إلى كربلاء أطلقوا عليه الرصاص وقتلوه في الحال، أو كانوا يعتقلونه ثم يعدمونه؛ فعدل الزوار عن السير على شكل جماعات، إلى السير فرادى، أو مثني وثلاث؛ ولذلك - يقول ناقل القصة - :

كنا ثلاثة أفراد - ذاهبين سيراً على الأقدام لزيارة الإمام الحسين عليه السلام قبل سنتين من سقوط النظام - نسير نهاراً لكي نستطيع الاختباء خلف الأشجار أو في البرك إذا لمحنّا دوريات الأمن من بعيد، أمّا في الصحاري فكنا نتحرّك ليلاً حتّى إذا رأينا نوراً أو شيئاً من بعيد نهرب بسرعة أو نرتمي على الأض أو نختبئ خلف هضبة أو حجر وما أشبهه، ولم نكن نحمل معنا شيئاً حتّى الخبز لنكون خفيفي الحركة إذا طاردنا الظلمة، فنستطيع الفرار.

وفي الطريق إمّا نحصل على غذاء أو نأكل من علف الصحراء.



وفي إحدى الليالي، وبينما كنا نسير لمحنا أضوية من بعيد، فاضطجعنا فوراً على الأرض، وقلنا من المسلّم أنهم لم يشخصونا من تلك المسافة البعيدة، ولكن لم تطل الفترة حتى رأينا أنّ الأضوية تتّجه صوبنا.

فتعجّبنا من الأمر وتصورنا أنهم حملوا منظاراً فاستطاعوا تشخيصنا. وبينما نحن كذلك إذا بهم يقتربون منّا ويتعقّبوننا، ورأينا أننا لا نستطيع القيام والفرار، لأنهم حتّى إن لم يكونوا قد رأونا فإنهم سيروننا الآن لأنهم يتحركون في هذا الاتجاه.

فتملّكنا الخوف وتوسّلنا بالإمام الحسين عليه السلام نفسه، لأننا كنا نعرف أنهم إن قبضوا علينا فسيقتلوننا جميعاً، لذلك شرعنا بالوصية وأخذ بعضنا يوصي بعضاً؛ لأننا كنا نحتمل أن ينجو ولو واحد منّا، فإنهم إذا أطلقوا علينا النار ذهبوا ولا يبقون حتى يطمئنّوا إلى خروج أنفاسنا جميعاً بالكامل، فربّما بقي في أحدنا رمق وظلّ على قيد الحياة بفضل الله تعالى فيخبر ذوينا ويوصيهم بوصايانا.

ولم نكد نكمل وصايانا حتى رأيناهم أمامنا، وإذا بهم سرب من الذئاب، وما كنا نظنّه مصابيح إنّما كانت عيونهم التي تضيء في الظلام. وأصبحوا على بعد عدّة أمتار منّا ورأينا أنه لم يبق بيننا وبين الموت إلا أن يقفزوا قفزة واحدة صوبنا فيمزقوننا.

ولم نكن نحمل معنا حتى العصيّ لمقاومة هذه الذئاب الجائعة في هذه الثواني المتبقّية من أعمارنا، لأننا كنا نخشى أن تعكس نوراً في الليل فيكشف الجنود أمرنا، ولذلك كنا نلبس الملابس السوداء ولا نحمل معنا أيّ شيء.



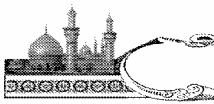
وعلى كل فقد اقتربت أكثر، وشعرنا بأن لا حيلة لنا أبداً، وقد عصرتنا
الحزن والأسى، وإذا بواحد منا يصرخ في وجهها قائلاً:
نحن زوّار الإمام الحسين عليه السلام، أتريدون أن تأكلونا؟
وما إن خرجت هذه الكلمات من فمه حتّى توقّفت الذئاب في
أماكنها، وولولت مع بعضها، ثم انصرفت.

فما معنى هذه الحادثة أيّها الإخوان؟ فهل الذئاب تفهم؟
أم هل هناك ذئاب عراقية وأخرى إيرانية وكلٌّ منها تفهم لغة قومها؟
ألم يجعل الله تعالى طعام الذئاب ما يفترسونه من البشر وسائر
الحيوانات؟

أليس هذا هو من التكوين الإلهي؟ أم سيحاسب الله الذئاب يوم
القيامة على أكلهم لحوم البشر؟
فلماذا إذن عزفت الذئاب عن افتراس هؤلاء الزوّار؟ أليس ذلك
لخصوصية في قضية الحسين عليه السلام وإن كانت تقتضي تجاوز الأمر
التكويني والاستثناء فيه.

الانتقام العاجل من أعداء الإمام عليه السلام

● جرت العادة في العراق أن ينصب شيوخ العشائر مضائف على
الطرق الخارجية التي يمرّ بها الزوّار والمسافرون، وإذا مرّ زوّار أبي عبد
الله الحسين عليه السلام بمناطقهم - مشاة كانوا أم راكبين - ألزموهم بالتوقّف
وتناول الطعام من هذه المضائف، نهاراً كان أم ليلاً، غداً أو عشاءً أو
إفطاراً...، وحتّى الذي لم يكن جائعاً كان عليه أن يأكل ولو قليلاً،
وكانوا يقولون لهم: إنّنا نريد أن تتبركّ عشيرتنا بوفادة زوّار الإمام



الحسين عليه السلام فلذلك نلتمسكم أن تنزلوا ضيوفاً علينا، ولا يدعون حتى من كان شعباناً ومن تناول الطعام قبل ساعة أو أقل - مثلاً - في مضيف قبل مضيفهم. فكانوا يقدمون له اللبن والتمر والشاي والفواكه والمرطبات و... إن لم يشته أطعمة الغداء والعشاء.

وعندما منع صدام شعييرة المشي إلى كربلاء لاحق جلاوزته هذه المضائف أيضاً لئلا تقوم بخدمة الزوار وتقديم الطعام لهم.

والعجيب أن هذه المضائف كانت دائرة مدار السنة ولكن رجال الأمن كانوا في أيام زيارة الإمام الحسين عليه السلام - كالشعبانية والأربعينية - يداهمون هذه المضائف ويفتشون فيها عن وسائل الضيافة من الأواني والقدور والمواد الغذائية، فإذا وجدوها مستعدة اعتقلوا أصحابها وربما أعدموهم، وأحرقوا المضائف بما فيها من أبقار وأغنام وصادروا مزارعهم ...

فياله من عنف وقساوة ليس لها إلا العدل الإلهي في يوم القيامة! فسوف نرى كيف سيعامل الله تعالى بغضبه هؤلاء الظلمة الذين عذبوا محبّي الإمام الحسين عليه السلام وكيف سيعامل سبحانه بلطفه ورحمته أولئك المظلومين الذين لا قوا ما لا قوا في طريق الإمام الحسين عليه السلام.

على كلّ فلكي لا يُحرم هؤلاء (أصحاب المضائف) من ضيافة زوار الإمام الحسين عليه السلام عمدوا إلى نصب خيام متنقلة بعيداً عن مضائفهم. ولم يكن نصب الخيام بالأمر الغريب أو المثير؛ لأنهم كانوا ينصبونها عادة لجمع المحاصيل أو للاستراحة أو لأغراض أخرى مختلفة.

وكان يقف في كلّ خيمة صبيّ مميّز مدرك بحيث يستطيع التجول في أطراف الخيمة وينظر ما حوله، فإن رأى مجاميع الزوار الصغيرة



المؤلفة من ثلاثة أو أربعة في العادة، دعاهم إلى الخيمة ثم أخبر ذويه ليأتوا لهم بالماء والطعام.

وأحسّ الظلمة بهذا التكتيك أيضاً، فأخرجوا دوريات على تلك الخيام، فإذا شكّوا بإحداها عمدوا إلى إحراقها، وإذا وجدوا فيها أحداً اعتقلوه أو استجوبوا رؤساء العشائر القريبة.

وفي إحدى السنوات لمح مجموعة من شرطة أمن النظام الذين كانوا على الطرق الخارجية صبيّاً (بين العاشرة والثانية عشرة من العمر) فشكّوا فيه أنه يعمل مخبراً للزوّار أو مرشداً لهم على الطريق - وكان الأمر بالفعل كذلك فكان هذا الصبيّ يرشد الزوّار المشاة إلى مواقع للضيافة والاستراحة عند القبائل المحيطة ثم يواصلون سيرهم مرّة أخرى - فسأله أحد أولئك الشرطة: لماذا أنت هنا؟ فأجابه الصبيّ بجواب ما، وكان خائفاً مرتبكاً، فزاد شكّه به، فصفعه بقوة على وجهه.

فانتقم الله منه فوراً، ولم يطل الأمر به، إذ لما همّ اللعين بركوب سيارته عثر فعلق سلاحه بطرف السيارة، ففرغت رصاصاته في رأسه هو وهلك على الفور.

الاستشفاء بطين أقدام زوّار الحسين عليه السلام

● كان المرحوم ميرزا محمد أرباب أحد علماء قم المعروفين، عاصرته وعاصره كثيرون، نقل بعض من عاصره أنه كان يعاني من ضعف في عينيه منذ سنين، وكان يستفيد من النظارة للقراءة وغيرها. وفي إحدى سفراته لزيارة الإمام الحسين عليه السلام ذهب من إيران إلى البصرة، ومن البصرة ذهب إلى كربلاء بواسطة القطار، فركب بعض



الزوار القطار في البصرة قاصدين كربلاء، وكانت تصادف أيام إحدى الزيارات المهمة للإمام الحسين عليه السلام كالشعبانية أو الأربعينية، فاكتمل القطار بالمسافرين؛ لذلك نقلوا عن المرحوم أرباب أنه قال:

كانت مقاعد القطار كلها مشغولة وكذلك الأسرة، داخل الغرف، وكانت الممرات أيضاً مملوءة بالناس، والعربات التي تنقل الأمتعة والمواد مغلقة أيضاً، ولذلك كانت الجموع تفتش الأرض، فذهبت وجلست بينهم، فكنت وسط مجموعة من قروبي الجنوب، ومن يسمونهم بالمعدان، وكان الجو ممطراً وكانوا حفاة في الغالب وقد علق الطين بأرجلهم، تأخذ بعضهم السنة أحياناً والنوم أحياناً.

يقول: وبينما كنت أنظر إليهم تذكرت آلام عيني وضعفها ولمعت في ذهني فكرة وهي: أن هؤلاء زوار مخلصون وغير مرأين، فكم تحمّل أحدهم من المشاق والصعاب للتشرف بزيارة الإمام الحسين عليه السلام، فلماذا لا أستشفي بمقدار من الطين العالق بأقدامهم؟

فمددت يدي بهدوء إلى قدم أحدهم بحيث لا يلتفت، وأخذت مقداراً من الطين العالق بين أصابعه ورفعت نظارتي، ومسحت به عيني، وطلبت من الله تعالى الشفاء بواسطته.

وواصلت السفر، وعندما وصلت إلى كربلاء ودخلت الحضرة الطاهرة أخذت أحد كتب الزيارة وانشغلت بقراءة زيارة الإمام عليه السلام، ثم التفت فجأة إلى أنني لا أضع نظارتي على عيني، فتعجبت كيف أني أقرأ براحة تامة ووضوح وأنا لا أشكو ضعفاً ولا ألماً في عيني.

بحثت عن نظارتي فلم أجدها، جدت البحث عنها فلم أجدها، فأدركت أنها قد سقطت مني في الطريق.



واستغيتُ عن النظارة ما حييت - ليس بفضل تربة مرقد الإمام الحسين عليه السلام ولا تربه كربلاء ولا أطرافها بعد فرسخ أو فرسخين بل - بالطين العالق بأصابع قدم أحد من يسمون بالمعدان من زائري الإمام الحسين عليه السلام.

التنافس في قضايا الحسين عليه السلام من أسباب نبوغ العلماء

لو فشتتم - أيها الإخوة - في أحوال أعظم فقهاء الشيعة الماضين قدس الله أسرارهم كالشيخ الطوسي والمفيد والسيد المرتضى والرضي والشيخ عبد الكريم الحائري والعلامة الحلي و... لرأيتم أنّ من أسباب نبوغهم تنافسهم في حبّ الحسين عليه السلام وتعظيم شعائره. وإلاّ فإنّ هؤلاء لم يعيشوا منفردين، فكان عندهم أساتذة وتلاميذ وإخوة وآباء وأولاد ولكنهم اشتهروا ولم يشتهر أو ينبغ ذووهم، أو اشتهروا ونبغوا ولكن دون نبوغهم وشهرتهم.

أذكر لكم على سبيل المثال قصة السيد مهدي بحر العلوم رحمته الله، ولعلّ أكثركم قد سمعها.

ولكن ما أريد أن ألفت أنظاركم إليه قبل ذكر القصة: أنّ والد السيد مهدي كان من أصحاب الكرامات وله مزار في بروجرد، أما هو فقبّره في صحن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان له أخ من أعظم العلماء هو السيد جواد بحر العلوم^١.

(١) والسادة الطباطبائية البروجردية كالمرحوم آية الله العظمى البروجردي ينتهي نسبهم إليه، أي إلى السيد جواد بحر العلوم.



ولكن كم منكم سمع بالسيد جواد بحر العلوم؟ أنا لم أكن أعرف أنّ للسيد مهدي بحر العلوم أخاً قبل بلوغي خمسين سنة. أمّا السيّد مهدي فهو كالشمس في رابعة النهار، قلّ من لا يعرفه من أهل العلم بل من عامّة المؤمنين.

فبرأيكم إلى ماذا يعود السبب في تالأؤ السيد مهدي أكثر من أخيه؟ أ للعلم أم للتقوى؟ فكلاهما كانا عالمين فاضلين كبيرين، وكلاهما كانا تقيين ورعين، وإذا امتاز أحدها عن الآخر فهو لأمر آخر وهو - برأيي - سبق في قضايا الإمام الحسين عليه السلام. ولذلك اشتهرت القصة التي نحن بصدد ذكرها في هذا المجال وهي:

أنّ السيد بحر العلوم كان يشترك في عزاء طويريج، وهو عزاء شعبيّ ينطلق من منطقة «طويريج» التابعة لقضاء الهندية في كربلاء، صوب الحرم الطاهر للإمام الحسين عليه السلام، كلّ عام ظهر العاشر من المحرم في جموع غفيرة وهي تهزول وتلطم على رؤوسها وتنادي «يا حسين».

ويعرف هذا العزاء بـ «ركضة طويريج» أيضاً؛ لأنّ المشاركين فيه من الكثرة والعموم بحيث لا يسعهم التوقف أو السير ببطء وقراءة أبيات وترديد عبارات مطوّلة؛ لذلك تراهم يهرولون وهم يضربون على رؤوسهم بأيديهم ويهتفون «يا حسين» فقط أو عبارات من قبيل «أبد والله ما ننسى حسيناً».

وقد تكون لهم وقفات قصيرة ولطم على الصدور مع قراءة ردّات، ولكنّ ضغط الجموع سرعان ما يجعلهم يعودون للهرولة وهتاف: يا حسين.

ولقد شهدتُ شخصياً هذا العزاء وكان لي شرف المشاركة فيه، ولو



كنتم في كربلاء ورأيتم العزاء مرّة واحدة لصمّتم على المشاركة فيه، بل لو صمتم على عدم المشاركة لا تستطيعون الالتزام بتصميمكم إلى انتهاء العزاء، بل سترون أنفسكم تنخرطون فيه بلا اختيار. فهو عزاء عجيب، وأسلوبه خاصّ، ترى فيه العالم والكاسب والرئيس والمرؤوس ومرجع التقليد والتاجر، والغنيّ والفقير، كلّهم في حالة واحدة من التأثر والحركة.

قالوا: في إحدى السنوات وبينما الجموع منطلقة في عزاء طويريج رأوا بينهم السيد مهدي بحر العلوم - وكان مرجع زمانه - وقد احتفى وألقى عمامته وهو يضرب على رأسه وينادي: «حسين حسين». ف قيل له بعد ذلك: سيّدنا لم يكن يناسبكم الوضع الذي رأيناكم فيه وأنتم المرجع الديني.

فقال في جوابهم: ماذا أصنع وقد رأيت سيّدي ومولاي الحجّة عليه السلام يركض حافياً في العزاء؟!

فلنسع أيّها الإخوة للتنافس في هذا المجال، فلم تبق إلا أيام ويأتينا شهر محرم، وبعد شهرين يكون قد انتهى شهر محرم وشهر صفر، ولكن تبقى نتيجة التنافس، فليحاول كل منّا أن يخرج منها مملوء اليد وأن تكون حصيلته أكثر من غيره.

أسأل الله تعالى ببركة سيد الشهداء عليه السلام أن يوفّقنا جميعاً وأن يزيد من توفيقاتنا في هذا السبيل. وصلى الله عليه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الإمام الحسين عليه السلام
استثناء في عالم الوجود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين*.

روى إبراهيم بن أبي محبوب^١ رواية مفصلة عن الإمام الرضا عليه السلام، في قضية الإمام الحسين عليه السلام وواقعة عاشوراء جاء فيها:

«إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا وأسبل دموعنا وأذلّ عزيزنا...»^٢.

وقد أشكل البعض على هذه العبارة من ثامن الحجج عليه السلام وقالوا: وكيف يمكن للمصائب أن تقرح الأجفان؟

الحقيقة: إنّ هذه الإشكالات تصدر في الغالب من بعض السذج الذين لا باع لهم في ميدان العلم والمعرفة، ويريدون بهذه الإشارات والإشكالات أن يتظاهروا بالعلم ويبرزوا عضلاتهم العلمية - إن صحّ التعبير - أمام أهل البيت عليهم السلام وعلمهم ومقامهم؛ غافلين أنّ من يقوم بهذا الأمر في مقابل أهل البيت عليهم السلام سيفتضح أمره سريعاً وتبدو عورة جهله، فمن الأولى به أن يقوم بهذا الدور وفتل العضلات أمام غير أهل البيت عليهم السلام.

ثم إنّ التشكيك بأقوال أهل البيت عليهم السلام وبمنزلتهم ليست جديدة ولا

(*) كلمة المرجع الديني سماحة آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي عليه السلام في جمع من مسؤولي وأعضاء الهيئات والمواكب الحسينية الذين قاموا بزيارته في بيته المكرّم بمدينة قم المقدّسة يوم الجمعة الموافق للثاني والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام ١٤٢٧ للهجرة، للاستفادة من إرشادات سماحته القيّمة.

(١) من ثقات أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، ومن الذين نقلوا عن الإمام عليه السلام روايات وأحكاماً متعدّدة في أبواب الفقه المختلفة.

(٢) أمالي الصدوق: المجلس ٢٧ ح ٢.



وليدة هذا العصر، بل كانت موجودة في عصر الأئمة عليهم السلام أيضاً بل منذ زمن النبي ﷺ، فكان هناك من يقف في وجه أقوال النبي ﷺ ويبيد نوعاً من المعارضة.

فعلى سبيل المثال، يوم أخبر النبي ﷺ عن ثواب زيارة الإمام الحسين عليه السلام استكثرت عائشة ذلك، كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله:

كان الحسين بن علي عليه السلام ذات يوم في حجر النبي ﷺ يلاعبه ويضاحكه، فقالت عائشة: يا رسول الله ما أشد إعجابك بهذا الصبي؟ فقال لها: ويحك وكيف لا أحبه ولا أعجب به وهو ثمرة فؤادي وقرّة عيني؟ أما إن أمتي ستقتله. فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حجة من حجج.

قالت: يا رسول الله ﷺ حجة من حججك؟!

قال ﷺ: نعم حجّتين من حججتي.

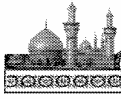
قالت: يا رسول الله حجّتين من حججك؟!

قال ﷺ: نعم وأربعة.

قال ﷺ: فلم تزل تزاذه ويزيد ويضعف حتى بلغ تسعين حجة من حجج رسول الله ﷺ بأعمارها.

فهذه الاعتراضات ليست جديدة، وهي ما تزال مستمرة حتى يومنا هذا، ولكنها لم تورث أصحابها إلا الخيبة والفضيحة، لأن الله تعالى وعد أن لا يزيد معارضي الإمام الحسين عليه السلام إلا الخيبة، وشعائر الإمام

(١) الكامل في الزيارات: ب ٢٢ قول رسول الله ﷺ...: ص ٦٨ ح ١.



الحسين عليه السلام إلا ظهوراً، كما صرّح النبي صلى الله عليه وآله بذلك وحدثت به زينب الكبرى عليها السلام عندما رأت حال ابن أخيها السجّاد عليه السلام بعد مصرع أبيه وإخوته، فسألته عليها السلام بذلك الحديث.

فقد روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال:

«لما أصابنا بالطف ما أصابنا وقتل أبي عليه السلام وقتل من كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يُراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعى ولم يواروا، فعظم ذلك في صدري واشتدّ لما أرى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج وتبيّنت ذلك منّي عمّتي زينب الكبرى بنت علي عليه السلام فقالت: ما لي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدّي وأبي وإخوتي؟»

فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيّدي وإخوتي وعمومتي وولد عمّي وأهلي مصرّعين بدمائهم مرملين بالعراء مسلوبين لا يكفّون ولا يوارون ولا يعرج عليهم أحد ولا يقربهم بشر، كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر.

فقالت: لا يجزئك ما ترى، فوالله إنّ ذلك لعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جدك عليه السلام وأبيك عليه السلام وعمك عليه السلام، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراغنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات أنّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرّقة فيوارونها وهذه الجسوم المضرجة، وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء عليه السلام، لا يدرس أثره ولا يعضو رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه، فلا يزداد أثره إلا ظهوراً، وأمره إلا علواً^١.

(١) كامل الزيارات: ب ٨٨ ص ٢٦٢ ح ١.



قرح الجفون على مصاب الإمام عليه السلام

أما الإجابة على الإشكال (وهو كيف تقرح الجفون بسبب المصاب) فبسيط يعرفه من له أدنى إلمام بالطب. فإنّ جفن العين رقيق جداً، بل لعله من أرقّ المواضع الظاهرية لبدن الإنسان، ومن البديهي أنّ الشيء كلما كان رقيقاً كان أكثر عرضة للإصابة بالأذى أو الضرر. فحينما يحزن القلب ويتأثر من شدة المصاب تقوم الغدد الموجودة خلف العين بتبديل الدم إلى دمغ مالح. وإذا ازداد المرء حزناً ازداد الضغط على القلب، عند ذلك يزداد الضغط على هذه الغدد فتضعف ولا تعود قادرة على تبديل الدم إلى دمغ، فيخرج في هذه الحالة الدم من العين بدل الدموع. ومن الواضح أنّ الدمغ مالح وعند تكرّر ملامسته للجفن يجرحه. ولهذا قال مولانا المفدّى الإمام المهدي المنتظر عليه السلام في زيارة جدّه الإمام الحسين عليه السلام المعروفة بزيارة الناحية المقدّسة:

«فلأندبتك صباحاً ومساءً ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً»^١.

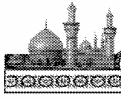
حزن دائم

يتبيّن من النصّ الذي نقلناه عن الإمام الرضا عليه السلام مطلع المقال أنّ عمق فاجعة كربلاء لا يدركها حقّاً إلاّ أهل البيت عليهم السلام وأنّ فهمنا لهذه الواقعة نسبيّ وناقص.

إنّ الإمام الرضا عليه السلام يفهم عمق ما جرى في كربلاء كما ينبغي، ولذلك ترى الواقعة حاضرة أمامه وهي نصب عينيه دائماً.

ويُفهم من حديث الإمام الرضا عليه السلام المذكور أنّ أهل البيت عليهم السلام

(١) زيارة الناحية المقدّسة.



جفونهم مقرحة دوماً بسبب مصابهم بجدّهم الإمام الحسين عليه السلام وليس في أيام شهر محرّم فحسب، فالكلام عامّ ولا يوجد قيد فيه. وما ذلك إلاّ لأنّهم عليه السلام حزني على أحداث يوم عاشوراء دائماً وجفونهم مقرحة لكثرة بكائهم على مصاب جدّهم أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

إننا أيضاً - وتأسياً بأئمّتنا عليه السلام - يجب أن نستحضر مصائب كربلاء دوماً، ويجدر بنا أن نزيد من معلوماتنا في هذا المجال أيضاً ولا نكتفي بما نسمع في مجالس العزاء، ومن المناسب أن نطالع كتباً في هذا المجال مثل «معالي السبطين»^١ الذي يشتمل على مطالب جيّدة عن سيد الشهداء عليه السلام.

فقضية مولانا سيد الشهداء عليه السلام قضية عظيمة وإنّ مصاب أهل البيت عليه السلام وشيعتهم بالإمام الحسين عليه السلام عظيم جدّاً، ولهذا كان السلف الصالح من علمائنا الأجلاء يهَيِّئون أنفسهم لإحياء وتعظيم الشعائر الحسينية من بعد عيد الغدير. أي أنّهم كانوا يهَيِّئون لها مقدّمات الوجود - حسب الاصطلاح العلمي - .

تعجيل العقوبة لأعداء الإمام عليه السلام

ثمّ إنّ هذه القضية لا يمكن مواجهتها أو التقليل من عظمتها لأنّ الله سبحانه وعد بأن يبقى علم الطف شامخاً وذكر الحسين عليه السلام خالداً مهماً جهد الأعداء في محوه أو تظميسه، كما جاء في الرواية التي ذكرناها آنفاً، وأنّه تعالى يعجّل العقوبة - في الدنيا قبل الآخرة - على كلّ من

(١) معالي السبطين في أحوال السيدين الإمامين الحسن والحسين عليه السلام، تأليف: الشيخ محمد مهدي بن عبد الهادي المازندراني الحائري (ت: ١٣٨٥ هـ).



يحارب الإمام الحسين عليه السلام أو يحارب شعائره.

وقد ذكر في كتب المقاتل أنّ الإمام الحسين عليه السلام حفر خندقاً حول معسكره وأضرم فيه النار حتى لا يهجم الأعداء من كلّ الجهات^١. فجاء رجل من بني تميم يقال له عبد الله بن حوزة فأقدم على عسكر الحسين عليه السلام، فناداه القوم: إلى أين ثكلتك أمك؟ فقال: إني أقدم على ربّ رحيم وشفيع مطاع. فقال الحسين عليه السلام لأصحابه: من هذا؟ قيل: هذا ابن حوزة. فقال عليه السلام:

«اللهم حزه إلى النار».

فاضطربت به فرسه في جدول فوق وتعلقت رجله اليسرى بالركاب وارتفعت اليمنى، فشدّ عليه مسلم بن عوسجة فضرب رجله اليمنى فطارت، وعدا به فرسه يضرب برأسه كلّ حجر وكلّ شجر حتى مات وعجّل الله بروحه إلى النار^٢.

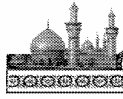
ولم يكن هذا حال الذين دعا عليهم الإمام فقط، بل حتى الذين لم يدعّ عليهم من أعدائه والذين قاتلوه لم يبقوا في الدنيا بعد استشهاد عليه السلام أكثر من بضع سنين.

وهذا لا يخصّ الذين حاربوه في حياته بل يشمل الذين يحاربون شعائره ويؤذون محبّيه.

وقد نقل لي أحد الإخوة العراقيين من الذين زارونا بعد سقوط النظام البعثي أنّ النظام كان قد شدّد في السنوات الأخيرة على مواكب المشاة

(١) وهذا نوع من التكتيك العسكري، ما يعني أنّ الإمام عليه السلام كان يعمل ما يقتضيه الدفاع الظاهري، وإن كان هدفه الشهادة ويعرف المصير.

(٢) الإرشاد: ج ٢ ص ١٠٢.



إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام وكانت عقوبة الزائرين تصل إلى السجن والتعذيب وحتى الإعدام.

وفي إحدى السنوات لمحت مجموعة من شرطة أمن النظام الذين كانوا على الطرق الخارجية صبيّاً (بين العاشرة والثانية عشرة من العمر) فشكّوا فيه أنه يعمل مخبراً للزوّار أو مرشداً لهم على الطريق - وكان الأمر بالفعل كذلك فكان هذا الصبيّ يرشد الزوّار المشاة إلى مواقع للضيافة والاستراحة عند القبائل المحيطة ثم يواصلون سيرهم مرّة أخرى - فسأله أحد أولئك الشرطة: لماذا أنت هنا؟ فأجابه الصبيّ بجواب ما وكان خائفاً مرتبكاً، فزاد شكّه به، فصفعه بقوة على وجهه. فانتقم الله منه فوراً، ولم يطل الأمر به، إذ لما همّ اللعين بركوب سيارته عثر فعلق سلاحه بطرف السيارة، ففرغت رصاصاته في رأسه وهلك على الفور.

ومن الواضح لو أنّ هذا الشرطي كان قد كفر بالله عشرات السنين لما كان الله انتقم منه بهذه السرعة، ولكنه تعالى عجّل بهلاكه انتقاماً لهذا الصبيّ الذي كان من محبّي الإمام الحسين عليه السلام والعاملين في طريق إحياء ذكراه وتعظيم شعائره.

وأحسن دليل على ما نقول، فرعون وشدّاد وأمثالهما الذين أمهلهم الله تعالى ولم يعجّل عقوبتهم في الدنيا رغم مجاهرتهم بالكفر ومحاربة الله تعالى. أمّا أعداء سيد الشهداء عليه السلام فإنّ الله - بسبب تعامله الاستثنائي مع قضية سيد الشهداء عليه السلام - لا يمهلهم أبداً بل يأخذهم فوراً بأشدّ العذاب.

وإذا كان الله تعالى يعامل أعداء الإمام الحسين عليه السلام هكذا في الدنيا، فما أشدّ عذابهم في الآخرة!؟

صحيح أنّ الدنيا دار بلاء وامتحان، وأنّ الله جعل الإنسان فيها مخيّراً في أن يكون من عباده الصالحين أو من ألدّ أعدائه كفرعون وشدّاد، وأنّه



تعالى قد يمهل الظالمين وأعداءه في هذه الدنيا ويجعلهم يعيشون ويجيز لهم حتى بمحاربتة هو - عز وجل - فقد أمهل فرعون الذي بارزه وادّعى الربوبية وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾^١ أربعمئة عام ولم يأخذه على الفور، وكذلك أمهل شداداً - كما روى العلامة المجلسي - تسعمئة عام ولم يعجل في معاقبته...

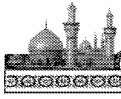
ولكنّ الله تعالى آلى على نفسه أن يعجل في الانتقام من قتلة الحسين عليه السلام وأعدائه، فلم يمهل يزيد وشمراً وعمر بن سعد وابن مرجانة وأمثالهم من الذين حاربوا الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء - لعنة الله عليهم أجمعين - بل أهلكهم جميعاً بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بفترات قصيرة لم تزد على الخمس سنوات؛ مع العلم أنّ أيّاً منهم لم يدع الربوبية كما ادّعاها فرعون ولم يكن كشداد ونمرود. أجل إنّ يزيد أنكر الوحي، فقال:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل^٢

(١) سورة النازعات، الآية: ٢٤.

(٢) ذكرت المصادر التاريخية أنه عندما جيء بأسرى آل الله عند يزيد، ووضعوا الرأس المقدس للإمام الحسين عليه السلام بين يديه صار يضرب على شفّتيه المباركتين بمخصرة بيده ويردد هذه الأبيات:

ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً	ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم	وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا	خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندق إن لم أنتقم	من بني أحمد ما كان فعل



ولكنه لم يدع الربوبية على كل حال - فلم لم يمهل الله تعالى كما أمهل فرعون الذي ادعى الربوبية، وهكذا الحال مع ابن سعد وشمس وسائر قتلة الإمام الحسين عليه السلام.

إنّ الله تعالى هو المالك للرقاب دائماً ولا يخاف الفوت أبداً ليعجل (فإنّما يعجل من يخاف الفوت) وله سبحانه الآخرة وسيحاسب فيها الظلمة جميعاً ويأخذهم بالعذاب - سواء قتلة الحسين عليه السلام أو غيرهم كفرعون وشدّاد وسائر الكفار والطواغيت - فلماذا إذن عجل بقتلة الإمام الحسين عليه السلام ولم يمهلهم كما أمهل سائر الظلمة والكفرة وأعداء الله تعالى؟

علّة ذلك أنّ الله سبحانه جعل قضية الإمام الحسين عليه السلام استثنائية، وجعل تعامله معها تعاملاً استثنائياً، ومن جملة الأمور التي استثني فيها واستثنت قضيتها، تعجيل العقوبة لأعدائه وظالميه.

إنّ هذا التعجيل بالعذاب لقتلة الحسين عليه السلام تعبير آخر عن استثنائية قضية الإمام الحسين عليه السلام لدى رب العالمين. فهكذا اقتضت الإرادة والمشئنة الإلهية بأن يتعامل مع قضية الإمام الحسين عليه السلام بنحو استثنائي، ليس في هذا المورد فقط بل في موارد كثيرة جداً لا تعدّ.

الإمام الحسين عليه السلام أكثر المعصومين ذكراً

ومن الاستثناءات الأخرى للإمام الحسين عليه السلام ذكره أكثر من باقي المعصومين عليهم السلام حتى من هم أفضل منه كجدّه وأبيه وأمه وأخيه عليهم السلام.

ففي كتاب «معالي السبطين» مثلاً - وهو كتاب ألف في أحوال الإمامين السبطين الحسن والحسين عليهما السلام - نجد أنّ ما ذكر حول الإمام الحسين أكثر مما ذكر عن أخيه الإمام الحسن عليهما السلام بعشر مرّات تقريباً. فقد كتب مؤلّفه عن الإمام الحسن عليه السلام (٦٠) صفحة بينما كتب عن الإمام



الحسين عليه السلام أكثر من (٦٠٠) صفحة، مع أنّ مؤلفه - لا شك - يعلم أنّ الإمام الحسن عليه السلام أفضل من أخيه الإمام الحسين عليه السلام.

ولكن ما وردنا عن الإمام الحسين عليه السلام أكثر بكثير ليس في كتاب «معالي السبطين» فقط بل في كلّ ما وردنا من سائر المصادر. والسبب في ذلك يعود لما لقضية الحسين عليه السلام من حالة استثنائية، مع أنّ ما وصلنا هو قليل من كثير كثير أحرق أو أتلف من قبل الأعداء.^١

انظروا من هو المشهور اليوم في العالم؟ الحسين عليه السلام أم الذين حاربوه؟ ومن يبلغ شهرة الإمام الحسين عليه السلام ومجده؟ بل هل يوجد في العالم من اسمه مشهور ومحبوب كالحسين عليه السلام؟ حتى إن كثيراً من الذين لا يعرفون حتى الله تعالى يتغنّون باسم الإمام الحسين عليه السلام وترى حتى بين الوثنيين من قال قصيدة في الحسين عليه السلام أو رثاه، دع عنك غير المسلمين وغير الشيعة، فما بالك بمحبّيه من المؤمنين ومن أهل السماوات؟

الحاصل أنّ الإمام الحسين عليه السلام استثناء. فلنسح نحن أيضاً أن يكون تعاملنا مع قضيته استثنائياً، فلا يُخدعنّ أحدٌ منا ببعض السدّج، فإنّ الله ينتقم للحسين عليه السلام أسرع مما ينتقم لذاته المقدّسة وأسرع من انتقامه لسائر أوليائه. فهكذا اقتضت إرادته وبهذا تعلّقت مشيئته.

عاشوراء في الصحاح الستة

انظروا إلى الصحاح الستة لدى أهل العامّة، فقد تعمّدوا إخفاء نور

(١) فعلى امتداد التاريخ أحرقت الكثير من الكتب التي حوت روايات وأحاديث في فضائل ومناقب الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام ولكن صار الناس يذكرون أهل البيت عليهم السلام أكثر على رغم كلّ تلك المحاولات.



الإمام الحسين عليه السلام والأحاديث حول مكانته وفضائله، وسعوا أن لا يذكروه ما أمكن. وهذا واضح للباحث المتتبع، ولكن من يراجع هذه الكتب يجد - رغم ذلك - أحاديث كثيرة تبين عظمة سيد الشهداء عليه السلام وقضيته.

فقد نقلوا «عن نجيّ الحضرمي أنه سار مع علي عليه السلام وكان صاحب مطهرته، فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين. نادى:
صبراً أبا عبد الله صبراً أبا عبد الله.

قلت: ماذا أبا عبد الله؟ قال:

دخلت على النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم وعيناه تفيضان.

قلت: يا نبي الله ما لعينك تفيضان؟ أغضبك أحد؟

قال: بل قام من عندي جبرئيل قبل فحدّثني أنّ الحسين يُقتل بشاطئ الفرات. فقال لي: هل لك إلى أن أشمّك من تربته؟

قلت: نعم.

فمدّ يده فقبض من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا^١.

ولا يخفى أن قصة مرور الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على كربلاء في طريقه إلى صفين تعود إلى ما قبل عشرين سنة من أحداث كربلاء، وإنّ عبارة «عينك تفيضان» تختلف عن عبارة «تبكي» مثلاً؛ لأنّ الإناء لا يفيض إلاّ بعد أن يمتلئ، فبعد أن يمتلئ ويزداد يفيض الماء من جوانبه، فهذه الحالة يطلق عليها - في العربية - الفيضان، وكذلك تطلق هذه

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج ١ ص ٨٥؛ مسند أبي يعلى: ج ١ ص ٢٩٨ ح ٣٦٣؛ المعجم الكبير للطبراني: ج ٣ ص ١٠٥ ح ٢٨١١.



الكلمة عندما تطغى الأنهار ويجري السيل. أمّا في حالة البكاء العادية فلا يقال: إنّ فلاناً عيناه تفيضان بالدموع. وهذا يدلّ على مدى حزن وتأمّل النبي ﷺ لمصاب حفيده الإمام الحسين ﷺ.

لذلك ينبغي التأمل في عبارة الإمام أمير المؤمنين ﷺ (تفيضان) علماً أنّ أهل البيت ﷺ هم أمراء الكلام^١.

النكتة الأخرى الجديرة بالتأمل هي سؤال الإمام ﷺ من النبي ﷺ عن علّة بكائه، فهذا يسمّى في الاصطلاح «سؤال العارف»؛ لأنّه من المسلم أنّ الإمام ﷺ يعرف السبب، ولكن مثل هذه الأسئلة لها فوائد وحكم منها التعليم لغيره، وكم له من نظير في القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت ﷺ. فعلى سبيل المثال: يقول الله تعالى: (وَمَا تَلَكَ يَمِينِكَ يَا مُوسَى)؟^٢ مع أنّه سبحانه هو العالم بالخفيّات بل هو أعلم من موسى ﷺ بما في يمينه.

وصايا للمؤمنين لاسيما الشباب

إنني أوصي المؤمنين ولا سيّما الشباب بضرورة إحياء وتعظيم الشعائر الحسينية وتجنب إيراد الإشكالات على العزاء الحسيني والمعزّين، وليعلموا: كما أنّ الحزن على أبي عبد الله الحسين ﷺ وتعظيم شعائره وكلّ خدمة في سبيل إقامة مجالس العزاء على مصابه بل حتى قطرة من الدمع تسكب من أجله ﷺ غالية جداً ولها أجر عظيم وتطفئ غضب الربّ، كذلك العكس بالعكس فإنّ التعرّض لقضايا الإمام الحسين ﷺ والشعائر الحسينية ومحاربتها لها عقاب عظيم جداً بالنسبة نفسها.

(١) قال الإمام أمير المؤمنين ﷺ: إنّ لأمرء الكلام، نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٣.

(٢) سورة طه، الآية: ١٧.



فأقلّ حديث ضدّ التعزية لمصابه أو المعزين، فيها خطر وضرر على من صدر عنه. وهكذا الاستهزاء بالمعزين أو تشيبتهم أو وضع العراقيل في طريقهم أو مؤاخذتهم على نوع وطريقة شعائرهم.

لذا أوصيكم بأن تجنّبوا أفواهكم من الاعتراض والإشكال على الشعائر الحسينية، ولو بكلمة واحدة، حتى إن كانت غير عمد؛ فإنّ هذا لعب بنار الآخرة لا نار الدنيا، وشتان بينهما، فنار الدنيا غاية ما يمكن أن تفعله أن تقضي على الحياة الدنيوية للإنسان؛ فبدلاً من أن يعمر خمسين سنة مثلاً يعمر أربعين سنة إذا أحرقتة النار وأما نار الآخرة فيبقى من يدخلها معذباً أبداً (لا يموت فيها ولا يحيى)^١.

لذا فمن الحريّ بكلّ واحد منّا أن يقوّي مراسم عزاء سيد الشهداء عليه السلام ما أمكنه، وذلك من أجل سعادة الدنيا والآخرة.

فلا تقصّروا في تعظيم شعائر الإمام الحسين عليه السلام وزيارته حتى لا تتتابكم الحسرة يوم القيامة.

ما أعظم الإمام الحسين عليه السلام وشعائره، فإنّه ليس فقط من يعاديه ويحارب شعائره يعذب عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة بل حتى المقصّر في حقّه سيصاب بالحسرة.

وقد روى معاوية بن رجب عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

قال لي [الإمام الصادق عليه السلام]:

يا معاوية لا تدع زيارة قبر الحسين عليه السلام لخوف؛ فإنّ من ترك زيارته رأى من الحسرة ما يتمنى أن قبره كان عنده^٢.

(١) سورة طه، الآية: ٧٤.

(٢) كامل الزيارات: ب ٤٠ ص ١١٦.



فإذا كان هذا حال من يقصرون في زيارة الإمام الحسين عليه السلام فما حال الذين يثيرون الاعتراضات أو الإشكالات على شعائره، أمّا الذين يحاربون شعائره ويعتدون على زوّاره ويريدون إطفاء نوره - الذي أبى الله إلا أن يتمّه - فأمرهم معلوم.

فأعينوا بأموالكم وأقلامكم وطاقاتكم وشبابكم وأعماركم وقلوبكم وكل إمكاناتكم في خدمة العزاء الحسيني والشعائر الحسينية، لتزدادوا في كلّ ذلك بركة وتوفيقاً.

وكونوا إيجابيين إزاء قضايا الإمام الحسين عليه السلام وشعائره دائماً. وحتى لو كنت ترى شيئاً سلبياً في الشعائر الحسينية وترى بديلاً إيجابياً له، فلا تقل «إنه سلبي» بل اعمل أنت ما تراه إيجابياً أو اسع لعمل كلّ ما هو إيجابي في هذا الطريق.

واعلم أنّ النية الحسنة وحدها غير كافية لتوجيه النقد أو التعبير لما قد يبدو بنظرك سلبياً في هذا المجال.

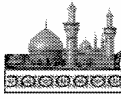
وما أكثر مشاهداتي في هذا المجال، وهي تخصّ الحوزات والعلماء وهم معروفون بحسن نواياهم.

المرجع المجهول

أضرب لكم مثلاً واحداً:

المشهور بين الفقهاء كراهية اللباس الأسود وكراهية الصلاة فيه، إلا أنّ الفقهاء يرون أنّ هذه الكراهية لا تبقى إذا كان لبس السواد من أجل الحزن للإمام الحسين عليه السلام بل تتبدل إلى الاستحباب.

أي: إنّهُ وإن كان هذا العمل مكروهاً في نفسه - وليس حراماً طبعاً - إلاّ أنه إذا كان من أجل سيد الشهداء عليه السلام والحزن على مصابه فسيكون مستحباً فضلاً عن رفع الكراهة.



وهناك رأي آخر لبعض العلماء يرى أنّ الكراهية تبقى ولا تتبدل إلى استحباب وإن كان من أجل سيّد الشهداء عليه السلام. وهو رأي فقهيّ على كلّ حال وإن لم يذهب إليه المشهور.

وكان أحد العلماء الماضين لا يرى استحباب لبس السواد حتى على الإمام الحسين عليه السلام، بل يرى أنّ اللباس الأسود يبقى على كراهيته وإن كان للإمام الحسين عليه السلام.

ولا بأس بذلك فهذا اجتهاده الفقهي، ولكنه كان يضرب لذلك مثلاً غير مناسب - لا أحبّ أن أذكره - .

ورغم أنّه كان عالماً جيّداً وله كتاب فقهيّ طُبِعَ قبل حوالي قرن طبعة حجرية، ولديّ نسخة منه، ولقد نقلت عنه في بعض كتبي، ولم أكن أطلع بعد على مثاله غير المناسب في مسألة لبس السواد على الإمام الحسين عليه السلام، لكن ما كان يثير عجبيّ وتساؤلي دائماً أنّه لم كان مغموراً؛ فلم أر من يذكره أو ينقل عنه أحد رغم مرور بضعة طبقات من الفقهاء بعده، حتى أنني ذكرت مطلباً أيام شبابي أمام أحد كبار مراجع قم في تلك الأيام، فاستغرب وقال: أين يوجد هذا؟ فذكرت له المصدر، فقال إنني لم أسمع به ولا بمؤلّفه.

فكنت أتعجّب لذلك، حتى وقعتُ على المثال الذي يضربه في كراهة لبس السواد على الإمام الحسين عليه السلام فعرفت السبب وراء انطماس ذكره وأنّ كل المشكلة تعود لهذه الكلمات غير اللائقة التي أطلقها في خصوص إحدى الشعائر الحسينية - وإن كان بحسن النية طبعاً - فأصبح

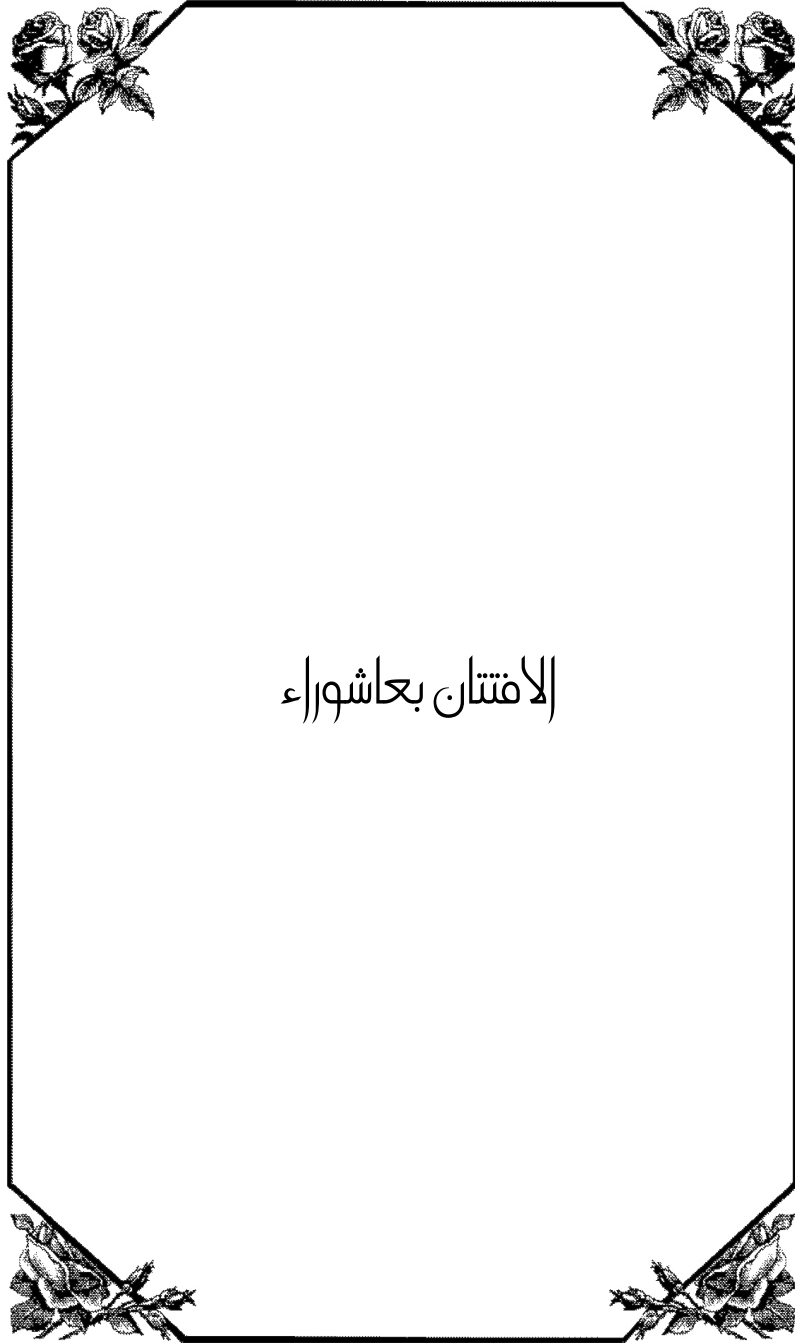
(١) أي كان القبح - حسب اصطلاح أهل الكلام - فعلياً أي من جهة الفعل، لا فاعلياً ومن جهة الفاعل.



مجهولاً حتى في الحوزات العلمية. أي أنّ الله تعالى جازاه على مستوى فعلته في الدنيا. طبعاً لا يعاقب على ذلك في الآخرة لأنّه اجتهاده. وقد خشيت أن أصاب بنكته لنقلي عنه وإشارتي إليه، فعمدتُ إلى ما نقلته عنه فحذفتها من كتيبي؛ لأنّ العلم لا يتوقّف على شخصٍ بعينه ولا على هذه الموارد وحدها.

المهم: إنّ حسن النية وحدها ليست كافية في التعامل مع قضايا سيد الشهداء عليه السلام بل يلزم حسن العمل أيضاً، لأنّ أدنى اشتباه - وإن كان غير متعمّد وعلى سبيل القصور - سيكون له أثر وضعي سلبيّ شئنا أم أبينا، والشواهد على ذلك كثيرة.

فحذار حذار من التعرّض للشعائر الحسينية وإن كان بحسن نية؛ فإنّ الله تعامل مع الإمام الحسين عليه السلام بصورة استثنائية، فيجب علينا أن نتعامل مع قضاياها وشعائره بصورة استثنائية أيضاً، ولا نكون سلبين أبداً بأن نقول: لا تفعلوا هذا ولا تفعلوا ذلك، بل لنكن إيجابيين دائماً ونسعى لتقديم ما هو الأفضل والأبقى والأكثر والأعظم في هذا المجال. أسأل الله سبحانه أن يوفّقنا وإياكم في هذا السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.



الافتتان بعاشوراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عظّم الله أجورنا وأجوركم بمصابنا بسيدنا الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام وجعلنا وإياكم من الطالبين بثأره مع وليّه الإمام المهديّ من آل محمد عليهم السلام. *

في عاشوراء يتميّز الفريقان

انتهى يوم عاشوراء هذا العام أيضاً وبقي شيئان؛ أحدهما الثواب الجزيل، والآخر العقاب الأليم، والأوّل هو الرحمة الإلهية الواسعة، والآخر: الغضب الإلهي الشديد.

وهكذا كان يوم عاشوراء عام ٦١ للهجرة؛ فقد تميّز الفريقان، واستحقّ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام الثواب والرحمة، وحقّ على أعدائهم السخط والعقاب.

ففي مثل هذه الليلة انتهت أحداث عاشوراء الأولى في فصلها الذي سبق الأسر، وكانت النتيجة انقسام الناس إلى فريقين، وكما قالت الآية

(*) نصّ الكلمة التي ألقاها المرجع الديني سماحة آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي عليه السلام حول مصاب مولانا سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام بجموع المعزين في بيته المكرم بمدينة قم المقدسة ليلة الحادي عشر من محرم الحرام والتي تسمى بليلة (الوحشة) ١٤٢٨ للهجرة.



الكريمة: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾^١.

فهذه الآية وإن كانت مختصة بالقيامة، ولكن القيامة تبدأ من هنا. لقد كان حبيب بن مظاهر الأسدي وشمر بن ذي الجوشن كلاهما من مدينة واحدة، وعاشا معاً سنوات طويلة، ولكن شتان ما بين عاقبتهما وما آل إليه أمر كل منهما في يوم عاشوراء. فهذا خُتِمَ حياته وهو في صف الإمام الحسين عليه السلام ومعسكره، وذلك انتهى به الأمر أن يكون في زمرة أعدائه وقاتليه. وكان زهير بن القين رجلاً عثمانياً الهوى، ووهب نصرانياً، في بداية أمرهما، ولكنهما بلغا في عاشوراء منزلة بحيث صاروا ضمن من وقف ويقف الملايين أمام قبورهم ويخاطبونهم بالقول: «بأبي أنتم وأمي»^٢.

أي يفتدّونهم بالأبَاء والأُمَّهَات، وفيهم العلماء والمحدثون والمؤمنون فضلاً عن عامّة الناس. هذا في حين لم يحظ بهذا الشرف الرفيع أشخاص كانوا يعدّون من الشيعة مثل عبيد الله بن الحرّ الجعفي، الذي دعاه الإمام الحسين عليه السلام كما دعا زهيراً، ولكنه لم يلبّ دعوة الإمام عليه السلام ومال عنه، فخرس الدنيا والآخرة، ولا يُعلم الآن ما هو مصيره الأليم، وفي أيّ عذاب يقيم حتى أبد الأبدين!؟

(١) سورة الروم، الآية: ١٤.

(٢) زيارة وارث - انظر: مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي، وكتاب «الدعاء والزيارة» للمرجع الراحل آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي قدس سرّه.

الافتتان بالإمام الحسين عليه السلام

روى النائب الخاص للإمام الحجة عليه السلام أن سيّد الشهداء عليه السلام كان يقول في قنوته:

«وأعد أولياءك من الافتتان بي»^١.

أي: ارحم يا إلهي الشيعة وأولياءك بأن تحفظهم من السقوط في الإمتحان الصعب بسببي.

إنني لم أر في أيّ دعاء من أدعية المعصومين عليهم السلام مثل هذا الدعاء، وهو بلا شك لا يشمل أولئك الذين لا يتبعون سبيل أهل البيت عليهم السلام؛ فإنهم ليسوا بأولياء ولا أحبّاء لله تعالى لأنهم ليسوا بأولياء لأهل بيت نبيّه عليه السلام، وإنما المقصودون هم أتباع آل البيت عليهم السلام خاصة، فهم من عناهم الإمام في دعائه.

عاشوراء فيصل وممتحن

إنّ حادثة عاشوراء حادثة سقط ويسقط فيها كثيرون، بما فيهم من كانوا يُعدّون من أتباع أهل البيت عليهم السلام، ليس في عامها الأول فحسب، بل في كلّ عام، وفي هذا العام أيضاً، وفي الأعوام اللاحقة، حتى قيام الساعة.

ففي هذا العام أيضاً حدث نفس ما حدث بالأمس - أي في عام ٦١هـ - والأعوام التي تلتها - فهناك من خدّم وضحّى في طريق الإمام الحسين عليه السلام وبذل الجهد في سبيل إقامة شعائره التي هي من شعائر الله

(١) مهج الدعوات، قنوت الإمام الحسين عليه السلام: ص ٤٨.



تعالى، فكان في صفّ حبيب ووهب وزهير. وهناك من صنع المشاكل ووضع العراقيين في طريق هذه الشعائر وأذى واستهزأ بالمقيمين لها؛ فكان في صفّ عمر بن سعد وشمر، وسقط في الفتنة ولم يكن من المشمولين بدعاء الإمام الحسين عليه السلام في قنوته.

وأول طائفة سقطت في قصة عاشوراء هم أكثر من ألف شخص دخلوا مع سيد الشهداء عليه السلام إلى كربلاء،^١ وكانوا ممن يصلون خلف الإمام ويقبلون يديه ويسألونه عن مسائلهم الشرعية؛ فكانوا على استقامة في الاعتقاد بالإمام الحسين عليه السلام إلى ليلة عاشوراء، إلا أنهم سقطوا في تلك الليلة بخذلانهم الإمام الحسين عليه السلام وتفرقتهم عنه، لأنهم لم يعاذوا من هذا الافتتان فأخذوا ينفرطون من حوله جماعات جماعات.

بينما نجح في هذا الامتحان الصعب القليل من أتباع أهل البيت عليهم السلام وهم القلة الباقية مع الإمام عليه السلام، إذ أعادهم الله من الافتتان به.

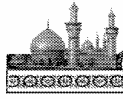
والاستعادة من هذا الافتتان بحاجة إلى شيئين؛ الأول: الدعاء، والثاني: العمل، فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^٢.
وقال عزّ من قائل: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى﴾^٣.
ما يعني أنّ الأمرين مطلوبان معاً.

صحيح أنّ الإمام الحسين عليه السلام دعا لنا ولكن يجب علينا أيضاً أن نهتمّ بذلك وندعّ إثارة المشاكل والإثارات؛ ذلك أنّ الشعائر الحسينية شعائر

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٧٤.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٧.

(٣) سورة النجم، الآية: ٣٩.



إلهية، والتخصّص في إعطاء الرأي في مفرداتها للمراجع الذين ينبغي السؤال منهم، فحذار أن يحكم أحد بغير ما أنزل الله فيها فيسقط - لا سمح الله - .

وحيث إنّ عاشوراء فيصّل وممتحن للناس يُمتحنون به؛ سرعان ما ينتهي بسببه الإنسان إلى الجنة والسعادة أو إلى النار والشقاء.

فلنجنب أنفسنا وأهلينا وإخواننا في النسب ومن أهل الإيمان من السقوط في هذا الإمتحان؛ وذلك بالنصيحة لهم، وكما يقول القرآن الكريم: ﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^١.

فمن المؤسف جداً أن يسقط في هذا الامتحان بعض من هو في العقيدة من أتباع أهل البيت عليهم السلام.

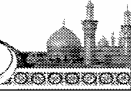
إشكالان

جاءني قبل أيام شخص يعتقد أنه من أتباع أهل البيت عليهم السلام وكان يشكك بواحدة من شعائر الإمام الحسين عليه السلام، فسألته عن سبب تشكيكه، فقال: لإشكالين؛ الأول: أنّ هذه الشعيرة لم تكن موجودة في زمن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام. والثاني: أن بعض من يمارس هذه الشعيرة قد يرتكب بعض المحرّمات أو يتخلّف عن بعض الواجبات.

جواب الإشكال الأول

أما عن الإشكال الأول فقلت له: إن هذا كلام الوهابية، فلا ينبغي لكم

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.



ترديده، والوهابية لا يرجعون إلى سند قوي؛ فهم يستندون في أفكارهم وفقههم إلى أمثال أحمد بن حنبل وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب، وهؤلاء أقل ما يقال فيهم إنهم ليسوا بأكثر من جهلة لا اطلاع صحيح لهم عن الدين، أما نحن فنستند في عقائدنا وفقهنا إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام الذين لا يقاس بهم من الناس أحد.

ثم إنني أسأل من يعترض على هذه الشعائر بدعوى عدم وجودها في زمن النبي صلى الله عليه وآله: ماذا يقول في قباب الأئمة، والحسينيات، والكتب الحديثية، والمدارس الدينية والمراجع... فهذه كلها لم تكن في زمان النبي صلى الله عليه وآله ولا زمان الأئمة عليهم السلام، مع أن سخف القول بطلانها من الواضحات.

ويجاب أيضاً على هذا الإشكال بجوابين فقهيين:

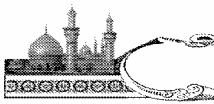
الأول: أن هذه الشعائر داخلية تحت العمومات، وهي تشمل الجميع. فكما أنها تشمل قبة الإمام الحسين عليه السلام وضريحه اللذين لم يكونا في زمن الأئمة عليهم السلام، فكذلك تشمل الشعائر كلها.

الثاني: إن هذه الشعائر من مقدمات وجود الواجب، ومقدمات وجود الوجوب - كما هو معلوم - واجبة، عينية كانت أو كفايية، وإن علماء الشيعة من الشيخ المفيد رحمته الله حتى زمننا الحاضر بحثوا هذه المسائل بتحقيق وعمق وبسط.

إذن فهذا الإشكال غير وارد، وهو كلام الذين لم يقرأوا القرآن أو قرأوه ولم يفهموه، أو لم يقرأوا الحديث أو قرأوه ولم يعوه.

جواب الإشكال الثاني

أما الإشكال الثاني فجوابه: أن الشخص العادي - فضلاً عن المتفقه -



يدرك أنّ وقوع الحرام أو التخلّف عن الطاعة في مكان أو مقام، لا يعني عدم مشروعية ذلك المكان أو المقام، وإنما تنحصر الحرمة في الفعل نفسه. فلو أنّ إنساناً بات في مسجد مثلاً من طلوع الفجر حتى طلوع الشمس، وبسبب تساهله فاتته الصلاة، فهل يؤمر بغلق هذا المسجد أم يجب هداية ذلك الإنسان بالحكمة والموعظة الحسنة؟

فقد روى العامة في كتبهم - فضلاً عن الشيعة - مايلي: ذكر ابن حزم من طريق الليث عن جرير بن حازم عن حميد عن أنس قال: إن زينب بنت جحش أهدت إلى رسول الله وهو في بيت عائشة ويومها جفنة من حيس، فقامت عائشة فأخذت القصعة فضربت بها الأرض فكسرتها^١.

فهل يجب والحال هذه إغلاق بيت النبي ﷺ لأنّ عائشة ارتكبت فيه معاصي عديدة في قصة واحدة؟!

التقيّد بأحكام الله والتورّع من إبداء الرأي

إنّ ما أودّ أن أنبّه إليه في المقام أنّ على المؤمنين التورّع من إبداء الرأي في أحكام الله تعالى والتقيّد بالرجوع إلى من لهم الحقّ في الإفتاء وبيان أحكام الله تعالى؛ لأنّ أحكام الله سبحانه وتعالى مهمة جداً وعظيمة عنده، ولا تنال بسهولة في يد كل أحد؛ بل يبذل الفقهاء الجهد لسنوات من أجل الوصول إليها، ورُبّ مسألة واحدة يستغرق البحث فيها أسابيع قبل أن يتوصّل الفقيه في نهاية الأمر إلى فتوى فيها وقد لا يتوصّل.

(١) عمدة القاري: ج ١٣ ص ٣٦، والسييل الجرار: ج ٣ ص ١٦. كما ذكر ابن حجر في فتح الباري: ج ٥ ص ١٢٥ الحادثة نفسها مع أم سلمة.



وقد ذكر المرحوم الوالد قدس سره أنه مع بضعة فقهاء بقوا يبحثون في مسألة - وذكرها - ثلاثة أسابيع ثم لم ينتهوا إلى شيء، أي لم يفتوا فيها. ولو راجعتم موسوعة الفقه للأخ الراحل قدس سره، لرأيتم أن بعض المسائل التي تتألف من عدة كلمات يبحثها قدس سره في أكثر من عشر صفحات؛ ولربما استغرقت منه شهراً من الوقت!

إن الإفتاء ليس بالأمر الهين، حتى لقد قيل: المفتي على شفير جهنم^٣. وهذا معناه أن أقل انحراف يؤدي به للسقوط في جهنم. فحذار حذار من مخالفة الاحتياط ولاسيما ممن لا أهلية له؛ فتكون تبعثها عظيمة. ففي الحج مثلاً هناك آلاف المسائل، حتى لقد قال الراوي للإمام الصادق عليه السلام: يا بن رسول الله، أربعون سنة ونحن نسألكم مسائل الحج ولم تنته بعد! فقال له الإمام عليه السلام:

أتريد أن تنتهي مسائل الحج بأربعين سنة؟!

هذا مع أن الإمام الصادق عليه السلام لم يكن مثلنا بحاجة إلى الفحص والتتبع للوصول إلى الأحكام لأن علمه كان لدنياً أي من الله تعالى، فكان يجب فوراً دون حاجة للتأمل حتى ثانية واحدة.

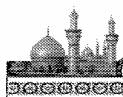
أقول: في مسائل الحج التي هي بهذه الكثرة، هناك مسألة واحدة يكون على السبب كفارة - مع أن السبب لا كفارة عليه (غالباً) بل الكفارة

(١) آية الله العظمى الميرزا مهدي الشيرازي.

(٢) آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي قدس سره.

(٣) منية المرید للشهيد الثاني رحمته الله: ص ٤٧.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٨، الحج، أبواب وجوبه: ب ١ ص ٧ ح ١٢.



على من ارتكب الحرام فقط - وهي في مورد الإفتاء بغير ما أنزل الله تعالى، كما لو سأل شخص من أحد الحجاج عن حكم مسألة تسليم الأظفار، فأفتاه بغير ما أنزل الله، فعليه الكفارة أيضاً^١.

أحكام الله أعز من أوليائه

إنّ النبي ﷺ هو أفضل الخلق عند الله وأعزهم لديه، ولم يخلق الله تعالى - وشاء أن لا يخلق - له نظيراً، حتى قال فيه من ساواه بنفسه - الامام أمير المؤمنين عليه السلام - :

أنا عبد من عبيد محمد^٢.

وقد بلغ ﷺ من المكانة أن قال الله تعالى فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^٣.
وقال: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾^٤.

ولكن عندما تصل النوبة للأحكام يقول الله تعالى:

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾^٥.

وكما يقول العلماء: إنّ القضية الشرطية صادقة حتى مع عدم صدق الطرفين.

فلا شك أنّ النبي ﷺ لا يفعل ذلك، ولكن الله تعالى يريد أن يخبرنا

(١) المصدر نفسه: ج ٩، الحج، أبواب بقية كفارات الإحرام: ب ١٣.

(٢) أصول الكافي: ج ١، باب الكون والمكان، ص ٩٠ ح ٥.

(٣) سورة القلم، الآية: ٤.

(٤) سورة النجم، الآية: ٩.

(٥) سورة الحاقة، الآيات: ٤٤-٤٧.



عن قضية مهمة وهي عظمة أحكام الله تعالى وحرمة الإفتاء؛ بأن يُنسب إلى الله ودينه ما لم يقله، فكيف إذا كان هذا الإفتاء - بغير ما أنزل الله - في حق سيد الشهداء عليه السلام وقضيته وشعائره؟!

الشياطين وتشكيك الناس

إننا لا نستغرب من التشكيك الذي يمارسه البعض بشأن قضية الإمام الحسين عليه السلام بعد أن أعيتهم الحيل في مواجهتها؛ وذلك لأنّ الشيطان هو الذي علّم أولياءه التشكيك في مثل هذه المواقف، فلقد ورد في كتاب «كامل الزيارات» الذي يعدّه بعض علماء الشيعة أصحّ حتى من «الكافي» و«التهذيب» و«الاستبصار»، - وهو بحقّ من أفضل كتب الروايات لدى الشيعة - رواية تقول: إن زينب عليها السلام سألت أباه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن حديث أم أيمن - وهو نفس الحديث الذي أخبرت به زينب ابن أخيها الإمام زين العابدين عليه السلام في كربلاء والذي جاء فيه:

«وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة»^١

فقال لها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

الحديث ما حدّثتك به أم أيمن.

وفي هذه الرواية التي نقلتها عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن أم أيمن عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

أنّ إبليس أمر شياطينه قائلاً: يا معاشر الشياطين... فاجعلوا شغلكم بتشكيك الناس^٢.

(١) كامل الزيارات: ب ٩٠ إن الحائر من المواضع...، ص ٢٦٠.

(٢) المصدر نفسه: ص ٤٤٤.



إنّ إبليس لما عرف أنّه وأتباعه لا يستطيعون أن يواجهوا قضية الإمام الحسين عليه السلام دعاهم للتشكيك بها. فعلى الذين يفترض أن يكونوا ممن دعا لهم الإمام الحسين في قنوته، أن يحذروا من دعوة إبليس هذه وأن لا يكونوا من المشكّكين. فإنّ التشكيك بقضايا وشعائر الإمام الحسين عليه السلام ليس لعباً في نار الدنيا فقط، بل هو مفسدة لآخرة الإنسان أيضاً.

لم يبلغنا من قضايا عاشوراء إلا القليل

إنّ قضايا عاشوراء كثيرة جداً لم يبلغنا منها إلا القليل، فلقد أحرق الأعداء كتب الشيعة، فضاع الكثير مما يتعلق بعاشوراء وغيره. فمن المعلوم أنّ الإمام الحسين عليه السلام خرج من مكة المكرمة في الثامن ذي الحجة، ووصل إلى كربلاء في الثاني من محرم، أي استغرقت مسيرته (٢٤) يوماً، وكان يرافقه في هذه المدة أكثر من ألف شخص حتى ورد كربلاء. فكم مسألة سألوا الإمام عليه السلام خلال هذه المدة؟ وأين صارت؟ وأين خطبه عليه السلام؟

وكم من قول وفعل وتقرير للإمام عليه السلام - وكلّها حجة - خلال هذه المدة مقابل أكثر من ألف إنسان لم يبلغنا حتى واحد بالمائة منها؟ وقالوا: إنّ السيّد المرتضى كان عنده (٨٠) ألف كتاب انتقلت بعد وفاته للشيخ الطوسي رحمه الله، وقد أحرقت مكتبة الطوسي في بغداد.

كما سمعنا أنّ فلاناً الرواي نقل (٣٠) ألف رواية مثلاً عن الإمام، مع أنّه لم يصلنا منها ألف رواية، وأنّ فلاناً نقل مئة رواية، لكننا لم نسمع منها حتى عشر روايات، فأين ذهبت الروايات الباقية؟



الدعاء للقائمين بالشعائر الحسينية

من المستحبات الدعاء للقائمين بالشعائر الحسينية بأن يوفقهم الله تعالى ويعينهم ويلهمهم الصبر وزيادة التحمل في هذا الطريق. وهذا المستحب مأخوذ من الرواية المتواترة - ولا أقل بالتواتر الإجمالي - والمنقولة عن الإمام الصادق عليه السلام أنه دعا حال السجود لزوار قبر الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام والذين يبذلون جهداً في عزائه فقال: «فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا»^١.

ويقول العلماء في أمثال ذلك: إن المورد ليس مخصصاً، فالعبرة بإطلاق الوارد لا بخصوص المورد.

فمن الشعائر في هذه الأيام أن بعض الموالين يأتون بأطفالهم الرضع تشبيهاً برضيع الإمام الحسين عليه السلام فيحملونه على الأكف ليشتد بكاء الناس، ولا شك أن لهم بذلك أجراً إن كان في مقام تعظيم شعائر أبي عبد الله عليه السلام.

وقد روي أن الإمام الصادق عليه السلام كان جالساً يستمع لمرثية شاعر في مصاب الإمام الحسين عليه السلام وكانت النسوة خلف ستار يستمعن أيضاً، فجيء بطفل من وراء الستار فوضع في حجر الإمام عليه السلام فلما رآه الإمام اشتد بكأؤه. هذا مع أنه كانت تمر على حادثة عاشوراء ومقتل الطفل الرضيع عقود من الزمن، ولكنها كانت مؤثرة جداً.

(١) ثواب الأعمال: ثواب من زار قبر الحسين عليه السلام: ص ٩٤.

تألم الأئمة عليهم السلام مما جرى على الإمام الحسين عليه السلام

لقد تألم الأئمة عليهم السلام من كل ما جرى على الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، ومنها مصيبة الطفل الرضيع. ويوم خرج المختار الثقفي بعد خمس سنين، وجاء المنهال إلى المدينة ودخل على الإمام السجاد عليه السلام، قال له الإمام:

ما صنع حرمة بن كاهل الأسدي؟

فقد كان موقف الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء عند مقتل الرضيع موقف المتأمل، فما يصنع بطفله الرضيع بعد أن ذبحوه، أيرجعه إلى أمه أم يدفنه أولاً ثم يخبرها بمقتله؟

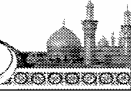
لقد ذهب ليطلب له الماء، فماذا يصنع؟ وما سيقول لأمه وقد عاد به قتيلاً؟!!

فإذا كان الإمام عليه السلام معصوماً فإن أمه ليست معصومة؛ فاختار عليه السلام أن يدفنه ولم يذهب به مذبحاً إلى الخيام، وإن كان كل من الأمرين صعباً وفي منتهى الألم.

إن هذه المصائب من شأنها أن تذيب الحديد، ولكن الإمام عليه السلام كان معصوماً والمعصوم وإن كان أرق الناس عاطفة، ولكنه أيضاً أكملهم عقلاً.

أمّا الحوراء زينب عليها السلام فكادت أن تذوب أيضاً لولا أن الإمام عليه السلام وضع يده المباركة على صدرها ودعا لها فألهمها الله الصبر.

(١) الأمالي للطوسي: المجلس التاسع في بقية أحاديث...: ص ٢٣٨.



وروي أنه حتى الأرض والسموات لم تتحمل عظم المصيبة وطلبت من الله أن يقضي على أولئك القوم بزلزال من الأرض أو صاعقة من السماء، وملئ ما بين السماء والأرض بالملائكة الذين كانوا يحملون بأيديهم قطعاً من النار وهم ينتظرون الإذن من الإمام عليه السلام لكي يحرقوا أولئك الظالمين؛^١ إلا أن الإمام عليه السلام كان قد اختار ما اختاره الله تعالى وهو أن يبذل دمه ودماء أهل بيته في سبيل الإبقاء على الإسلام وإقامة الصلاة.

ولذا كان المرجع الكبير السيد عبد الهادي الشيرازي رحمته الله - كما نقل - قبل أن يكبر لصلاة الجماعة يسلم على الإمام الحسين عليه السلام ثم يدخل في الصلاة، وعندما سئل عن السبب، قال: لولا الحسين عليه السلام لما أقيمت الصلاة.

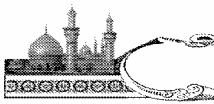
ولم يقل هذا من عند نفسه، فإن المعصوم هو من قال في حق سيد الشهداء عليه السلام:

أشهد أنك قد أقيمت الصلاة.

إن هذه المشاهد هزت الملائكة ولذلك تدخلوا لأنهم كانوا قد لاحظوا من قبل وفي حوادث ومواقف أقل إثارة لسخط الله من هذه الحادثة أن الله تعالى كان يأخذ الظالمين فوراً أو يغضب لأولياءه؛ لذلك طلبوا منه هذه المرة أيضاً أن يتدخل وينزل غضبه على هؤلاء القوم ولا يدع الإمام الحسين عليه السلام يقتل بذلك النحو الفجيع.

فمن الحوادث التي يمكن الاستشهاد بها في المقام مثلاً حادثة خروج النبي صلى الله عليه وآله من مكة ليلاً بعدما أراد قومه أن يقتلوه في قصة المبيت

(١) معالي السبطين: ج ١ ص ١٨.



المشهوره؛ ثم عاد إليها بعد ٨ سنوات، وكان ﷺ يعلم أنه سيعود ظافراً وسيحكم مكة. ولكنه عندما خرج من مكة في تلك الليلة تلفت إليها وبكى لأنها كانت مسقط رأسه وفيها بيته وبيت أبيه وأمه وتاريخ أجداده ابراهيم وإسماعيل وعبد المطلب.

وروي عن النبي والأئمة عليهم السلام أنه من أجل ذلك - أي بسبب بكاء النبي ﷺ - غضب الله على مكة^١ وهي البقعة الوحيدة في العالم التي تضم بيته سبحانه؛ فكره المبيت فيها. فصار من المندوب على من يذهب للحج أن يبيت خارجها ليلاً ثم يعود إليها نهاراً، ولقد عمل بهذا الحكم الشرعي النبي ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع أن وسائل النقل لم تكن يومذاك ميسرة كما في أيامنا هذه.

وهكذا ما روي عن قصة النبي صالح وما جرى على ثمود الذين عقروا الناقة؛ يقول الله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمِمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا^٢﴾. وهذه الفاء في «فدمم» هي فاء الترتيب الاتصالي - كما قال العلماء - فإن الله تعالى لم يمهلهم بل قتلهم في مساء نفس اليوم الذي عقروا فيه الناقة.

وحيث إن الملائكة يعلمون بهذه الأمور ورأوا أن ما يجري في عاشوراء هو أعظم منها بكثير، لذلك توجهوا إلى الله يطلبون منه أن يحولوا دون وقوعها.

ولكن الإمام الحسين عليه السلام كان قد اختار ما اختاره الله تعالى له،

(١) وسائل الشيعة: ج ٩ ص ٣٤٢ ح ٨.

(٢) سورة الشمس، الآية: ١٤.



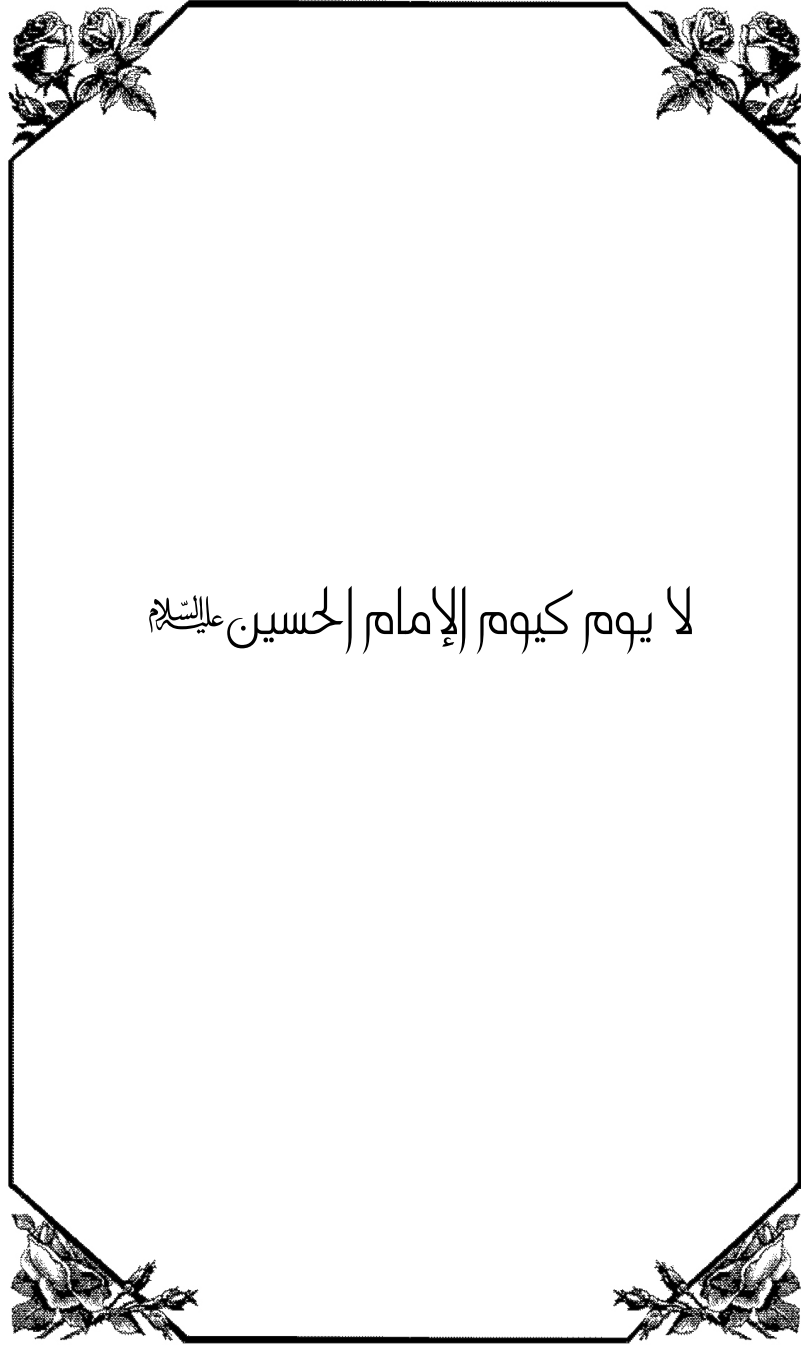
فواصل طريق الشهادة حتى نهايته ليكون دمه ضماناً لحفظ الإسلام عن الانحراف.

فحذار حذار من التشكيك في قضايا الإمام الحسين عليه السلام وشعائره، فكما أنّ الأجر والمقام والأمل والثواب عظيم لمن يقف في صف الإمام الحسين عليه السلام وشعائره، فكذلك العقاب عظيم لمن يشكك فيها أو يعرقل إجراءاتها.

واعلموا أنّ ما يجري في السماوات من تعظيم هذه الشعائر لهو أعظم بكثير مما يجري في الأرض في بلاد الشيعة وغيرهم من مجالس وإطعام وشعار وكتب وأقراص (CD) وما يبثّ عبر الفضائيات وينشر على الإنترنت وغير ذلك.

أسأل الله أن يشملنا بفضل العميم وأن يجنّبنا نقمته وغضبه التي جعلها لمن وقفوا أو يقفون في وجه الإمام الحسين عليه السلام وشعائره، وأن يجعل جميع المؤمنين من المشجّعين للشعائر الحسينية المترشحين في إطلاق ما لا يعلمون حكمه وأن يرجعوا في ما يختلفون فيه إلى المراجع العظام فهم أصحاب هذه المسؤولية، وأن يتقبل الله من الجميع ما بذلوه في هذا السبيل.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.



لا يومه كيوهر الإمام الحسين عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين
الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين*.
عَظَّمَ اللهُ أَجورنا وأجوركم بمصابنا بسيدنا الإمام الحسين عليه السلام وجعلنا
وإياكم من الطالبين بثاره مع وليه الإمام المهدي من آل محمد عليهم السلام.
ما أنجز أمس واليوم على مستوى الأرض كلها - بل في السماء
والجنان أيضاً - للإمام الحسين عليه السلام من تعاز وإقامة شعائر وإطعام
وخدمات وهداية وإرشاد وتثقيف و... لا نحيط به ولا نملك إحصاءه،
بل لا يمكننا ذلك، وذلك لا يحصيه إلا الله تعالى والمعصومون، ومن
شاءت إرادة الله تعالى له ذلك.

هب أن أحداً استطاع أن يُحصي ما بُذل في هذا السبيل وأعداد
المعزيين على وجه الأرض، ولكن أنى له بإحصاء المبذول وعدد
المشاركين في السماء والجنان؟

(* بمناسبة ليلة الحادي عشر من محرم الحرام (عام ١٤٢٧ للهجرة) والتي تسمى بليلة
(الوحشة) ألقى المرجع الديني سماحة آية الله العظمى السيد صادق الحسيني
الشيرازي رحمته الله هذه الكلمة حول مصاب مولانا سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام بجموع
المعزيين في بيته المكرم بمدينة قم المقدسة.



وهب أنّ أعداد المعزّين في الأرض بلغوا كذا مليون نسمة - ذلك أنّ هذه التعازي لا تقتصر على الشيعة ولا على المسلمين وحدهم فكثيرون من غير الشيعة بل من غير المسلمين يذرفون الدموع على مصاب الإمام الحسين عليه السلام - فكيف يمكن للمرء أن يحصي قطرات الدمع التي ذُرفت منهم خلال هذه المدّة؟

ثم أنّي له أن يعرف القيمة التي تبلغها؟ فهل تعدل قطرة الدمعة الواحدة على الإمام الحسين عليه السلام الآلاف أم الملايين أم المليارات من أموال الدنيا؟

بطبيعة الحال الأمر يختلف من باك لآخر؛ فإنّ الدمعة الواحدة التي تنزل من عين السيدة الزهراء عليها السلام على الإمام الحسين عليه السلام لا يعادلها العالم كلّه بما فيه؛ إذ لا سنخية بينهما ولا يمكن المقارنة بينهما.

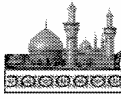
ولتقريب الفكرة إلى الأذهان نستعين بمثال:

يُنقل^١: أنه عندما كان الحسنان عليهما السلام صغيرين قالوا لجدهما عليه السلام يوماً: إن لبعض الأطفال مركوباً يركبانه ونحن ليس لدينا مركوب، فأركبهما عليه السلام على كتفيه.

فقالا: وإنّ المركوب يصدر صوتاً، فشرع عليه السلام بالقول: إلهي العفو، إلهي العفو، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال له: لو بقيت تطلب العفو فإنّ الله تعالى سيطفئ نار جهنم.

ولا شك أنّ جهنم يجب أن تكون موجودة لأنها من مقتضيات العدالة الإلهية، وإلاّ من سيجازي أمثال حرملة وشمير بن ذي الجوشن لعنهما الله،

(١) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٢٨٥.



فهؤلاء لو قُطِّعوا وقُتِلوا في هذه الدنيا آلاف المرات لما كفى عقاباً لهم.
فهذا تأثير قول «العفو» الصادر من النبي ﷺ، وشتان ما بينه وبين قول
«العفو» الذي يصدر من غيره.
وهكذا الحال في البكاء على الحسين عليه السلام وقيمة الدموع التي تهمل
عليه، فليست كلها على مستوى واحد، ولكنها غالبية جميعاً على
كلِّ حال.

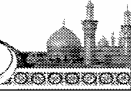
لا قضية كقضية أبي عبد الله عليه السلام

أربعة في العالم هم أفضل من الإمام الحسين عليه السلام وهم جدّه وأبوه
وأُمّه وأخوه عليه السلام، كما صرّح بذلك الإمام الحسين عليه السلام نفسه عندما قال
في كربلاء:

«جدّي خير مني وأبي خير مني وأمي خير مني وأخي خير مني ولي
ولكلّ مسلم برسول الله أسوة»^(١).

ولكن ما أقيم على الإمام الحسين عليه السلام من مجالس للجزاء وبكاء
وحزن وإطعام وشعائر وخدمات مختلفة خلال الأربع والعشرين ساعة
الماضية يفوق جميع مجالس العزاء التي تقام على المعصومين الثلاثة
عشر الآخرين جميعاً طيلة العام كلّهُ، فما بالك بما يقام على الإمام
الحسين عليه السلام طيلة السنة، ناهيك عن عدد المشاركين في مجالس الإمام
الحسين عليه السلام فهي أكبر بكثير؛ لأنّ الله تعالى شاء ذلك، وجعل من الإمام
الحسين عليه السلام وقضيته استثناءً، كما تعامل على ذلك الأساس النبي ﷺ

(١) العوالم الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٤٦.



نفسه والإمام أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والإمام الحسن وكل الأئمة من بعد الحسين وصولاً للإمام المهدي عليه السلام.

فقد ورد عن الإمام المهدي عليه السلام بحق جدّه الإمام الحسين عليه السلام ما لم يرد مثله بحق أيّ معصوم آخر من أجداده المعصومين، من ذلك قوله: «ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً»^١.

وهذا ما لم يقله الإمام المهدي عليه السلام بحق أيّ من أجداده عليه السلام حتى جدّته الزهراء عليها السلام.

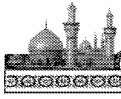
ففضية الإمام الحسين عليه السلام استثنائية على كل الأصعدة، وحتى ما قمتم به خلال الأيام والليالي الماضية من إقامة للشعائر هو استثناء أيضاً فاعرفوا قدره، وكونوا بمستوى مسؤوليته؛ واعلموا أنّ هذه الشعائر والمجالس لا تثمن أبداً بكلّ أموال الدنيا. فإن قلنا إنّ هذه المجالس جوهره ثمينة مثلاً، فإن في قولنا هذا تنقيصاً لها، ولكن هذا القول من باب ضيق الدنيا، لأنّ الناس يعرفون الذهب والجواهر في هذه الحياة الدنيا فتقارن بها، وإلاّ فهي من سنخ آخر، ولا يصحّ مقارنتها بهذه الأمور الدنيوية.

التعامل الاستثنائي للإمام عليه السلام مع أصحابه

هناك مسألة مهمة أودّ أن أذكر بها جميع مقيمي الشعائر والقائمين عليها والمشاركين بها وهي من الاستثناءات التي خصّ بها الإمام الحسين عليه السلام أيضاً؛ والتي قلّما أشير إليها في كتب الخصائص الحسينية:

لقد وقعت حروب كثيرة في العالم بل وقع ظلم كثير وفجائع وقتل

(١) المزار لمحمد بن المهدي عليه السلام: ص ٥٠١.



وسبي، قبل كربلاء وبعدها. وما أكثر الظلم على مرّ التاريخ، وما زال وفي كلّ مكان.. ولكن واقعة كربلاء امتازت بخصائص كثيرة، منها:

أنّ الإمام الحسين عليه السلام - وهو القائد الأعلى - كان يأتي ويحضر عند رأس الشهيد الذي يسقط من أهل بيته وأصحابه، ويحول - ما أمكنه - دون أن يهانوا بعد استشهادهم بأيّ نحو من أنحاء الإهانة المتصورة في الحروب آنذاك.

ولم يحرم أيّ من شهداء الطف من هذه المزية لأنّ الإمام الحسين عليه السلام كان آخر من استشهد يوم عاشوراء.. حتى عبد الله بن الحسن الذي صرع بعد مصرع الإمام استشهد قبل الإمام أيضاً.

فمع أنّ النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام كانا أفضل من الإمام الحسين عليه السلام إلاّ أنهما لم يصنعا كذلك في حروبهما؛ فقد فرضت على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ثلاثة حروب ولم يتخذ هذا الأسلوب، ولا يقتضي قانون الحروب مثل هذا. ولكن هذا كان من استثناءات سيّد الشهداء عليه السلام.

فقد جاء على لسان الروايات والمؤرّخين ممّن حضر الواقعة: أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يمتطي فرسه ويراقب الأوضاع، وما إن يسقط الشهيد حتى يحضر عنده فوراً قبل أن يفارق الحياة، وحسب تعبير بعضهم، (كالصقر المنقض)^١ لئلا يوجّه إليه أولئك القتلة أية إهانة ثم يسارع لنقله إلى الفسطاط.

فحضر الإمام عليه السلام عند علي الأكبر والقاسم بن الحسن وأخيه

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٣٥.



العباس عليه السلام وعند زهير بن القين وحبیب بن مظاهر الأسدي ومسلم بن عوسجة وكذلك حضر عند شيخ العشيرة الحر بن يزيد الرياحي، وجون المولى الأسود ونقلهم جميعاً إما بنفسه أو بمساعدة بني هاشم إذا لم يقو على حمله لثقل المصاب، إلا أبي الفضل العباس عليه السلام الذي كان يرى نفسه مولى (عبداً) للإمام رغم أنه كان أخاه وحامل لوائه، فإنّ له قصة خاصة، ولعله أراد أن لا يقصر عن مساندة إمامه حتى في هذه القضية، ولعله شاء الله أن يكون له مزار متميّز في كربلاء كأخيه الإمام الحسين عليه السلام.

فكان الشهيد في الطفّ يسقط وهو في الرمق الأخير من حياته، أي أنه كان سيفارق الحياة حتى من دون الضربة الأخيرة القاتلة أو حزّ الرأس لأنّ عدد الضربات في بدنه لم تكن قليلة، فالأعداء كثر وهم كجبال الحديد أي مدججين بالسلاح كما ذكره العلامة المجلسي في بحار الأنوار^(١)، ولكن الإمام عليه السلام - في الغالب - كان يوصل نفسه إلى الشهيد قبل أن تفارق روحه الطاهرة بدنه، فيجلس عنده ويضع رأسه في حجره ويمسح عنه الدم والتراب، ويكلّمه ويدعو له ثم يحمله - أو يأمر بحمله - إلى الخيام... فأيّ شعور كان يشعر به ذلك الشهيد وهو يرى رأسه في حجر الإمام عليه السلام؟! أي مقام كبير كان يشعر به إذ ذاك؟ فلم لا يكونوا تواقين للشهادة، وهم يسلمون الروح في حجر سيد الشهداء عليه السلام؟! فما أسعدهم وأحسن عاقبتهم وأعظم مقامهم ومنزلتهم في الآخرة؟! فياليتنا كنا معهم فنفوز فوزاً عظيماً.

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٩٣.



ومن هنا نفهم معنى وجد برير - وهكذا سائر الأصحاب - ليلة العاشر من المحرم، وما دار بينه وبين عبد الرحمن بن عبد ربّه الأنصاري. يقول الراوي: فلمّا كان الغداة... فجعل برير يضاحك عبد الرحمن فقال له عبد الرحمن: يا برير أ تضحك! ما هذه ساعة ضحك ولا باطل. فقال برير: لقد علم قومي أنني ما أحببت الباطل كهلاً ولا شاباً وإنما أفعل ذلك استبشاراً بما نصير إليه، فوالله ما هو إلا أن نلقى هؤلاء القوم بأسيافنا نعالجهم بها ساعة^١.

لقد كان برير فقيهاً عالماً لم يمازح في شبابه فكيف في كهولته؟ ويبدو أن ذلك المزاح كان بطبيعته مما يناسب الشباب، ولذلك عاتبه عبد الرحمن، فأجابه برير: إنك لم تعرفني جيداً ولكن قومي يعرفونني ويعلمون أنني لم أمازح مثل هذا المزاح حتى في شبابي، ولكن الآن هو الوقت المناسب للمزاح؛ لأنه لم يبق بيننا وبين النعيم الأبدي سوى سويعات. هذه الروحية العالية اكتسبها الأصحاب من الإمام الحسين عليه السلام. وكان الإمام عليه السلام يعرفهم حقّ المعرفة ولذلك قال فيهم: «إني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي»^٢.

فكان أصحاب الإمام مصداقاً آخر من مصاديق الاستثناء الحسيني؛ لأنهم كانوا حالة استثنائية أيضاً وقد وصفهم الإمام عليه السلام بذلك. فمن المتعارف في كلّ الحروب حتى حروب الأخيار، أن يتحمّل الأنصار الإهانات عادة ويحولون دون توجيهها للقائد أو تقليدها إلى أقلّ

(١) اللهوف على قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس: ص ٩٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٩٢.



ما يمكن، إلا في كربلاء؛ فكان الأمر استثنائياً.

أجل، لقد دفع الإمام الإهانات عن أصحابه بنفسه الكريمة؛ ولم يسمح بأن تهان أو يتجاسر عليها. فكان ﷺ آخر من استشهد، وعندما كان جسده الطاهر ملقى على الأرض لم يكن قد بقي أي من أنصاره الأوفياء ليمنع من تجاسر الأعداء عليه، أو ينقل جسده الطاهر إلى الخيام أو يضع رأسه في حجره. وهكذا صار درعاً لهم من هذه الجهة.

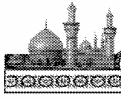
الإمام ﷺ وطلب الماء من الأعداء

أجل، لقد تحمّل الإمام ﷺ بنفسه الإهانات كلّها ودفعها عن أصحابه، ومنها طلب الماء من الأعداء.

فإنّ الإمام ﷺ طلب لنفسه الماء من الأعداء عدّة مرات في يوم عاشوراء. ولا شك أنّ الإمام ﷺ وهو أعقل العقلاء كان يعلم أنّ القوم لا يستجيبون له وأنّه لا يليق بالإنسان أن يطلب من عدوّه شيئاً لأنّ في ذلك منة فكيف إذا كان الطالب هو القائد الأعلى للجيش؟ خاصّة إذا كان الطرف الذي يطلب منه لئيماً!! فكلمّا كان الطالب أعزّ وأكرم كانت المشقّة في الطلب أكثر وأمرّ. فلماذا كان الإمام يكرّر هذا الطلب، ولماذا طلب بنفسه مع أنّه كان من الممكن أن يقوم بهذا الدور غيره؟

الجواب: إنّ الإمام ﷺ كان يريد أن يدفع هذه المشقّة عن أصحابه، فأدّى ﷺ ذلك الدور بنفسه رغم مشقّته النفسية، ولم يترك أداء هذا الدور لأيّ من أهل بيته ﷺ وأصحابه، فلم نسمع أنّ عليّاً الأكبر أو العباس ﷺ أو حبيب أو حتى جون يقوم بذلك الدور الشاقّ نفسياً وهو طلب الماء لأنفسهم.

أمّا العلة في تكرار الطلب فلعلّه كان لإتمام الحجّة على الأعداء وبيان



مدى شقاوتهم وسقوطهم الأخلاقي الذريع. وهذا أيضاً من الاستثناءات في قضية كربلاء، لأنّ مهمة الأنصار أن يتحمّلوا هم عن القائد وليس العكس. ويعلم الله تعالى كم كانت ثقيلة هذه المهمّة وكم عانى الإمام عليه السلام وهو يطلب من هؤلاء المنحرفين الساقطين.

وما أكثر التضحيات النفسية التي قدّمها الإمام عليه السلام في سبيل الله تعالى دون أصحابه! قبل الحرب وأثناءها وبعدها؛ ومنها أيضاً: قال الراوي: وجاء رجل فقال: أين الحسين عليه السلام؟ فقال: ها أنا ذا. قال: أبشر بالنار تردّها الساعة. قال: بل أبشر بربّ رحيم وشفيع مطاع، من أنت؟ قال: أنا محمد بن الأشعث. قال:

اللهم إن كان عبدك كاذباً فخذ به إلى النار واجعله اليوم آية لأصحابه. فما هو إلا أن ثنى عنان فرسه فرمى به وثبتت رجله في الركاب فضربه حتى قطعه^١.

نماذج أخرى من تحمّل المصائب الروحية

ولم تقف المصائب والآلام الروحية والنفسية التي تحمّلها الإمام عليه السلام ودفعها عن أصحابه عند هذا الحدّ. بل إنّ بعض تلك المصائب والمصاعب تعود إلى ما قبل الحرب وبعضها أثناء الحرب وبعضها بعد الحرب أيضاً.

فعلى سبيل المثال:

● عندما اقترب موعد الصلاة قال أبو ثمامة الصيداوي للإمام

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥ بقية باب ٣٧ ص ٣١.



الحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله نفسي لنفسك الفداء هؤلاء اقتربوا منك ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك وأحب أن ألقى الله ربي وقد صليت هذه الصلاة.

فرفع الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء وقال:

ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين. نعم هذا أول وقتها.

ثم قال:

سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي.

فقال الحصين بن نمير: إنها لا تقبل. فقال حبيب بن مظاهر: لا تقبل الصلاة زعمت من ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقبل منك يا ختار^١.

فمثل هذه التجاسرات وهذه الجراحات واللدغات - التي هي أشدّ وقعاً من ضربات السيوف - لم توجه إلى أبي الفضل العباس عليه السلام أو حبيب أو برير ... ووجهت إلى الإمام عليه السلام نفسه وتحملها في سبيل أصحابه.

● أما في الحرب فقد صنعوا بالإمام ما لم يصنع بأيّ من أهل بيته وأصحابه، وكما في التاريخ:

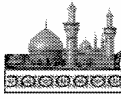
«فرقة بالسيوف وفرقة بالرماح وفرقة بالنبال وفرقة بالحجارة وفرقة بالحطب»^٢.

في حين إنّ الإمام عليه السلام لم يسمح أن يُصنع مثل ذلك بأصحابه.

● وكذلك الحال بعد انتهاء القتال، وعندما هوى الإمام عليه السلام إلى

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٣١.

(٢) شجرة طوبى: ج ٢ ص ٢١٣.



الأرض، جرى عليه ما لم يجر مع أيّ من الأصحاب أبداً؛ يُنقل عن
المرحوم الشيخ جعفر الشوشتري - وهو من كبار العلماء - أنه كان يقول:
لو أمهل الإمام قليلاً لأسلم الروح قبل أن يذبحوه.
ثم قاموا بتلك الجريمة المروعة التي لا أقولها؛ لأنّ الإنسان لا يستطيع
أن يؤدّي حقّ هذه المصيبة بأقلّ ما يمكن.

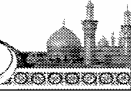
ومثل هذا المصائب لم تحدث في استشهاد رسول الله ﷺ ولا أمير
المؤمنين عليه السلام ولا الإمام المجتبي عليه السلام ولا حتى في سائر شهداء كربلاء
إلا الإمام عليه السلام نفسه، وكانت من اختصاصاته أيضاً.

إننا لا نستطيع تصوّر مصيبة كربلاء وعمق هذه الفاجعة، كثير من
القضايا والأحداث لم تبلغنا أيضاً، فقد أتلّفت كثير من كتب المقاتل
والتواريخ على مرّ التاريخ إمّا حرقاً أو غرقاً أو بغيرهما. فعلى سبيل
المثال ينقل الشيخ الطوسي أنّه كان هناك كتاب يتألف من (عشرين
ألف صفحة) أُلّف في مدينة قم، قد أُحرق بالكامل ولم يردنا منه حتّى
سطر واحد.

الحاصل: إنّ ما وصلنا من قضايا عاشوراء قليل من كثير، ولكن ما
أعظمها مع ذلك؟!!

لا يوم كعاشوراء ولا أرض مثل كربلاء

لقد شاء الله أن تكون قضية الإمام الحسين عليه السلام استثنائية في كلّ
جوانبها. ومن الاستثناءات التي تميّز بها الإمام الحسين عليه السلام شدة الحزن
والبكاء عليه وإقامة العزاء على مصابه، وشدّ الرحال لزيارته في كلّ
مناسبة إسلامية مهمّة. فإنّ ما ورد من الحثّ على ذلك من النبي وسائر
المعصومين عليهم السلام بشأن الإمام الحسين عليه السلام لم يرد في أيّ منهم ولا حتى
في النبي ﷺ نفسه؛ فلقد ورد في الروايات الواردة عنهم عليهم السلام من الأجر



لزائر الحسين عليه السلام ومعظم شعائره والمقيم العزاء عليه ما لم يرد مثله لغيره. فقد روي عن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام قوله لأخيه الإمام الحسين عليه السلام:

«لا يوم كيومك يا ابا عبد الله عليه السلام»^١

ومن هنا فإنّ مقولة «كلّ أرض كربلاء وكلّ يوم عاشوراء» التي تدور على بعض الألسنة غير صحيحة، لأنها تتعارض مع ما ورد من روايات المعصومين عليهم السلام من أنه لا أرض مثل كربلاء ولا يوم كعاشوراء. وحيث إنّ تلك المقولة لم ترد من أئمتنا عليهم السلام فلا نقبل بها وإن حاول بعض توجيهها.

ويستفاد من روايات الأئمة المعصومين عليهم السلام بوضوح أنه لا أرض تبلغ شرافة أرض كربلاء حتّى الكعبة المشرفة، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ أرض الكعبة قالت: من مثلي وقد بنى الله بيته على ظهري ويأتيني الناس من كلّ فج عميق وجعلت حرم الله وأمنه! فأوحى الله إليها أن كفي وقرّي، فوعزّتي وجلالي ما فضل ما فضّلت به فيما أعطيتُ به أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غمست في البحر فحملت من ماء البحر! ولولا تربة كربلاء ما فضّلتك، ولولا ما تضمّنته أرض كربلاء لما خلقتك ولا خلقت البيت الذي افتخرت به؛ فقرّي واستقرّي...»^٢.

وعن النبي صلى الله عليه وآله: - في حديث طويل -

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٢١٨.

(٢) كامل الزيارات: ب ٨٨، فضل كربلاء: ص ٤٥٠.



« ... كربلاء ... وهي أطيب بقاع الأرض وأعظمها حرمة! »^١

وفي حديث آخر:

«سلط الله المشركين على الكعبة وأرسل إلى زمزم ماءً مالحاً حتى أفسد طعمه»^٢.

ومن الواضح من الروايات أنّ الكعبة لم تفتخر على كربلاء بل افتخرت بنفسها فوبّخها الله كذلك وجعل ماء زمزم الذي ينبع من حواليتها مالحاً، وكأنّ المفهوم من الرواية أنّ الله تعالى أراد أن يظهر عظمة كربلاء وأنّ الفخر يليق بها فقط.

وبهذه المضامين وردت روايات مستفيضة فما الداعي لأن يتحدث الإنسان بكلمات تخالف روايات المعصومين عليه السلام ثم ينشغل بتوجيهها؟!!

وصايا للمؤمنين

فلتتعلم من الإمام عليه السلام تحمّل الأذى الروحي والنفسي في سبيل تعظيم شعائر الإمام الحسين عليه السلام إضافة لما تقدمه من تضحيات جسمية ومادية في هذا الطريق، ولا نكثر بما يعيبه الأعداء فينا من إقامة هذه الشعائر. فما دمنا علمنا أنّ مجالس العزاء لأبي عبد الله عليه السلام استثنائية أيضاً كالإمام نفسه، فلنعرف قدرها ولنحاول أداء حقّها فهي نعمة عظيمة حقّاً. وكما أنّ الإمام الحسين عليه السلام تحمّل كل ذلك الهوان في سبيل الله تعالى وضحّى بكلّ تلك التضحيات وحال بنفسه عن أصحابه كثيراً

(١) المصدر نفسه: ص ٤٤٧.

(٢) المصدر نفسه: ص ٤٥٥.



من الآلام، فلنقتد به ولنستسغ كل أنواع الإذى البدني والروحي في سبيله عليه السلام.

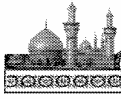
إنّ كثيرين منّا قد يتحمّلون التعب والسهر ويبدلون أموالهم ويتعبون أبدانهم في سبيل الإمام الحسين عليه السلام ولكنهم لا يتحمّلون الأذى الروحي والإهانات والشماتة في هذا السبيل؛ مع أن هذا كلّه في نظر الله تعالى ونظر الأئمة عليهم السلام وينبغي تحمله أيضاً؛ لأن كثيراً من الناس - تعيسي الحظّ - يسخرون من هذه الشعائر، فلا ينبغي التراجع عنها بسبب سخريتهم.

فَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهَبٍ قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقِيلَ لِي: ادْخُلْ، فَدَخَلْتُ فَوَجَدْتُهُ فِي مُصَلَاةٍ فِي بَيْتِهِ فَجَلَسْتُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يُنَاجِي رَبَّهُ سَاجِداً وَيَدْعُو لِرِوَاةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَلَمَنْ يَجْزَعُ لِمَصَابِهِمْ وَأَمْثَالِهِمْ، فَقَالَ فِيمَا قَالَ:

«اللَّهُمَّ إِنَّ أَعْدَاءَنَا عَابُوا عَلَيْهِمْ خُرُوجَهُمْ فَلَمْ يَنْهَهُمْ عَنِ الشُّحُوصِ إِلَيْنَا وَخِلَافاً مِنْهُمْ عَلَيَّ مَنْ خَالَفَنَا فَارْحَمْنَا تِلْكَ الْوُجُوهَ الَّتِي قَدْ غَيَّرْتَهَا الشَّمْسُ وَأَرْحَمْنَا تِلْكَ الْخُدُودَ الَّتِي تَقَلَّبَتْ عَلَيَّ حُفْرَةَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَأَرْحَمْنَا تِلْكَ الْأَعْيُنَ الَّتِي جَرَّتْ دُمُوعُهَا رَحْمَةً لَنَا وَأَرْحَمْنَا تِلْكَ الْقُلُوبَ الَّتِي جَزَعَتْ وَاحْتَرَقَتْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا الصَّرْحَةَ الَّتِي كَانَتْ لَنَا»^١.

فلو عاب عليكم أحد، فلا تقولوا: لقد بقي التعب في أبداننا بسبب جرح اللسان لأنه أشدّ من جرح السنان، بل تحمّلوه أيضاً من أجل الإمام عليه السلام الذي قدّم كل هذه التضحيات في سبيل الله وتحمل الإهانات عن الأعداء بنفسه الشريفة ودفعها حتى عن أصحابه وأنصاره وأهل

(١) فروع الكافي: ج ٤، باب فضل زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام: ص ٥٨٢.



بيته.. فإن اقتديتم بالإمام عليه السلام في تحمّل الهوان في سبيل الله تعالى - وهو العزّ بعينه - أصبحتم مشمولين لدعاء الأئمة عليهم السلام ولدعاء الإمام الصادق عليه السلام. ولا فرق في ذلك بين أن يكون التعيير أو التثييط صادراً من قبل العدو أو الصديق.

يُنقل أن المرحوم السيد الجليل بحر العلوم الكبير (١١٥٥-١٢١٢هـ) شارك في عزاء طويريج الجماهيري الذي ينطلق بعد صلاتي الظهرين في العاشر من محرم كل عام في كربلاء المقدسة صوب الحرم الحسيني الطاهر، ولقد توسّع هذا العزاء حتى نقلوا أنه كان متواصلاً هذا العام لمدة أكثر من ساعتين ونصف، ولم يقتصر على كربلاء، بل خرج في العديد من مدن العالم.

قالوا: رئي السيد بحر العلوم مشاركاً في هذا العزاء، يلطم على صدره ووجهه، وإذا به يرمي بعمامته ويهرول مع الجموع حافياً، فقال له بعض ذويه بعد انتهاء العزاء: ما كان يليق بك أن تفعل ذلك وأنت مرجع، فقال: كيف لا أفعل وقد رأيت الإمام الحجة عليه السلام مشاركاً في هذا العزاء؟!

فإذا كان الإمام الحجة عليه السلام بعد أكثر من ألف سنة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام يشارك في هذا العزاء، الذي يسخر منه البعض قائلاً: من يقول إن هذه الشعائر صحيحة؟ وما أدراك أن كل المشاركين فيه من المصلين والملتزمين شرعياً؟ و...؟

فما أضعف ما يردّد من هذه الأقوال؟

إنّ الله تعالى قد يغفر لمن عصاه سريعاً ولكنه آلى على نفسه أن لا يغفر لمن يسيء للإمام الحسين عليه السلام.

أجل إنّ الله تعالى بالمرصاد لكلّ من يريد السوء بمجالس الإمام الحسين عليه السلام وشعائره، وإنّه هو المسدّد لها، وقد تعلّقت مشيئته بأن تزداد



تألقاً وتوسّعاً وانتشاراً على مرّ الزمن.

انظروا إلى زيارات النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام فكلّها عن الأئمة عليهم السلام أنفسهم إلا زيارة عاشوراء فهي حديث قدسيّ - أي عن الله تعالى - وإن كان كلّ ما يرد عن المعصومين عليهم السلام إنما هو عن الله تعالى لأنهم لا ينطقون إلا عنه، وكما قالوا:

«روى جدنا عن جبرئيل عن الله»^١.

فهذه كلّها استثناءات، وأنتم أيضاً اسعوا أن تكونوا استثنائين في تحمّلكم أنواع الصعاب والتعبير، وأن لا تردّوا أو تشتبكوا مع المعاند وإن كنتم قادرين على ذلك.

أرجو ببركة الإمام الحسين عليه السلام وهو الرحمة الإلهية الواسعة أن يكتب الأجر الجزيل لكل الذين ساهموا وتحملوا العناء المادي والنفسي في سبيل شعائر الإمام الحسين عليه السلام. وأن يديمها فينا وفي ذريّاتنا. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) السيد شرف الدين، أجوبة مسائل جاد الله: ص ١٤٤.

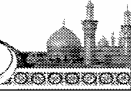
الإمام الحسين عليه السلام جوهرة
التاريخ الفريدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين
الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين*.
عظّم الله أجورنا وأجوركم بمصابنا بالحسين عليه السلام وجعلنا وإياكم من
الطالبين بثاره مع وليّه الإمام المهدي عليه السلام من آل محمد عليهم السلام.
يمرّ على مقتل الإمام الحسين عليه السلام أكثر من ثلاثة عشر قرناً ولما
يؤخذ بثاره. وإنّ وليّ دم الإمام الحسين عليه السلام هو حفيده المعظّم
الإمام المهدي عليه السلام.

لقد ذرفت دموع غزيرة وأريققت دماء كثيرة خلال هذه القرون من
أجل الإمام الحسين عليه السلام، وتزداد مجالس العزاء التي تقام في كلّ أرجاء
المعمورة على مصابه عليه السلام كلّ عام، ولكنّ أياً من هذه الأمور لا تسدّ
مسدّ الثأر لدم الإمام الحسين عليه السلام الذي سفك بغير حقّ.
أجل، إنّ ثأر الإمام الحسين عليه السلام والانتقام لدمه الطاهر لم يحصل بعد،
ولهذا أمرنا الإمام المعصوم عليه السلام أن يُواسي ويعزّي بعضنا الآخر بمصيبة
استشهاده عليه السلام في عاشوراء هكذا؛ وبهذه العبارات:

(* نصّ كلمة سماحته في جموع المعزّين في ليلة الحادي عشر من المحرم عام ١٤٢٦ هـ .



«عظّم الله أجورنا وأجوركم بمصابنا بالحسين عليه السلام وجعلنا وإياكم من الطالبين بثاره مع وليّه الإمام المهدي عليه السلام من آل محمد عليهم السلام».

عظمة مصاب الإمام عليه السلام

لقد عانى أهل البيت عليهم السلام كلّهم وضحوًا في سبيل الله تعالى واستشهدوا جميعاً، وفيهم من هو أفضل من الإمام الحسين عليه السلام كجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وأبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأمّه فاطمة الزهراء عليها السلام وأخيه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، وكان استشهادهم فاجعة كبرى للإسلام والمسلمين، ولكن شاء الله تعالى أن يكون المصاب بالإمام الحسين عليه السلام استثنائياً، فلم يكن مصابه كسائر المصائب، ولقد قال الإمام الحسن عليه السلام مخاطباً أخاه الإمام الحسين عليه السلام:

لا يوم كيومك يا أبا عبد الله^١.

فلم يصب بالإمام الحسين عليه السلام المسلمون وحدهم بل أصيب العالمين جميعاً، والملائكة وأهل السماوات وبكته الحور العين، بل بكاه الأنبياء عليهم السلام، وبكاه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وأبوه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأقاموا المجالس عليه عندما مرّوا بمكان استشهاده قبل أن يولد عليه السلام، كما بكوه بعد استشهاده.

أول ناع وقارئ مرثية للإمام الحسين عليه السلام

إن أول ماتم أقيم على الإمام الحسين عليه السلام كان في الجنان.

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٢١٨.

أما أول من قرأ التعزية على الأرض للإمام الحسين عليه السلام فكان ملاك الوحي جبرئيل عليه السلام، قرأ تعزية الإمام الحسين عليه السلام لآدم أبي البشر عليه السلام.

«روى صاحب الدر الثمين في تفسير قوله تعالى ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ أنه رأى ساق العرش وأسماء النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام فلقنه جبرئيل؛ قل: يا حميد بحق محمد، يا عالي بحق علي، يا فاطر بحق فاطمة، يا محسن بحق الحسن والحسين ومنك الإحسان. فلما ذكر الحسين عليه السلام سالت دموعه وانخسع قلبه وقال: يا أخي جبرئيل في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي. قال جبرئيل: ولدك هذا يصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب. فقال: يا أخي وما هي؟ قال يُقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً ليس له ناصر ولا معين، ولو تراه يا آدم وهو يقول وا عطشاه وا قلّة ناصراه حتّى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان فلم يجبه أحد إلا بالسيوف وشرب الحتوف، فيذبح ذبح الشاة من قفاه، وينهب رحله أعداؤه وتشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان ومعهم النسوان، كذلك سبق في علم الواحد المئان. فبكى آدم وجبرئيل بكاء الثكلى»^١.

فهذا أول ماتم أقيم على أبي عبد الله الحسين عليه السلام في الأرض وكان الناعي وقارئ التعزية فيه جبرئيل، ولقد أبكى بما قرأ آدم عليه السلام أبا البشر وبكى هو أيضاً مع أنه ليس كالبشر في عواطفهم.

ولم نسمع مثل هذه الروايات بشأن سائر أصحاب الكساء عليهم السلام مع أنهم كلّهم مظلومون واستشهدوا جميعاً في سبيل الله تعالى.

فنحن لا نستطيع أن ندرك عظمة مظلومية رسول الله ﷺ في هذا

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢٤٥.



العالم، ولا يتيسر لنا ذلك إلا في عالم الآخرة حيث سيكشف لنا الستار قليلاً عن مصائبه عليه السلام. وهكذا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فهو أول مظلوم بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله، ففي زيارته نخاطبه قائلين:

«السلام عليك يا وليّ الله، أنت أول مظلوم وأول من غُصِبَ حقّه»^١.

ولقد كانت الصديقة الزهراء عليها السلام الجوهرة التي قال الله تعالى في حقها مخاطباً أباه رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لولا فاطمة عليها السلام لما خلقتكما».

وقد تحمّلت من المصائب والأذى الشيء الكثير في سبيل الدفاع عن حريم الرسالة والولاية وهداية الأمة حتى قضت عليها السلام شهيدة.

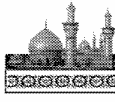
وهكذا الإمام الحسن عليه السلام، فقد تحمّل هو الآخر ما تحمّل، وإننا عاجزون عن درك مظلوميته عليه السلام، وما ندركه من مظلومية أصحاب الكساء وأهل البيت عليهم السلام عموماً قليلاً جداً.

ولكن مع أنهم عليهم السلام جميعاً عاشوا مظلومين واستشهدوا مظلومين، ولكن لم يرد في الروايات أنّ آدم أباً البشر وجبرئيل عليهما السلام بكيا على مصابهم قبل وقوعها بألاف سنين وبالنحو الذي وُصف، إلا ما كان من بكائهما على الإمام الحسين عليه السلام لما سيحلّ به في كربلاء.

التعامل الاستثنائي لأهل البيت عليهم السلام مع قضية كربلاء

لقد تعامل أهل البيت عليهم السلام مع حادثة عاشوراء بطريقة استثنائية، وفاق تأثرهم بهذه المصيبة الأليمة تأثرهم بمصاب المعصومين الآخرين، فعلى

(١) الكافي: ج ٤ ص ٥٦٩.



سبيل المثال روي عن كثرة وشدة بكاء الإمام زين العابدين عليه السلام في مصيبة أبيه الإمام الحسين عليه السلام ما تقشعر منه الأبدان، فقد روي أنه:

«بكى علي بن الحسين عليه السلام عشرين سنة وما وضع بين يديه طعام إلا بكى، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله ﷺ إنني أخاف أن تكون من الهالكين. قال: إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون. إنني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة».

وفي رواية، قيل له: أما أن لحزنك أن ينقضي؟ فقال عليه السلام:

ويحك إن يعقوب النبي عليه السلام كان له اثنا عشر ابناً فغيّب الله واحداً منهم، فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه واحدودب ظهره من الغم وكان ابنه حياً في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني»^١.

وقد كان الإمام السجاد عليه السلام عالماً بما جرى على جدته الزهراء عليها السلام وبكاها، ولكن ليس بكائه على مصاب أبيه الإمام الحسين عليه السلام.

أما الإمام الرضا عليه السلام فيقول في مصائب جدته الإمام الحسين عليه السلام:
«إن يوم الحسين عليه السلام أقرح جفوننا وأسبل دموعنا»^٢.

والعجيب أنّ الإمام الرضا عليه السلام لم يستعمل لفظة الجرح وعدل عنها إلى القرحة، وهو الجرح الذي يكون داخل بدن الإنسان أي في العمق وليس على السطح، وعادة ما تحدث القروح في داخل بدن الإنسان على أثر تحمّل الآلام النفسية الكثيرة، فاستعمال الإمام عليه السلام لهذه الكلمة يوحي

(١) بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ١٠٨، باب حزن الإمام السجاد عليه السلام وبكائه على شهادة أبيه الإمام الحسين عليه السلام.

(٢) المصدر نفسه: ج ٤٤ ص ٢٨٣.



بشدة المصاب وكثرة البكاء لدرجة حصول تقرّحات في العين.
 الجدير ذكره أنه عليه السلام مرّ بمصائب كثيرة، وكذلك أبوه الإمام موسى بن
 جعفر عليه السلام الذي تحمّل سجون هارون العباسي، وهكذا جدّه الإمام
 الصادق عليه السلام الذي حبسه الأعداء أيضاً ونفوه وصادروا أمواله وأحرقوا
 داره، وكذا جدّه الإمام الباقر عليه السلام فقد عانى ما عانى حتى اتّهمه بنو أمية
 بالكفر وقالوا عنه إنه نصراني...
 فقد كان الإمام الرضا عليه السلام عالماً بكلّ ما جرى عليه وعلى أجداده
 الطاهرين عليهم السلام جميعاً ولكنه لم يطلق هذه العبارة إلاّ بخصوص المصاب
 الذي حلّ بالإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.

بل إنّ الكلمات التي استعملها أهل البيت عليهم السلام في تعظيم عاشوراء
 والتعبير عن مصاب سيد الشهداء عليه السلام تختلف أساساً عن تعابيرهم
 الأخرى، فهي تعابير خاصّة، تختلف عن غيرها كثيراً.
 فالإمام الحجة عليه السلام يخاطب جدّه الإمام الحسين عليه السلام في زيارة الناحية
 المقدّسة بقوله:

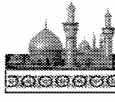
«ولأندبتك صباحاً ومساءً ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً»^١

فلم نسمع بمثل هذه العبارة عن الإمام عليه السلام في أيّ من الأئمة
 الآخرين عليهم السلام ولا في أمّه الزهراء عليها السلام.

عالمية عاشوراء

من الخصائص الأخرى التي امتازت بها قضية الإمام الحسين عليه السلام،

(١) بحار الأنوار: ج ٩٨ ص ٣٢٠.



أنها تزداد انتشاراً كلَّ يوم وتصبح أكثر عالمية وتكسب المزيد من قلوب العالمين.

ولئن حاول الطغاة في أيِّ عصر - مثل رضا خان أو آتا تورك أو ياسين الهاشمي - الوقوف في وجه عاشوراء والشعائر الحسينية فإنَّ نهايتهم كانت في هذا العمل، وازدادت الشعائر ألقاً وانتشاراً.

أجل كلِّما حاول الطغاة والعملاء إطفاء شعلة الإمام الحسين عليه السلام وذكره، فإنَّ أسماءهم ستزداد طمساً واختفاءً وسيزداد ذكر الحسين عليه السلام علواً وارتفاعاً، بل إنَّ من خصائص القضية الحسينية أنها تزداد رسوخاً وتجدراً وقوَّةً وانتشاراً كلِّما حاول الظالمون طمسها أو قمعها، وستزداد تغلغلاً في قلوب الناس في كلِّ مكان.

لقد جاء إليَّ أشخاص مراراً وأخبروني أنَّ مواكب العزاء هذا العام كانت أفضل من الأعوام السابقة كمًّا ونوعاً، وكانت المشاركة الجماهيرية فيها أعظم والاستقبال والترحيب أوسع وأكثر.

فماذا غير ما قامت به حكومة رضا خان البهلوي من تعذيب وإيذاء ومحاربة لأهل المواكب والهيئات الحسينية؟ إنها لم تزدها إلاَّ توسُّعاً وانتشاراً حتى صرنا نشهد اليوم أتباع ومحبي أهل البيت عليهم السلام الذين انتشروا في كلِّ بقاع العالم - مجبورين أو مختارين - يخرجون إلى الشوارع في العاشر من محرم كلِّ عام، ويحيون ذكرى الإمام الحسين عليه السلام، فقد نصبوا له خيمة في كلِّ بقعة وصقع وأوصلوا صوته عليه السلام وصدى مظلوميته إلى أبعد نقطة في العالم، وقرعوا بها أسماع القوى المستكبرة، حيث أقاموا مجالس العزاء بالقرب من قصورهم. وما أكثر الذين اهتدوا إلى نور الإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام بفضل



وببركة اسم سيد الشهداء عليه السلام وهذه المجالس والشعائر.

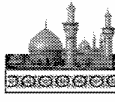
بين الحج والذهاب إلى كربلاء

كما نعلم إن من شروط الحج الاستطاعة، ومن مصاديق الاستطاعة خلوص الطريق من الخطر الذي يهدّد حياة الحاجّ، فإن قرن الحجّ بالخوف والخطر لم تحرز الاستطاعة. وليس في مجاميعنا الحديثية رواية توصي بالذهاب إلى الحجّ ولا إلى زيارة النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أو أيّ من الأئمة عليهم السلام حتى من وجود الخطر الذي يهدّد حياة الحاجّ أو الزائر، بل غُدّ الحفاظ على النفس من الواجبات ومقدّمًا على الحجّ والزيارة، إلاّ في زيارة أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام فليس الأمر كذلك، بل رُغِبَ في زيارته حتّى مع وجود الخطر.

فقد كان لأبي حمزة الثمالي حفيد اسمه حسين، وهو من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، وقد عزم على زيارة الإمام الحسين عليه السلام ولم تكن الزيارة آنذاك - أواخر العصر الأموي - سهلة كما في أيامنا هذه، فكان الذهاب إلى كربلاء محفوفًا بالمخاطر الجسمية والروحية، وربّما كان المسافر لا يعود من سفرته حيًّا. وفي تلك الأيام لم يكن ثمة حرم ولا قبة أو منارة على القبر الطاهر، ولا حتّى سقف يظلّله، بل كان قبراً ترايباً في قلب الصحراء، وليس له علامة ظاهرة تدلّ عليه ولم يكن مرتفعاً عن الأرض حتى بأربع أصابع. وما أكثر ما كان يعاني الشيعة لئلا يعفى أثره.

يقول حسين ابن بنت أبي حمزة الثمالي، الذي تحرك مستتراً عن أنظار الشاميين إلى كربلاء:

«خرجتُ في آخر زمان بني مروان إلى زيارة قبر الحسين عليه السلام مستخفياً



من أهل الشام حتى انتهيتُ إلى كربلاء فاخفيتُ في ناحية القرية حتى إذا ذهب من الليل نصفه أقبلتُ نحو القبر. فلما دنوتُ منه أقبل نحوي رجل فقال لي: انصرف مأجوراً فإنك لا تصل إليه. فرجعت فزعاً حتى إذا كاد يطلع الفجر أقبلتُ نحوه، حتى إذا دنوتُ منه خرج إليّ الرجل فقال لي: يا هذا إنك لا تصل إليه. فقلت له: عافاك الله ولم لا أصل إليه وقد أقبلتُ من الكوفة أريد زيارته؟ فلا تحلُ بيني وبينه عافاك الله وأنا أخاف إن أصبح فيقتلونني أهل الشام إن أدركوني هاهنا.

فقال لي: اصبر قليلاً فإنّ موسى بن عمران عليه السلام سأل الله أن يأذن له في زيارة قبر الحسين بن علي عليه السلام فأذن له، فهبط من السماء في سبعين ألف ملك فهم بحضرته من أوّل الليل ينتظرون طلوع الفجر ثمّ يرجون إلى السماء.

قال فقلت له: فمن أنت عافاك الله؟

قال: أنا من الملائكة الذين أمروا بحرس قبر الحسين عليه السلام والاستغفار لزوّاره. فانصرفت وقد كاد أن يطير عقلي لما سمعت منه.

قال: فأقبلتُ لما طلع الفجر نحوه فلم يحل بيني وبينه أحد، فدنوت من القبر وسلّمت عليه ودعوت الله على قتلته وصلّيتُ الصبحَ وأقبلتُ مسرعاً مخافة أهل الشام^١.

وكما في بعض المصادر التاريخية أن محبّي أهل البيت عليهم السلام كانوا يتخذون بعض المواقع علامات ويحفظون عدد الأذرع أو الأقدام التي يخطونها إلى القبر الطاهر للإمام الحسين عليه السلام أو يلجأون إلى الأشخاص

(١) كامل الزيارات: ص ١١١.



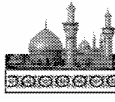
الذين وفقوا للزيارة سابقاً فيرافقونهم أو يرشدونهم أو يستعينون بخارطة أو دليل مكتوب أو أدلاء من أهل البلد كانوا يتقاضون أجوراً على قيامهم بهذا الدور، وربّ أشخاص كانوا يقومون بهذا العمل ولا يأخذون أموالاً من الزائر ويطلبون الأجر من سيد الشهداء عليه السلام نفسه. وربما اضطرّ القاصد للزيارة أن يقطع مسافات أو يذهب إلى بلد آخر قاصداً لدليل أو زائر تشرف بالزيارة قبله.

وعلى أية حال فقد كانت زيارة الإمام الحسين عليه السلام في تلك الأيام مقرونة بالتعب والمشقة والصعوبات. ولا شك أنّ الله تعالى سيعامل هؤلاء الزوّار معاملة استثنائية ويتفضّل عليهم بثواب خاص، لأنّه تعالى قد أخذ على نفسه أن يجازي كلّ من بذل في طريق الإمام الحسين عليه السلام مجازاة خاصّة وأن يتعامل مع الباذلين والمعزيين والمقيمين والمعظمين للشعائر الحسينية بصورة استثنائية.

خدّام سيد الشهداء عليه السلام والأجر الاستثنائي

كان لي عمّ يسمّى السيد جعفر الشيرازي رحمته الله وهو جار للميرزا عبد الهادي الشيرازي رحمته الله وزميله في المباحثة، وقد دُفن في حرم السيد عبد العظيم الحسيني عليه السلام في طهران. وقد كانت له كلّ يوم جلسة مباحثة في الفقه مع الميرزا عبد الهادي يذهب كل يوم إلى منزله للمباحثة.

وفي إحدى الأيام التي كان في بيت الميرزا عبد الهادي رحمته الله سأله الميرزا: هل أصبحت خطيباً حسينياً؟ قال: لا. فسأله: ألم تقرأ مجلساً للإمام الحسين عليه السلام في أيّ مكان؟ فأجاب السيد جعفر بالنفي. فقال الميرزا: لقد



رأيت البارحة رؤيا فيك أظنها صادقة؛ رأيتُ الإمام الحسين عليه السلام أمر أن يُكتب إسمك في قائمة خطباء المنبر الحسيني. فقال السيد جعفر: لقد قرأت البارحة لزوجتي وأطفالي - وكان عنده بتان - بعض مصائب الإمام الحسين عليه السلام من كتاب «جلاء العيون» للعلامة المجلسي.

وقد حدثني بهذه القصة السيد جعفر الشيرازي رحمه الله، وربما سمعها بعض المراجع المعاصرين منه أيضاً. أفليس هذا التعامل استثنائياً؟

إذا كان الإمام الحسين عليه السلام يرضى خدامه والخدمات الصغيرة والكبيرة التي تقدّم من أجله إلى هذه الدرجة، فهل من المعقول أن لا يكثرث بالصعوبات التي يتحمّلها الذين يقيمون مجالس ومواكب العزاء وينصبون المآتم له؟ أم هل تهمل الأموال والجهود التي تنفق في هذا الطريق وتبقى بلا جواب ومكافأة؟

عندما نشاهد يوم القيامة الأجر الاستثنائي لخدم سيد الشهداء عليه السلام فستحسّر على عدم تقديم المزيد من الخدمة بل لماذا لم نتسابق في هذا الطريق؟

لنعلم أنّ آية خدمة نقدّمها في طريق الإمام الحسين عليه السلام مهما صغرت فهي عظيمة عند الله تعالى، ولها جزاء استثنائي. إذن لنشمر عن سواعد الجدّ ونعبئ كل قوانا وطاقاتنا للخدمة في هذا المجال.

جزاء العطاء في طريق سيد الشهداء عليه السلام

نُقل أنّ مجموعة من المؤمنين كانوا يجمعون الأموال لبناء حسينية، وبذلوا من أجل ذلك من اعتبارهم ووجاهتهم وذلك عين العزة في الدارين، فذهبوا إلى أحد التجار وأخبروه عن مشروعهم في جمع



التبرعات لبناء الحسينية. فرحّب بهم وقدم لهم صكاً أبيض وقال: اكتبوا ما شئتم.

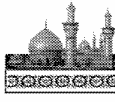
قالوا: ولكنك الذي ستوقع الصك، ولذلك من الأولى أن تكتب الرقم الذي تودّ المشاركة به أيضاً.

ولكنّه قال لهم: إنّ الأمر لا يختلف بالنسبة إليّ.

ومهما أصروا عليه أن يكتب هو لم ينفع، فاضطروا للمشاورة فيما بينهم على المبلغ الذي سيكتبونه، فمن جهة كانوا يخشون اعتراضه إن كتبوا مبلغاً كبيراً، ومن جهة أخرى كانت أيديهم مفتوحة فقد حولهم بكتابة المبلغ الذي يحتاجونه وأنه سيتعهد برصده لهم، وكانوا يحبّون أن يكتبوا مبلغاً معتداً به يمكنهم من إنجاز مشروعهم وبناء الحسينية بالكامل.

وفي الآخر اتفقوا على كتابة مبلغ معيّن وقدموه لهم ليقرأه ثم يوقع عليه - وكان ذلك التاجر لا يستطيع القراءة من دون نظارة وكانت نظارته أمامه على الطاولة - ولكنه عندما قدموا له الصك وقّعه من دون أن يضع نظارته ويطلع المبلغ، فقالوا له: لو تقع النظارة لتلاحظ الرقم المكتوب. فقال: ما كتبتم كتبتم، إنني لا أحب أن أضع نظارة للإمام الحسين عليه السلام وأدقّق معه.

نقل لي هذه القصة بعض الأشخاص في كربلاء؛ ولعلّ أيّاً منهم لم يعد اليوم بيننا، وقد دُفن هذا التاجر في الأيوان الجنوبي الشرقي لحرم الإمام الحسين عليه السلام، رآه بعض المؤمنين في المنام بعد موته فسأله عن أحواله، فقال في الجواب: لقد أمر الإمام الحسين عليه السلام الملائكة أن يتسامحوا وأن لا يدقّقوا معي في الحساب لأنني لم استعمل نظارتي وأدقّق في ما قدمته له عليه السلام.



محيي محمد وآل محمد عليه السلام

كلّ ما وردنا عن المعصومين عليه السلام فهو من الله تعالى، ولم يأتونا بشيء من عند أنفسهم ما عدا زيارة عاشوراء، فهي حديث قدسي، أي أنها وردتنا عن الله تعالى مباشرة؛ خلافاً لسائر الزيارات التي يزار بها المعصومون عليه السلام. ولقد جاء في هذه الزيارة الشريفة:

«اللهم اجعل محياي محيا محمد وآل محمد ومماتي ممات محمد

وآل محمد»

والمحيا والممات في اللغة من المصادر الميمية ومعناها الحياة والموت. ومن الواضح أنّ الفقرة الثانية من هذا الدعاء مشروطة بالفقرة الأولى ومتوقفة عليها، فإن حياة كهذه تستتبع موتاً كهذا. ولكن من المناسب ههنا أن نسأل: كيف يمكن أن نحيا حياة محمد وآل محمد ليكون لنا - بالطبع - ممات كممات محمد وآل محمد؟

ينبغي القول في الإجابة: إنّ بلوغ هذا المقام الرفيع يستلزم السعي والدعاء معاً. فلا بالسعي وحده يستطيع الإنسان أن يبلغ هذا المقام، من دون توفيق الله تعالى؛ فإنّ الله تعالى يقول: ﴿قُلْ مَا يَعْجَبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^١، ولا بالدعاء وحده - من دون السعي - يمكن نيل هذه المرتبة السامية؛ فإنّ الله تعالى يقول: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾^٢.

وفي قنوت صلاة عيد الفطر أيضاً نقرأ الدعاء التالي:

«أسألك.. أن تدخلني في كلّ خير أدخلت فيه محمداً وآل محمد وأن

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٧.

(٢) سورة النجم، الآية: ٣٩.



تخرجني من كل سوء أخرجت منه محمداً وآل محمد»^(١).

ولا شك أنّ مشاركة محمد وآل محمد ﷺ في كل خير، مقام رفيع يتطلّب بالإضافة إلى الدعاء والتضرّع، الهمة والسعي. الإخلاص، السعي، والأخلاق.

إن الوصول إلى هذا المقام السامي يحتاج إلى الإلتزام بأمر مهمّة ثلاثة وهي: الإخلاص والسعي والأخلاق الحسنة.

فإن للإخلاص في العمل أهميّة فائقة ومهما قلنا فيه فهو قليل. وقد كان الأئمة ﷺ في كلّ ما يقولون ويفعلون إنّما ينشدون رضا الله تعالى فقط، فعلينا أن نتعلّم ذلك منهم.

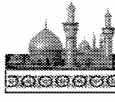
وبالإضافة إلى الإخلاص لا بدّ من الهمة والسعي أيضاً. فعندما نطالع ما جرى على سيد الشهداء ﷺ نلاحظ أنّ محور خطواته ﷺ هو السعي، فقد كان بوسعه ﷺ أن يستفيد من الأسباب والأمر الغيبية، ولكنه ﷺ لم يفعل.

علماً أنّ الله تعالى أذن له في الاعتماد على المعجزة، ومثل بين يديه الملائكة والجنّ وعرضوا عليه الخدمة، ولكنه ﷺ أبى.

وعلينا أن نتعلّم من أهل البيت ﷺ هذه الخصلة أيضاً؛ خصلة السعي والهمة.

أتذكر ويتذكّر معي بعض الإخوة العاملين في المكتب كيف أمضى المرحوم الأخ قدس الساعات الأخيرة من عمره المبارك، حيث حضر في

(١) مفاتيح الجنان للقمي: صلاة عيد الفطر.



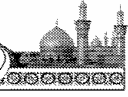
الليلة الأخيرة من عمره بين المؤمنين، وحاضر وتحدت فيهم، وأجاب على مسألتهم، وتابع مسألة رؤية الهلال حتى ثبتت لديه وأعلن عن ذلك، بل حتى في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وفي الدقائق الأخيرة من عمره عندما دخل إلى البيت كتب عدة أسطر حول السيدة الزهراء عليها السلام واستمر حتى أسلم الروح.

وهكذا ينبغي أن يكون تلاميذ أهل البيت عليهم السلام ولا يتوقفوا لحظة عن السعي والعمل.

الأمر الثالث الذي ينبغي وضعه نصب أعيننا الالتزام بالأخلاق الإسلامية. فلنصمم على أن نكون حسني الأخلاق مع أقربائنا وذوينا وجيراننا وكل الناس؛ فهكذا كانت حياة المعصومين عليهم السلام. فلئن عزمنا على أن نتعامل مع من أساء إلينا - فضلاً عمّن أحسن إلينا - كتعامل النبي وآله عليهم السلام فلا نردّ على من أساء إلينا أو تصرف معنا بنحو غير لائق إلا بالحسنى، وكان محيانا محيي محمد وآل محمد عليهم السلام، فمن الطبيعي أن مماتنا سيكون أيضاً على نهج ممات محمد وآل محمد عليهم السلام.

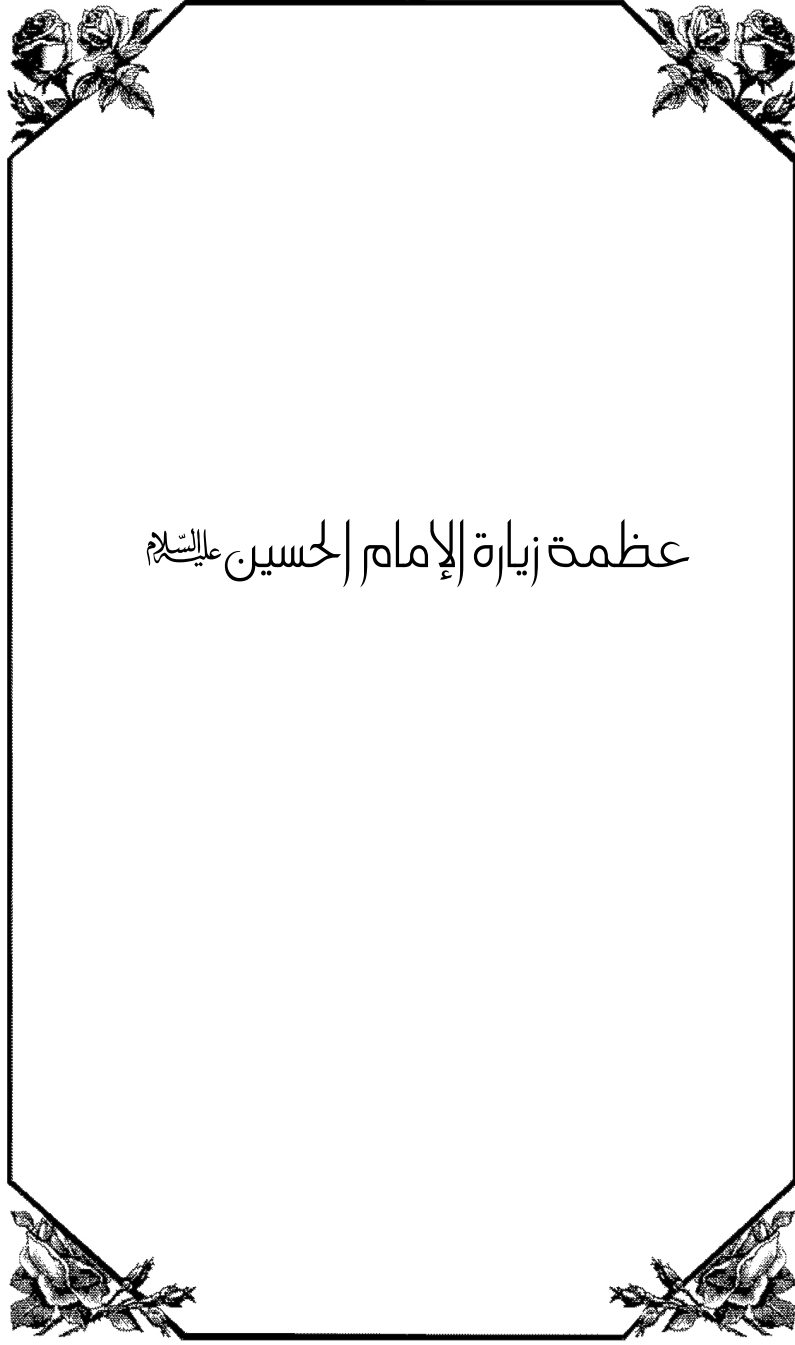
لا تقولوا: ينبغي المقابلة بالمثل؛ بأن نتعامل بالأخلاق الحسنة مع أصحاب الأخلاق الحسنة فقط، لأنّ الأخلاق الحسنة مع سيئي الخلق ستزيد من سوء خلقهم؛ فليس الأمر كذلك، والدليل عليه تعامل المعصومين عليهم السلام والذي صار سبباً في هداية الضالين وتحولهم؛ فلو تعامل الأئمة عليهم السلام معهم بغلظة لم يهتدوا وبقوا من أهل النار لكان ذلك يبعث على الأسى.

لقد خاطب الإمام الحسين عليه السلام معسكر أعدائه بأخلاق كانت السبب وراء عودة بعضهم من الطريق الذي سلكوه، وصاروا من أهل الجنة.



فليتمس خدم الإمام الحسين عليه السلام من الإمام نفسه في أن يوفَّقوا
ليكون سلوكهم حسينياً.

أسأل الله تعالى أن يوفِّقنا جميعاً للتحلِّي بهذه الخصال الثلاثة:
الأخلاق والإخلاص والسعي المتواصل. والحمد لله رب العالمين.



عظمة زيارة الإمام الحسين عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين
الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين الى يوم الدين*
أسأل الله عز وجل أن يتقبل أعمالكم وعباداتكم، ويشملنا وإياكم
بألطف وعنايات صاحب العصر والزمان مولانا الإمام المهدي عليه السلام، وأن
تشفع لنا مولاتنا كريمة أهل البيت عليهم السلام السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام.
الحقيقة إننا عندما نُحْيِي عاشوراء وشعائرها فإننا نحْيِي في أنفسنا
مجموعة من القيم والمفاهيم التي أحيها الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته
وأصحابه المنتجبون، والتي لا تتكرر في تاريخ البشرية، في ملحمة
بطولية ثورية وتغيرية مثل ملحمة كربلاء العظيمة، التي صارت فصل
الخطاب ومفصل الصواب والحد الفاصل بين الحق والباطل؛ وعلى هذا
الأساس فقد زرعت فينا جذوة الحب والعشق لزيارة هذا الإمام الهمام عليه السلام
والاستلهام من معينه الذي لا ينضب، على الرغم من محاولات الظالمين
والمتجبرين منع هذه القضية وطمس معالمها المشرقة.

(* محاضرة القاها سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظله
العلي) بجمع من مسؤولي وأعضاء الهيئات والمواكب الحسينية في يوم الثامن والعشرين
من شهر ذي الحجة الحرام لسنة ١٤٢٨ للهجرة).



التأكيد على زيارة الحسين عليه السلام حتى مع الخوف

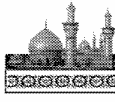
هناك رواية وردت عن عبد الله بن بكير وهو أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام الثقات يقول فيها:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني أنزل الأرجان وقلبي ينازعني إلى قبر أبيك، فإذا خرجت فقلبي وجل مشفق حتى أرجع خوفاً من السلطان والسعاة وأصحاب المسالح، فقال عليه السلام: «يا ابن بكير أما تحب أن يراك الله فينا خائفاً؟ أما تعلم أنه من خاف لخوفنا أظله الله في ظلّ عرشه وكان محدّثه الحسين عليه السلام تحت العرش، وآمنه الله من أفزاع يوم القيامة، يفرع الناس ولا يفرع، فإن فرغ وقرّته الملائكة وسكنت قلبه بالبشارة»^١.

يمكن ومن خلال هذه الرواية استخلاص واستنتاج بعض الأمور والقضايا: لقد كانت زيارة الإمام الحسين عليه السلام على مرّ العصور والدهور مقرونة ومتزامنة مع حالة من الخوف والتضحية وتحمل المشاق والصعاب والآلام، إذ كان الطغاة والحكام الفسدة وأهل الجور يمارسون مختلف الأساليب والطرق لمنع الناس من التوجّه لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، بل الأكثر من ذلك أن ذكر اسمه الشريف وحده كان يثير حفيظتهم ويقض مضاجعهم، فأخذوا يشددون الخناق على أولئك الذين يقيمون الشعائر وينصبون المآتم ويذهبون إلى الزيارة، وأرادوا للأمة الابتعاد عن النهضة الحسينية بكل أبعادها وأشكالها.

ومن هنا جاء التأكيد من الإمام الصادق عليه السلام على مسألة حثّ الشيعة

(١) الكامل في الزيارات: الباب ٤٥، ثواب من زار الحسين عليه السلام وعلى الخوف ص ١٢٥ ح ٢.



على زيارة الإمام الحسين عليه السلام على الرغم من الخوف والقتل وبقيّة الصعاب والمعوقات الأخرى التي تواجههم.

مما لا شك فيه أنّ الإمام الحسين عليه السلام قدّم كل ما عنده من أجل نصرة الدين وإعلاء كلمة الله في الأرض، فحينما حفّت المخاطر بالعقيدة اندفع للتضحية والشهادة؛ لذا فإن الله سبحانه وتعالى رفع شأنه وعظّم مكانه وأعطاه خصوصيات وامتيازات انفرد بها من بين العالمين، فأضحت الشعائر وإقامة التعازي والمراثي والبكاء عليه وزيارته كلّها من شعائر الله تعالى.

وقد منحه ميزة لا توجد في كلّ العبادات حتى الواجب منها فضلاً عن الأمور والقضايا المستحبة وهي عدم رفع جوازها ولا استحبابها - أي الزيارة - حتى مع وجود الخوف.

إننا حينما نراجع الرسائل العملية للفقهاء والمراجع العظام والكتب الفقهية من قبيل كتاب الشرائع واللمعة وجواهر الكلام وغيرها نجد أنهم يفتون بوجوب ترك الواجب إذا اقترن ذلك الواجب مع الخوف الإفيّ الجهاد والحروب والتي يكون من طبيعتها عادة وجود وملازمة مع الخوف، ولا نجد أي عبادة أخرى في الدين الإسلامي الحنيف تبقى على حكمها مع حالة الخوف سواء كانت تلك العبادة واجبة أو مستحبة.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن الصلاة والتي هي من الواجبات المؤكدة في الشريعة المقدسة «أول ما يحاسب به العبد، فإن قبّلت قبل ماسواها»^١ ومع ذلك فإن المرء قادر على تأخيرها والإتيان بها قضاءً إذا

(١) وسائل الشيعة: ج ٤، باب وجوب المحافظة على الصلوات في... ص ١٠٨ ح ٤٦٣٦.



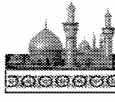
اقتترنت بالخوف، وكذلك الصوم الواجب والذي يعتبر من العبادات المهمة في الإسلام؛ إذا ما شعر الشخص بالخوف من الإتيان به فعليه أن يفطر ويقضيه في وقت آخر.

وأيضاً الحج والذي هو من أركان الأسلام الحنيف، حتى ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال عنه: «من مات ولم يحجّ حجّة الإسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به أو مرض لا يطيق فيه الحجّ أو سلطان يمنعه فليمت يهودياً أو نصرانياً»^١ ومع هذا التأكيد الوارد فيه فإن من شروطه عدم الخوف، وقد عبّر الفقهاء الأعلام عن هذا الشرط بتعبير السرب، أي إذا وقع الحج مع حالة الخوف فلن يكون مقبولاً ومجزياً، وعلى المكلف إعادته إن كان حجه واجباً.

وأما الشعائر الحسينية التي على رأسها زيارة الإمام الحسين عليه السلام فإنّ المبنى المشهور عند فقهاءنا استحبابها وليس الوجوب، فهي لا تسقط مع الخوف، ومعنى ذلك استحبابها فضلاً عن جوازها، ومن هذا المنطلق جاء حديث الإمام الصادق عليه السلام في جوابه لأبي بكير «أما تحب أن يراك الله خائفاً فينا» وهذا التعبير انفرد به الإمام الحسين عليه السلام ولم يسمع حديث عن المعصومين عليهم السلام يشيرون فيه إلى عبادة أخرى.

ومن المؤكد فإن الروايات الواردة في خصوص ذلك متواترة وكثيرة، فقد وردت هذه الرواية عن بكير ورواية مشابهة عن مسمع وروايات عن أصحاب الأئمة الآخرين ووضعت في كتبنا ومصادرنا تحت باب سُميَّ باسم «باب استحباب زيارة الإمام الحسين على خوف»، ولو فتّشنا جميع

(١) فروع الكافي: ج ٤، باب من سوف الحج وهو مستطيع ص ٢٦٨ ح ١.



الكتب الروائية فلن نعثر على باب في وجوب أو استحباب عبادة من العبادات الأخرى على خوف.

تضحيات محبي الإمام الحسين عليه السلام

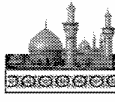
ومن الشواهد التي لا تحتاج الى الكثير من الدلائل والبيانات إصرار الشيعة ومحبي الإمام الحسين عليه السلام على مواصلة نهجه ودربه مهما كلف ذلك من تضحيات ودماء، وإحياء شعائره مع حالات الخوف والمضايقات والممارسات القمعية من قبل الحكام والرؤساء على مر التاريخ، فقبل فترة جاء أحد الإخوة من أبناء الشعب العراقي وحكى لي قصة حدثت معه و مجموعة من أصدقائه وذلك في زمن الطاغية (صدام) حينما عزموا الذهاب الى زيارة الإمام الحسين عليه السلام في زيارة الأربعينية فقال: منع الطاغية (صدام) شعيرة المشي الى الإمام الحسين عليه السلام، وقام بنشر الشرطة والجيش في جميع الطرق والمدن المؤدية الى كربلاء، وكانوا يطلقون النار على كل من يشاهدونه ويظفرون به من أولئك المشاة، ولهذا لم يكن الناس يذهبون على شكل جماعات كبيرة بل كانوا يشكلون فيما بينهم مجاميع صغيرة ليتسنى لهم الهرب من أعين جلاوزة وأعوان هذا الظالم اذا تطلب الأمر ذلك، ومع هذا فقد استشهد في هذا الطريق العشرات من الزوار قدموا أنفسهم قرابين في سبيل نهج ومبادئ وأهداف الإمام عليه السلام.

فذهبنا نحن مجموعة صغيرة وارتدينا الملابس السوداء والداكنة وكنا لا نحمل معنا حتى العصي التي تساعدنا في المشي كثيراً، كل ذلك مخافة أن تعكس بعض النور وبالتالي يتم كشفنا من قبل الشرطة وأزلام



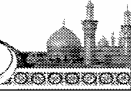
النظام الكافر وأولئك الذين كانوا يسمّون برجال الأمن والاستخبارات، كنا نسير نهراً في الأماكن والمناطق الزراعية المحفوفة بالأشجار والزروع، والمشملة على الأبنية ونتوقّف ليلاً، واما في المناطق المكشوفة مثل الصحراء فكنا نستريح في النهار ونسير طوال الليل لعدم وجود الحواجز.

وفي إحدى الليالي وصلنا الى نهر وعليه قنطرة مكشوفة ولكنها بعيدة عنّا، ولم تكن في هذه المنطقة غيرها لنعبر عليها، فبحثنا عن خشبة كبيرة لنجعل منها جسراً، وبعد جهد جهيد لم نعثر إلا على قطعة من الخشب كانت أقصر من عرض النهر، فتبرّع أحدنا وكان شاباً قويّ البنية والهيكل بأن يحمل طرفها على كتفه ويبقى في النهر ويوضع الطرف الآخر على ضفة النهر، وبعد ذلك قمنا بالعبور الواحد تلو الآخر، ومن ثم قمنا بإخراج هذا الشاب من النهر بعد أن كان قد انغمس جسمه في الطين وأصيب بأعياء وتعب شديد، باعتبار أن العمل الذي قام به لم يكن بالشيء السهل، فقد كان الطين رخواً وكان الوقوف عليه شيئاً صعباً للغاية، سيما مع حمل الخشبة ومرورنا عليها وقد وفق لذلك، ولكن في تلك اللحظة خرجت حية من النهر فلدغته في رجله فتورّمت واسودّت بسرعة فائقة وسقط يتلوّى من شدة الألم ولا ندري ماذا نعمل؟ وماذا عسانا أن نفعل؟ إذ لا توجد مستشفى بالقرب من هذا المكان لنأخذه إليه، ولم يكن من الصلاح أن نتأخر أكثر من ذلك، حيث كنا نخشى من الشرطة، ومن جهة أخرى فقد أصبنا باليأس من حاله كما يئس هو أيضاً من حالته، وأدرك بأن لا فائدة من بقائنا معه، فقال لنا اذهبوا أنتم واتركوني في مكاني فإنني ميت لا محالة، وخاطب الإمام الحسين عليه السلام قائلاً:



سيدي ومولاي كنت أحب أن آتي إلى زيارتك، ولكنني معذور كما ترى.
فودّعناه على مضض وواصلنا المسيرة مضطربين والخوف قد أخذ منا
مأخذاً عظيماً، وبعد لحظات اختفى عن أنظارنا، فقرّرنا الإسراع في السير
لأنه كانت أمامنا مسافة طويلة لكي نقطع الصحراء قبل بزوغ خيط الفجر،
ولكن ما إن مشينا مسافة حتى سمعنا صوتاً يشبه صوت ذلك الشاب
ينادينا من الخلف، فالتفتنا فإذا به قد التحق بنا، فأصابنا نوع من الدهشة
والتعجب إذ كيف استطاع المشي في الوقت الذي كان عاجزاً حتى عن
الوقوف والحركة، ونظرنا إلى رجله فإذا هي معافاة سالمة وقد اختفت
آثار الورم والسواد.

ولما سألنا عن ذلك قال: بعد أن ذهبتم توجّهت إلى الإمام
الحسين عليه السلام منكسر القلب آيساً من الحياة فطلبت أن يشفع لي في الدار
الآخرة.. وبينما أنا في هذه الحالة المنكسرة وإذا بشخص قد حضر
عندي، فانتابني الخوف والفرع في بداية الأمر من أن يكون من أعوان
النظام، ولكن سرعان ما زال الخوف وتبدّل إلى حالة من الطمأنينة
والأمن، ثم ألقى نظرة على شمائله فحدث لي ارتياح لا يوصف بعد
ذلك سألت عن حالي فاقترب مني أكثر ثم مسح على رجلي وقال: أنت
معافى وسليم، انهض واذهب مع جماعتك للزيارة، ثم رحل وابتعد.
أنتبهت إلى نفسي وقلت هل يمكنني القيام والمشي؟ وبينما أنا في
هذه الحالة عزمت على النهوض وبالفعل فقد نهضت وشعرت بأنني قادر
على المشي، فهذا أنا قد التحقت بكم.



وصايا المرجعية الرشيدة

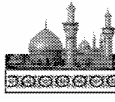
لقد كان أخي المرجع الراحل قدس سره يوصي المؤمنين الكرام دوماً بوصايا قرآنية أو وصايا واردة عن بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، تزيد من عزيمتهم وإصرارهم، وأنا بدوري أوصي المؤمنين بوصيتين ضروريتين وهما:

الأولى: السعي الى إبعاد النزاعات الشخصية والخلافات الفردية والعامّة عن القضية الحسينية وشعائرها، وعلى الإخوة الأعزاء ترك النزاعات جانباً والمشاركة صفّاً واحداً في المراسيم المقامة وإحيائها بأفضل صورة، باعتبارها محلاً للتقرب إلى الله عز وجل ومظهراً من مظاهر قوة المذهب وأحقيته.

الثانية: العمل على احتضان وكسب جميع الأفراد والأشخاص وجلبهم إلى الشعائر والمجالس الحسينية، حتى وإن كانوا من أصحاب الذنوب والمعاصي ومن الذين لم تفتح قلوبهم لكلمة الحق، وبذل قصارى الجهود في هدايتهم وإصلاحهم إلى الطريق القويم.

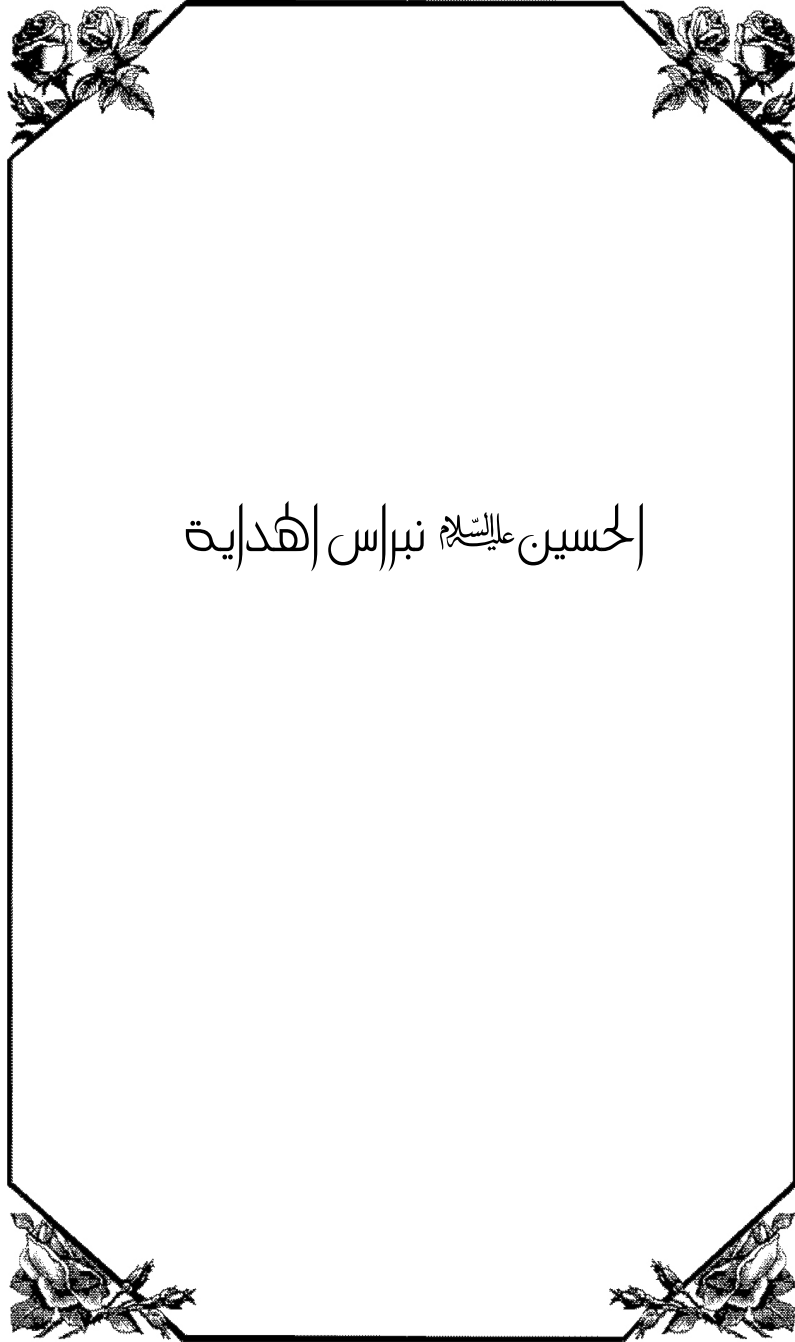
وما أكثر الذين صلحوا ورجعوا إلى صوابهم ورشدهم عن هذا الطريق، فحينما نقرأ القصص التاريخية و المعاصرة نرى فيها العديد من الأشخاص الذين كانوا بعيدين كل البعد عن الله سبحانه وتعالى وفريضة الصلاة والصوم والحج وبقية العبادات الأخرى ولكنهم اهتموا بفضل بركات الإمام الحسين عليه السلام ومجالسه وشعائره المقدسة وبلغوا الدرجات السامقة الرفيعة.

وعلى هذا الأساس فإن هناك وظيفة شرعية دينية تحتم على الجميع العمل بكل الوسائل والأساليب الممكنة لترغيب هؤلاء للحضور والمشاركة، وتقديم النصح والوعظ لهم؛ لتكونوا أنتم كذلك من الذين



شاركوا وساهموا في هدايتهم وبذلك تناولوا الأجر والثواب الجزيل.
قال رسول الله ﷺ: «إنه لمكتوب عن يمين عرش الله عز وجل: الحسين مصباح هدى وسفينة نجاة»^١.
وقد شاهد النبي الأعظم ﷺ هذه العبارة مكتوبة عندما عرج به الى السماء ليريه الله من آياته الكبرى، فكانت هذه من تلك الآيات الكبرى.
ومن المؤكد فإن المسلم الضالّ والمذنب ليس وحده من يهتدي بنور الإمام الحسين عليه السلام بل كل إنسان سليم الفطرة ونقي القلب مهما بلغت درجته واينما كان في هذه الأرض فإنه يهتدي بالإمام سيد الشهداء عليه السلام.
وعلينا جميعاً التحلي بالأخلاق الفاضلة والحسنة وأن نضع الإمام الحسين عليه السلام وسيلة للتكامل والهداية.
أسأل الله عز وجل أن يتقبل أعمال المؤمنين في كل مكان وأن يزيد من توفيقاتهم في هذين الشهرين الكريمين محرم الحرام وصفر ببركة سفينة النجاة ومصباح الهدى الإمام الحسين عليه السلام.
وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

(١) عيون أخبار الإمام الرضا: ج ٢ باب ٣١ ص ٦٢.



الحسين عليهما السلام نبراس الهداية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين
الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين الى يوم الدين*
ان شهر محرم بطبيعته وحوادثه الفجيعة يتميز عن بقية الاشهر، ففيه
تعتصر قلوب الطائفة الشيعية ومحبي أهل البيت عليهم السلام والمسلمين جميعاً
حزناً وألماً، وترى الجميع يتسابق لتقديم الخدمات والحضور في المآتم
والمجالس التي تقام في جميع أنحاء العالم.

ويجب على الفرد أن يعزم على الاستفادة من هذا الشهر وشهر صفر
وتوظيف إمكانياته وطاقاته وأن تكون لديه إرادة قوية وجهود لا تتوقف
وعمل لا يكلّ وعزائم لا تلين ونفس أبية في مجال القضية الحسينية،
وعند ذلك سينال التوفيق، وبالتالي تقلّ حسراته في الدنيا والاخرة.

ان حادثة عاشوراء مرّت عليها الآن أكثر من ١٤٠٠ عاماً وشهدت
خلال هذه السنين الطويلة حوادث ووقائع لا يمكن عدّها وحصرها،
وسوف تمرّ عليها سنوات وسنوات ولكن بقي الإمام الحسين عليه السلام خالداً

(*) كلمة القاها المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظله
العالي) بجمع من العلماء والفضلاء وأساتذة الحوزة العلمية والمبلغين الذين وفدوا من
مدن طهران واصفهان وقم المقدسة.



يهدي الانسانية إلى معين الفطرة الإلهية الطاهرة ويضيء سراج الايمان، وظلّ من والى الحسين عليه السلام وسلك نهجه وخطّه مرفوع الهامة وسجّل له التاريخ ذلك بحروف من نور.

وبكل تأكيد فان الإمام الحسين عليه السلام كان مورداً لاهتمام وعناية البارئ عز وجل منذ ان وجد الكون، وهناك روايات صحيحة تثبت هذا الموضوع، فمثلاً قال النبي آدم لا جبرئيل «يا أخي جبرئيل في ذكر الخامس يكسر قلبي وتسيل عبرتي»^١، وكذلك حينما أراد إبراهيم ان يقدم النبي إسماعيل عليه السلام قرباناً جاءه الوحي قائلاً ﴿وَدَعَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾^٢، وايضاً في مسألة معراج النبي الاعظم صلى الله عليه وآله حيث شاهد مكتوباً على يمين العرش «إن الحسين مصباح هدى وسفينة نجاة»^٣، إذن فإن الله عز وجل جعل الحسين عليه السلام هداية للانسانية جمعاء منذ ان وجد هذا الخلق ومن قبله وفيما يأتي من الزمن وإلى يوم القيامة، وهذا الأمر ناتج من مشيئة الله عز وجل وتعلق ارادته به.

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام سبباً وعلّة في هداية أعداد كثيرة من الخلق لا يعلمها الا الله تعالى وملائكته المقربون، وكم من أولئك الظالمين والمستبدين دخلوا النار جراء وقوفهم ضده وضد قضيته وشعائره.

(١) بحار الانوار: ج ٤٤ باب ٣٠ إخبار الله تعالى أنبيائه ونبينا بشهادته ص ٢٤٥.

(٢) سورة الصافات، الآية: ١٠٧.

(٣) الصراط المستقيم: ج ٢ ص ١٦١.

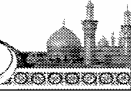
مضامين سامية

وينبغي لنا الاشارة إلى أن الزيارات الواردة عن المعصومين عليهم السلام بحق الإمام الحسين عليه السلام تشكل منظومة ثقافية غنية وجزءاً لا يتجزأ من الثقافة الاسلامية، وقد أوضحت بعض المفاهيم التي تدخل في دائرة هذا البحث ومن هذه الزيارات زيارة واردة عن الإمام الصادق عليه السلام وهي معتبرة وصحيحة السند اذ قال فيها مخاطباً جده الحسين عليه السلام «وأشهد أنك ثار الله في الارض حتى يستشير لك من جميع خلقه»^١.

ولاشك فان المعنى اللفظي لهذه الجملة هو «أنني اشهد انك دم الله على هذه الارض»، وكما تعلمون فان كلمة الشهادة جاءت من الشهود وذلك الشيء الذي يتيقنه الانسان ويقع ضمن دائرة المسلّمات، وهنا يأتي بمعنى أن الإمام الحسين عليه السلام هو الثار وهذا الثار لا يمكن له ان ينتهي الا بعد الاخذ به من جميع الخلق.

ان واحد من معاني الثار هو الدم ولكن لا يمكن في هذه الجملة تفسيرها على ان الإمام الحسين عليه السلام هو دم الله اذا ان الله ليس بجسم ليكون له دم، وعلى هذا الاساس فان المقصود منها وجود شخص قد قتل مظلوماً وان هناك شخصاً اخر يطلب بثاره، وعليه فان المعنى الكلي لهذه العبارة هو اشهد ان الله تعالى هو المنتقم لدمك يا أبا عبد الله، وكذلك فانه عز وجل هو المنتقم للمعصومين عليهم السلام، وهذا ما اراده الإمام الصادق عليه السلام من عبارة (وابن ثاره) في المقطع الذي يذكره في الزيارة «السلام عليك يا ثار الله وأبن ثاره» فانه عليه السلام شمل بذلك الإمام

(١) الكامل في الزيارات: ص ٢١٦.



أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أيضاً.
وعلى أي حال فإن الله عز وجل سوف ينتقم من أولئك الذين كانت
لهم المسؤولية المباشرة في سفك الدم الطاهر للإمام الحسين عليه السلام وليس
من جميع الموجودات التي تعيش على هذه الكرة الأرضية وهذا هو
المعنى المجازي للانتقام.

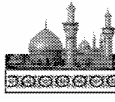
مسؤوليات تجاه القضية الحسينية

من الواضح أن هناك مسؤوليات تواجه الإنسان الشيعي في شهر
محرم الحرام وصفر، وعادة ما يمكن استخلاص هذه المسؤوليات من
الروايات الصحيحة الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام ومنها:

١. ان الايام العشرة من محرم هي أيام حزن وبكاء ولوعة ومصاب،
ومن هذا المنطق يجب على الجميع إقامة مجالس العزاء والحضور فيها
وتقويتها ورفدها مالياً ومعنوياً كل حسب قدرته واستطاعته، وبمختلف
الوسائل الممكنة والمتيسرة سواء التأليف والكتابة والتبليغ والاحياء
والزيارة، وكذلك يجب ان لا يرى الانسان فيه ضاحكاً أسوة بالأئمة
الاطهار عليهم السلام، فقد قال الإمام الرضا عليه السلام «كان أبي عليه السلام إذا دخل شهر محرم
لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضي عشرة أيام، فاذا كان
يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ويقول هو اليوم الذي
قتل فيه الحسين عليه السلام»^١.

٢. تضافر الجهود والامكانيات للتعريف بالنهضة الحسينية والمبادئ

(١) وسائل الشيعة: ج ١٤ باب ٦٦ استحباب البكاء على الحسين ص ٥٠٤ ح ١٩٦٧٩.



التي ضحى من أجلها سيد الشهداء ﷺ الى البشرية اينما كانت، والعمل على ردّ الشبهات التي تثار بين فترة واخرى ودحض اقوال المشككين والمغرضين، وذلك عبر مختلف القنوات الاعلامية الموجودة وخاصة عن طريق القنوات الفضائية والانترنت والتي هي اكثر الوسائل الاعلامية انتشاراً في زماننا الحاضر.

ومن الشبهات التي اثارها أعداء القضية الحسينية هي ان مسالة الجزع حرام فلماذا كل هذا الجزع على الحسين ﷺ؟

ولعل الرد على هذه الشبهة يمكن ان يكون باكثر من جواب ولكننا نكتفي بقول الإمام الصادق ﷺ «كل الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين»^١.

وكذلك فان المشككين يطرحون السؤال التالي: لماذا تقيمون الشعائر الحسينية وهناك من يتربص بكم الدوائر؟ ولماذا تزررون الإمام الحسين ﷺ والاضاع الامنية متدهورة وخطيرة في العراق وبالتالي تعرّضون انفسكم الى التهلكة؟

وان الاجابات على قولهم هذا عديدة ونتكفي ايضاً بذكر رواية واردة عن مولانا الإمام الصادق ﷺ قال فيها لابي بكير: «أما تحب أن يراك الله خائفاً فينا»^٢.

وقد نقل صاحب كتاب «الكامل في الزيارات» عن مولانا العقيلة زينب عليها السلام انها قالت للإمام علي ﷺ في آخر لحظات حياته: لقد سمعت

(١) وسائل الشيعة: ج ٣ باب ٨٧ جواز البكاء على الميت و... ص ٢٨٢ ح ٣٦٥٧.

(٢) الكامل في الزيارات: الباب الخامس والاربعون، ثواب من زار الحسين وعليه الخوف ص ١٢٥.

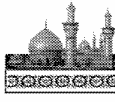


عن ام ايمن حديثاً عن واقعة كربلاء فهل هذا الحديث صحيح؟ فقال لها الإمام عليه السلام «الحديث كما حدثتك ام ايمن» وقد قامت الحوراء زينب عليها السلام بدورها بنقل هذا الحديث الى الإمام السجاد عليه السلام وتقول عليها السلام في جانب من هذا الحديث: عندما استشهد سيد الشهداء عليه السلام قام ابليس بجمع الشياطين وقال لهم اذهبوا بين الناس وازرعوا الشك في نفوسهم حتى لا تنتشر قضية الحسين عليه السلام.

ولا يختلف اثنان عن مكانة ومنزلة من يشكك بالقضية الحسينية ويوجد الشبهات ويروج لها وإلى أي درجات منحطة قد وصل، ومكانة من يدافع عنها ويضحّي من اجلها؟! والتاريخ هو الحكم والفصل في ذلك.

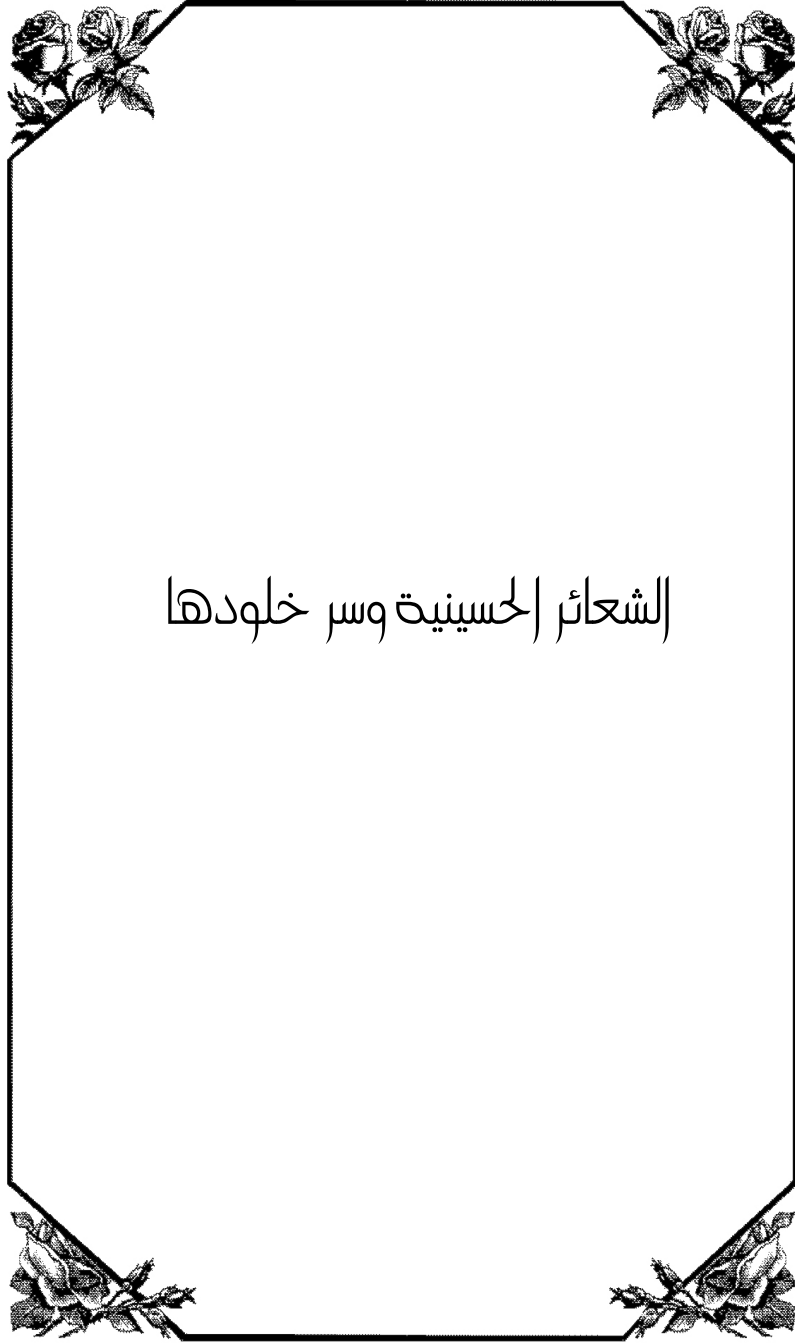
لقد قام احد العلماء في احد البلدان الاسلامية قبل ثلاثين عاماً بطرح شبهة مفادها أن الإمام الحسين عليه السلام لم يقتل وانما مات، وعمل بكل جهده على ترويح هذا الموضوع لكنه سرعان ما فشل وخاب، وقد نقل لنا التاريخ ان واقعة الطف واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام وصلت حتى الى عاصمة الامويين، وكانت دمشق وبعد شهادة الإمام عليه السلام وإلى زمن ابن تيمية لعنه الله لم يكن فيها أي اثر للتشيع ولكن التاريخ يحدثنا انه عندما كانت تقام صلاة الجمعة في شهر محرم يقرأ خطباء المساجد مرثي الحسينية وكان الناس ينعون، والنعي ليس معناه البكاء وانما البكاء المصحوب بانين وعويل والضجة العالية.

اذن فان هناك مسؤولية ملقاة على كاهل الجميع وخاصة أهل العلم والخطباء، وهي السعي بجدية تامة على ردّ جمع الشبهات الموجودة بشكل ينسجم مع العقل والنقل والأخذ بيدي من غرته تلك الشبهات الى



شاطئ الامن والامان والى سفينة النجاة وهم أهل البيت عليهم السلام وبالتالي لانكون من اولئك المشمولين بحديث الإمام الصادق عليه السلام «حتى يستشير لك من جميع الخلق».

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.



الشعائر الحسينية وسر خلودها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

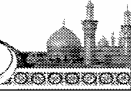
المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي بُعد فلا يرى وقرُب فشهد
النجوى، بارئ الخلائق، ومنشئ الإنسان من ماء دافق، نحمده حمداً
كثيراً ونشكره شكراً دائماً لا انقطاع له، ثم الصلاة والسلام على خاتم
الأنبياء وسيد المرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد، وعلى آله
الطيبين الطاهرين المعصومين، وعلى صحبه الأخيار المتجبين ومن
تابعهم بإحسان.

أما بعد ففي كل سنة لنا موعد مع أجواء عاشوراء، وفي كل سنة
نستعيد كربلاء في وعينا وحياتنا، لكن قيمة عاشوراء وكربلاء تتجسد في
كل زمن مع الأمة، تمدّها وتعطيها من حيويتها، وتدفعها الى المواقع
المتقدمة في مسيرة الحياة الكريمة المعطاء.

ولم يقدم لنا التاريخ درساً ماثلاً للعيان على امتداد التجربة الإنسانية،
كالدرس الذي تمخّضت عنه ثورة الإمام الحسين عليه السلام للبشرية جمعاء.

ولا نجا في الحقيقة إذا قلنا: إن العبرة التي يمكن للإنسان أينما كان
أستخلاصها من الفكر الحسيني أنه فكر ذو أبعاد انسانية عالمية شاملة، اذ

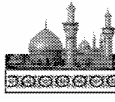


أن نهضة عاشوراء وإن كانت نهضة من أجل الدفاع عن قيم الدين وثوابته، ولكن الإمام الحسين عليه السلام كشف في خطابه العاشورائي: أن الإقدام والنهج على ذلك الخط إنما هو نابع ومتناغم أيضاً مع الفطرة الإنسانية الداعية الى رفض كافة أنواع الاستبداد والظلم والجور؛ ومن هنا فقد كانت هذه الثورة ملهمة ومؤثرة في الكثير من الثوار والشعوب بمختلف مشاربهم العقائدية والفكرية.

إننا ومنذ أربعة عشر قرناً من الزمن تقريباً ونحن نحيي هذه المأساة الأليمة في حياتنا، حتى تحولت الى عادة متأصلة متجذرة في وجداننا الديني، ينشأ عليها الصغير ويهرم عليها الكبير ومازالت تتنامى وتتسع، وتمتد إلى كل ساحة يتحرك فيه الاسلام الحقيقي المتمثل بنهج أهل البيت عليهم السلام، على أن الطابع الذي أخذته هذه الذكرى في تقاليدنا وفي عاداتنا هو طابع الحزن واللوعة الذي تسيل لأجله الدموع وتحترق له القلوب.

عندما يعيش الإنسان الحزن على قضية ما مرت عليها القرون المتتالية، يحتاج الى عملية ترسيخ واستمرار ذلك الحزن وتفاعله مع النفس؛ ليكون عنصراً فاعلاً ومتحركاً في حياته.

من هنا يجب ان يتحرك الحزن على الإمام الحسين عليه السلام ضمن إطار حزن إنفعالي حركي ينشأ من مبدأ شخص ثار من أجل الإصلاح ومبادئ الخير ونشر تعاليم العدالة والحق والحقيقة في المجتمع الإنساني، وبهذا يكون ذلك الحزن حزنًا يفتح على مواقع المأساة اينما حلت، وإبداء حالة من الغضب والاستياء والانزعاج من أولئك الذين قاموا بها من خلال اضطهادهم الناس على أساس الاسلام او قتلهم على



أساس تمسكهم بالحرية التي يقدمها الإسلام أو من خلال تمسكهم بالعدالة التي هي سر حركة الاسلام.

وإذا ما أردنا عاشوراء متحركة فيجب الإنطلاق على أساس أن تبقى عاشوراء لله عز وجل ولرسوله ﷺ وللإسلام وللإنسانية، وأن تبقى عاشوراء والحسين ﷺ صرخة مدوية تنادي بالحرية والعدالة والمساواة والحق وتضمّ تحت غطاءها ورايتها كل أصقاع العالم المترامي الأطراف.

عندما نقرأ التاريخ ونستنطقه نجد أن أعداء الثورة الحسينية من الطواغيت والظلمة حاولوا وبشتى الطرق والأساليب إطفاء تلك الثورة ونورها الوهاج، وبالتالي إبعاد الأمة عن التأثير بالمبادئ والقيم التي خطها الإمام بدمه الشريف وتضحياته الجسيمة، لذا حاولوا مراراً وتكراراً منع زيارة الحسين ﷺ، بل عملوا على إلغائها، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد شيئاً وهم أردوا شيئاً آخر، والله غالب على أمره، فما نحن نرى الملايين من الناس تتوجّه إليه من كل صوب وحذب لتقدّم له فروض الطاعة والولاء وتعاهده على المضي على الأهداف والمبادئ التي ضحى من أجلها، ولا تكثر لما يقوم به أعداء الدين وأعداء الحسين ﷺ من عمليات قتل وتنكيل، بل تزداد قوة ومنعة يوماً بعد آخر، وتثبت بأنه متى ما تعرضت هذه القضية العادلة وشعائرها الى مخاطر فإنهم على أتمّ الاستعداد للتضحية بكل وجودهم.

هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ هو عبارة عن محاضرة ألقاها سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظلّه العالی) بمناسبة حلول فاجعة الطف الأليمة، وقدم فيها مجموعة من الدروس والحكم والحلول الناجعة، وتطرّق فيها الى



الكثير من القضايا والمسائل التي واجهت هذه المسيرة الحسينية عبر العصور والدهور، والسرّ في خلودها فوق ناصية الزمن، وأهمية إحياء شعائرها، وتسليط الأضواء عليها، لذلك وجدنا من المناسب جمعها وطبعها لتعمّ الفائدة للجميع.
والله من وراء القصد.

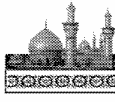
أهل البيت عليهم السلام وخلود القضية الحسينية ■

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين الى يوم الدين.
عظّم الله أجورنا وأجوركم بمصابنا بالحسين عليه السلام، وجعلنا وإياكم من الطالبين بثاره مع وليه الإمام المهدي من آل محمد عليهم السلام.
لاشك ولا ريب في أن عقيلة بني هاشم السيدة زينب عليها السلام مثال للتضحية والصبر والتحمّل، وقد لعبت دوراً مهمّاً وأساسياً في إحياء الثورة العاشورائية، وجسّدت أروع ملاحم الإيثار والمواساة، وكانت عليها السلام كالطود الشامخ، كيف لا وهي العالمة غير معلّمة والفاهمة غير مفهّمة، كما ورد على لسان الإمام السجاد عليه السلام!
من هذا المنطلق فقد نقلت لنا الاخبار أنها كانت يوم الحادي عشر من

(* نص كلمة سماحته في جموع المعزين له في ليلة الحادي عشر من محرم الحرام لسنة ١٤٣٢ للهجرة.

(١) بحار الانوار: ج ٤٥ ص ١٦٤.



محرم الحرام سنة ٦١ للهجرة، على الرغم بما مرّت به من مواقف صعبة وأليمة، تواسي الإمام زين العابدين عليه السلام وتحديثه بالعهد الذي أخذه الله عز وجل على أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام والتضحيات التي يجب أن يقدمها هؤلاء الأبرار من أجل إحياء كلمته ونصرة دينه، والحال أن الإمام السجاد عليه السلام إمام معصوم يعلم بما كان ويكون، ولكن حديثها هذا جاء من باب التذكير وإكمال الدور الإعلامي الذي كان بعهدتها، وكذلك فإن هذا الموقف وهذه الحالة تكشف عن مكانتها عليها السلام ومنزلتها السامقة لدى الأئمة الاطهار عليهم السلام، ومن ضمن الكلام الذي أورده عليها السلام الحديث الوارد عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله والذي قال فيه: (وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء، لا يدرس أثره، ولا يعفور اسمه) ^١. وهذا الخبر نقل في حاشية كتاب كامل الزيارات والذي يعتبر من أمهات المصادر الموثوقة التي تحدثت عن شخصية الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة.

ويبين رسول الله صلى الله عليه وآله عاقبة ما ستؤول إليه ثورة الإمام الحسين عليه السلام على مدى الزمان والمنزلة الرفيعة التي سيحظى بها ابن بنت رسول الله عند هذه الأمة، والقدااسة للتربة التي يوارى فيها.

وفي هذا السياق نذكر بدايةً معنى كلمة (الطف)، فالطف اصطلاحاً هو اسم من الأسماء التي أطلقت على أرض كربلاء، وهي تلك البقعة التي ينظر لها بعين التقديس والتعظيم لما جرى عليها من وقائع واحداث وتضحيات حفرت في ذاكرة التاريخ شرخاً عميقاً لن يمحو ابداً إلى يوم

(١) بحار الأنوار: ج ٢٨ باب ٢ إخبار الله تعالى نبيه وإخبار النبي صلى الله عليه وآله أمته بما جرى على أهل بيته عليهم السلام ... ص ٥٥٢.



يبعثون، وأنها محل لنزول الفيوضات الالهية والبركات السبحانية، وسوف تظل تغذي الإنسانية جيلاً بعد جيل بزاد السير على طريق ذات الشوكة، وهي الأرض التي استشهد فيها الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته النجباء وأصحابه الكرام البررة.

وأما معنى الطف لغةً: فهو الشيء الذي يكون ما فوق المكيال^١ أو أنه الشيء الذي طفأ وارتفع^٢، ومن المعاني الأقرب والأشهر المكيال الناقص الذي سيكتمل بعد حين^٣، فيكون المراد من كلام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والروايات المتواترة العديدة الواردة في هذا الخصوص والتي تحمل على الأقل تواتراً معنوياً أو تواتراً إجمالياً، هو أن قضية الإمام الحسين عليه السلام خالدة وتتفاعل ولا يمكن حصرها في نطاق المكان والزمان، بل هي مستمرة الى أن يظهر الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام وينتقم لدمه الطاهر صلوات الله عليه، بل إن هناك روايات تؤكد استمراريتها وديموميتها حتى يوم القيامة.

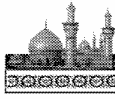
إحياء الشعائر الحسينية واجب الأمة ومسؤوليتها

إن واحدة من المسؤوليات الملقاة على عاتق النخب العلمية والاجتماعية هي مطالعة المصادر التاريخية بدقة متناهية، لكي يتعرفوا على حقيقة ما جرى في عاشوراء، ويمكن للباحث ومن خلال التأمل

(١) كتاب العين.

(٢) المعجم الوسيط.

(٣) لسان العرب: ص ٢٢٢.



في الأحاديث الواردة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام الحصول على نظرة جادة وعميقة للأمر، ومصدر ومنبع مستديم ينهل منه. إن واحداً من الأحاديث التي تخص مسألة عاشوراء وإحياء شعائرها العظيمة، والثواب والأجر المترتب عليها، ومدى الأهمية القصوى في ذلك، ما ورد على لسان الإمام الصادق عليه السلام، حيث تطرق فيه الى نقطة مهمة مفادها: أن الشخص الذي يقوم بإحياء إحدى الشعائر الحسينية - ومهما تكن طبيعتها - يحظى بمنزلة ومقام أسمى من ذلك الشخص الذي قاتل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله أو بين يدي إمام معصوم عليه السلام، حيث قال فيه عليه السلام: «رفع له من الدرجات ما لا يناله المتشحط في دمه في سبيل الله»^١.

معنى المتشحط

وتطلق كلمة (المتشحط بدمه) على الشخص الذي يشارك في حرب مشروعة تحت لواء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وراية الإمام المعصوم عليه السلام ويدافع بإخلاص عن الدين ومبادئه، وبتعبير أكثر دقة، يمكن القول بأن الثواب والأجر الممنوح لهؤلاء الذين يحيون شعيرة من شعائر سيد الشهداء عليه السلام هم أفضل درجات ومنازل من الذين قاتلوا بين يدي الرسول الأعظم واستشهدوا معه في معارك بدر وأحد وحنين، ومن أولئك الثلة الصالحة التي قاتلت تحت راية أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه الدفاعية والمشروعة بنية طاهرة، ومن أجل رضا الباري سبحانه وتعالى، وقدموا أعز ما يملكون - وهي النفس - في سبيل ذلك.

(١) مستدرک الوسائل ج ١٠ باب ٥٧ أقل ما يزار فيه الحسين عليه السلام ص ٣٤٣ ح ١.

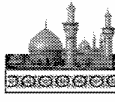


ولا يخفى على أحد بان الإمام الصادق عليه السلام حجة الله على خلقه في أرضه وسمائه، ولا يأتيه الباطل من بين يديه، وكل ما يتكلم ويتحدث ويقوم به فهو حجة بالغة على العباد؛ وعليه فإن حديثه هذا يشكل منعظاً مهماً في المسيرة الحسينية، ويكشف بكل تأكيد عن واحدة من الخصال العديدة التي منحها البارئ عز وجل لهذا الإمام الهمام عليه السلام.

ولأهمية هذه الرواية وما تحمله من مفاهيم سامية ومتعالية، فقد قام العديد من المراجع العظام والعلماء الأعلام بنقلها في كتبهم ومؤلفاتهم، وكان من ضمن هؤلاء سماحة أخي المرجع المرحوم آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي قدس سره حيث تطرق لها في تأليفاته الفقهية العديدة، وسماحة آية الله المرحوم السيد محمد رضا الشيرازي قدس سره في محاضراته القيمة، وتعرضا الى شرحها وتبيين مفاهيمها العالية والسامية، والتأكيد على انطوائها على خصوصية انفراد بها الإمام الحسين عليه السلام من دون بقية المعصومين عليهم افضل الصلاة والسلام.

وليس المراد مما ذكرناه أنفاً تفضيل مقام الإمام الحسين عليه السلام والقول أنه أعظم من مقام المعصومين الأربعة عليهم السلام الذين سبقوه، لأن الحسين عليه السلام خرج وضحي من أجل الدفاع عن دين جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، والحفاظ عليه من الانحراف والضياع ومتابعة نهج سيرة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام والدفاع عن مظلومية وحقوق أمه الزهراء عليها السلام، ويشير عليه السلام في حديث آخر في هذا الخصوص قائلاً: «جدي خير مني، وأبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني»^(١).

(١) العوالم: الإمام الحسين عليه السلام ص ٢٤٦.



أهمية مجاورة الإمام الحسين عليه السلام

وكذلك فان هناك رواية وردت عن الإمام الصادق عليه السلام في هذا المجال ذكرها صاحب كتاب (كامل الزيارات)، ولا بأس بعد أن ذكرنا هذا الكتاب القيم أن نعرِّج ولو قليلاً للتحدث عنه.

ينقل عن علماء الشيعة ومحدثيهم أن هذا الكتاب من أصح الكتب - حتى من كتاب الكافي - ، وهو من الكتب التي لها وزنها وثقلها واعتبارها في مجال كتب الحديث. ومؤلفه هو المرحوم ابن قولويه رحمته الله، ولعل هذا الكتاب هو نتاج وعصارة عمره الشريف، وهو أستاذ الشيخ المفيد رحمته الله وقبرهما متجاوران، ولا يبعدان عن مرقد الإمامين الجوادين عليهما السلام سوى عدة أمتار.

ومع أهمية هذا الكتاب والمسانيد المعتمدة فيه نرى أن أكثر علماء المسلمين ومثقفهم ومع الأسف الشديد ينقلون عن الكثير من المصادر والكتب الأخرى التي لا تصل الى عشر أهميته، ولا ينقلون إلا النزر اليسير منه، أو أحياناً كثيرة يتغافلون عنه ويجعلونه وراء ظهورهم.

ينقل مؤلف هذا الكتاب رواية في غاية الروعة والجمال عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام يصرِّح فيها أن الشخص إذا سمع ما تقوله الملائكة من بشارات وهي تحفّ من يحيي الشعائر الحسينية وما تكتب له من الاجر والثواب الجزيل لتمنى البقاء ومجاورة الحسين عليه السلام فتقول له: «لاقت عمرك عند قبر الحسين عليه السلام»^١.

(١) مستدرک الوسائل ج ١٠ باب ٤٥ أستحباب زيارة الحسين عليه السلام بالزيارة الماثورة ص ٢٩٩ ح ٢.

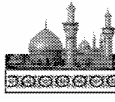


ومع أن الانظمة الجائرة الحاكمة انذاك - الدولة الأموية والدولة العباسية - كانت تترصد بالزائرين لتفتك بهم وتقتلهم شرقتله، وكانت الظروف غير مؤاتية من جميع النواحي، ولكن على الرغم من ذلك فإن الإمام الصادق عليه السلام كان يحث الشيعة ويشجعهم على زيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ لما لها من الأجر والثواب أولاً، وثانياً لأنه يتحدد فيها مستقبل التشيع من خلال أضطلاعها بدور رئيسي في تهيئة متطلبات الوعي بالمظلومية التي يتعرض لها أهل البيت عليه السلام.

الإمام الهادي عليه السلام يطلب الشفاء تحت قبة الحسين عليه السلام

نعم لقد كان الائمة الأطهار عليهم السلام يدركون عظمة الاجر والثواب الذي كان البارئ عز وجل يمنحه لزوار قبر الإمام الحسين عليه السلام، والخصوصيات الأخرى التي كرمه الله بها، من قبيل استجابة الدعاء تحت قبة قبره الشريف، وكان هؤلاء الطاهرون عليهم السلام يعلمون الأمة دروساً للاقتداء والسير عليها، فعلى سبيل المثال لا الحصر ينقل لنا التاريخ أن الإمام الهادي عليه السلام مرض أيام وجوده في مدينة سامراء في زمن الطاغية المتوكل العباسي، فأعطى لاحد أصحابه مبلغاً من المال لزيارة الإمام الحسين عليه السلام والدعاء له بالشفاء واليك الرواية:

عن هاشم الجعفري قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد وهو محموم عليل فقال لي: يا أبا هاشم ابعث رجلاً من موالينا الى الحائر يدعوا الله لي، فخرجت من عنده، فاستقبلني علي بن بلال فأعلمته ما قال وسألته أن يكون الرجل الذي يخرج، فقال: السمع والطاعة ولكنني أقول إنه أفضل من الحائر؛ إذ كان بمنزلة من في الحائر،



ودعاؤه لنفسه أفضل من دعائي له بالحائر، فأعلمته، فقال لي: قل له: كان رسول الله ﷺ أفضل من البيت والحجر وكان يطوف بالبيت ويستلم الحجر وإن لله تعالى بقاعاً يحب أن يدعى فيها فيستجيب لمن دعاه، والحائر منها^١.

إذن ألا تدل هذه الرواية بكل وضوح على أن الإمام الهادي عليه السلام مع انه إمام معصوم وحجة الله ولكنه يطلب الدعاء تحت قبة جدّه الإمام الحسين عليه السلام؛ لانه يراه أمراً مستجاباً ومضموناً؟ وهذه الخصيصة هي واحدة من الخصائص والامتيازات الأخرى التي أشرنا إليها في البداية والتي انفرد بها الإمام الحسين عليه السلام عن بقية الأئمة المعصومين عليهم السلام.

مصير وعاقبة من يحارب الشعائر

بعد أن تطرقنا إلى الثواب المترتب على إحياء الشعائر الحسينية، نصل الى موضوع أعداء الإمام الحسين عليه السلام والمصير الأسود وعاقبة السوء التي انتهوا إليها.

لقد كان النبي ﷺ يولي القضية الحسينية أهمية مضاعفة ويسلّط الأضواء عليها بشكل يثير الانتباه منذ ان كان الإمام صبياً، ففي تفسير الإمام الحسن عليه السلام نقرأ أنه دعا الله عز وجل و قال: «ألا ولعن الله قتلة الحسين ومحبيهم وناصريهم، والساكتين عن لعنهم»^٢.

(١) الكامل في الزيارات: الباب التسعون، إن الحائر من المواضع التي يحب الله أن يدعى فيها ص ٢٧٤.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ثواب الحزن والبكاء على الحسين عليه السلام ص ٣٦٩.

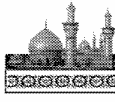


إنني لم أجد أن رسول الله ﷺ - وهو رسول الرحمة، والذي لا ينطق بشيء إلا من عند الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^١ - يدعو على أحد بمثل هذا الدعاء، ويدلّ هذا الحديث الصحيح والمتواتر، على الإطلاق وعدم التقييد، إذ إنه ﷺ لا يلعن قاتلي الإمام الحسين عليه السلام فحسب، وإنما يدخل في دائرة اللعن أولئك الذين يحتاطون في لعن الطاغية يزيد بن معاوية لعنة الله عليه من أمثال ابن عربي، وكذلك الذين يسكتون عن لعن تلك العصاة الملعونة، والذين يحاربون الشعائر الحسينية من قبيل المتوكل العباسي ومن لفّ لفه.

قد ينقدح هنا سؤال وهو: لماذا جاء التركيز على حكام الدولة العباسية عامة والمتوكل العباسي بشكل خاص؟ وفي مقام الإجابة على هذا السؤال نقول: إن الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام التي بين أيدينا أشارت إلى هذا الأمر بوضوح، فعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال في ذكر أحوال بني العباس والمتوكل: «وعاشرهم أكفرهم»^٢. ولكن مع وجود ذلك نرى أن شخصيات يعول عليها العالم الإسلامي ويحسب لها الف حساب من قبيل ابن عربي هذا، فإنه يصرح في كتابه المعروف باسم (الفتوحات المكية) والذي يعتبر مرجعاً ومصدراً للكثيرين، بأن هناك مجموعة من الحكام كانت لهم الخلافة الظاهرية والباطنية منهم رسول الله ﷺ، ومنهم المتوكل العباسي! أليس هذا الأمر يحزّ بالنفس ويملأ القلب قيحاً؟

(١) سورة النجم، الآية: ٣ و٤.

(٢) المناقب: ج ٢ فصل في إخباره بالمنايا والبلايا و... ص ٢٧٦.



لعمري مَنْ مِنَ الناسِ ينخدع بكلام ابن عربي هذا؟ ويقنع من؟ اليس هذا الأمر هو استخفافاً بالعقول؟

ولكن نتيجة الإعلام المضلل والمغرض والمعادي لأهل البيت عليهم السلام والأموال الطائلة التي تصرف في هذا المجال، وعلماء السوء والبلاط، انخدعت هذه الأمة بهذه الأقوال، فجعلت هذا الطاغية المفسد في الأرض، مثله مثل رسول الله صلى الله عليه وآله، فأين العدل والإنصاف في ذلك؟ وماهي المبررات والقناعات التي يمكن أن يعتذروا بها يوم الحسرة الأكبر؟

على أي حال ومع وجود الحديث الوارد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والذي يلعن فيه الساكت عن قتلة الإمام الحسين عليه السلام، فإن هذا الرجل والمحسوب على طبقة العلماء، يعتقد أن المتوكل خليفة الله ظاهراً وباطناً!

ابتعاد الناس عن مبادئ الإسلام

على هذا الاساس فلا نستغرب - أبداً - من وجود إغراض عن تقبل الدين الإسلامي الحنيف في أنحاء مختلفة من العالم ونعته بأوصاف كثيرة، ووجود أكثر من خمسة مليار نسمة يعيشون على هذه الكرة الأرضية بما فيهم العلماء والمثقفون والنخب الاجتماعية لا يؤمنون به وهم كفار، حيث إن الدين يعرض عليهم ويقدم من خلال وسائل إعلامية مأجورة ومعروفة وي طرح مبادئه وتعاليمه من خلال سيرة المتوكل وأمثاله ويصفونهم بانهم خلفاء الله وأمناء دينه ووحيه، فاذا كانت قيادة الدين الإسلامي بيد هؤلاء ويحكمون بإسمه، فعلى الإسلام السلام، وليس من المعقول أن يتقبل هؤلاء الكفار هذا الدين بواسطة

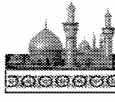


هؤلاء المفسدين الطغاة ولا يُعقل ايضاً ان يؤمن هؤلاء بهذا الدين وتعاليمه. هذا سؤال نظرحه لكل من له لبّ وألقى السمع وهو شهيد.

إن الباحث والمحقق عندما يرجع الى السيرة الذاتية للمتوكل العباسي، يرى فيه كتلة من الإجرام والفساد والظلم والجور، فقد شابه في حكمه وسيرته جدّه الطاغية هارون الرشيد، بيد أنه فاقه بإجرامه وظلمه أضعافاً مضاعفة، إذ نصب العداة الشديد للأئمة الاطهار عليهم السلام وشيعتهم، فقام بمنع زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وأخذ يقتل ويعتقل كل من يذهب لها، فبنى سجوناً لهذا الغرض وحبس الآلاف من الشيعة في (المطبق) وهو سجن تحت الأرض بمثابة المعتقلات والزنايات الموجودة تحت الارض في يومنا الحاضر، حيث لا يرى فيه حتى بصيص من النور، ولا يعرف منه الليل من النهار، وكان السجن الذي يدخل فيها يُنسى ولايسأل عنه بتاتاً، فيعيش ويموت فيه، وأما إذا كان يعترض على سوء المعاملة وطول مدة الحبس فقد كان يعلق من يده أو رجله في بئر موجودة فيه لأيام وليال.

وقد حدثنا التاريخ عن وجود حالات حدثت في ذلك الوقت يندي لها جبين الإنسانية وتنفر منها كل فطرة سليمة، فعندما هلك ذلك الطاغية فتحت أبواب تلك السجون فوجد فيها أناس أحياء كانوا الى حد ما يشبهون الحيوانات لكثرة الشعر على أجسادهم.

لقد أبى الله سبحانه وتعالى إلا أن يعاقب أعداء الإمام الحسين عليه السلام، فبعضهم يلاقون عقابهم والمصير الاسود في هذه الدنيا الدنية، وحال هؤلاء أهون؛ لان الدنيا زائلة وتنتهي في كل الاحوال، واما الذين يؤخر الله عقوبتهم في الآخرة فيصعب أمرهم باعتبار أن عالم الآخرة هو عالم البقاء الأبدي والخلود سرمدي.



الشيعة ودفع ضريبة الولاء للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

مع حدوث كل تلك الجرائم والمعاملة التعسفية البشعة والمظالم التي كان يقوم بها الطاغية المتوكل والحكام الذين سبقوه والذين جاءوا من بعده، فقد ظلّ أتباع أهل البيت عليهم السلام متمسكين بالولاية وحبها الممدود من السماء الى الأرض، ولم يشنهم عن ذلك ما جرى عليهم من مصاعب وويلات، فزاد تعلّقهم وحبّهم للأئمة الأطهار عليهم السلام، وخاصة للإمام الحسين عليه السلام حيث لم يتخلّوا قيد أنملة عن زيارته، وظلت تطلبها طلب الهيم العطاشى وترمقها الأنظار وتهفو إليها القلوب.

وبطبيعة المرحلة فقد تمّ تقديم الكثير من التضحيات الجسام ودفع الثمن غالباً، ولكن شاءت الإرادة الالهية ان تقام تلك الشعائر وتستمر وتزداد جذوتها يوماً بعد آخر وتضرب بجذورها في عمق النفوس والضمائر.

ولازالت هذه الطائفة الحقة الناجية تدفع ضريبة ولائها لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب وأبنائه الطيبين الطاهرين عليهم السلام، فها نحن نرى كيف تقوم الجماعات الارهابية في العراق من قتل الشيعة بالجملة وخاصة أولئك الذين يذهبون لزيارة أبي الاحرار الحسين الشهيد عليه السلام، حيث إن هدفهم الأول والأخير هو الوقوف سداً منيعاً أمام الزيارة ومنع الشيعة من السير المستند على أساس نوع من الالتزام بثوابت المبدأ والعقيدة والتي لو قدّر لها الانتشار والرواج، فسوف تزرع مصابيح النور في القلوب والأرواح المغرر بها، وتضحى مناراً لهداية البشرية اينما حلّت.

ولن نكون قد أذعنا سراً اذا قلنا: إن هناك الكثير من العلماء الذين يحسبون على هذه الطائفة يفتون بفتاوي ما أنزل الله بها من سلطان، فبعد العمليات الارهابية التي قامت بها الزمر الإجرامية والتفجيرات العنيفة التي



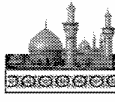
راح ضحيّتها المئات من الشيعة، أفتى البعض بحرمة زيارة العتبات المقدسة في العراق، غافلين عن أن الموت أمر مكتوب ومقدّر من عند الله عز وجل، فإننا نقرأ في الصحف المحلية ونشاهد من خلال التلفاز موت العديد من الاشخاص في طريقهم إلى الذهاب لزيارة الإمام ثامن الحجج الرضا من آل محمد عليه السلام، فهل من الصحيح إصدار فتوى بحرمة زيارة الامام الرضا عليه السلام؟

الحكام وممارسة الخداع

هناك الكثير من الحكام والرؤساء في عالمنا الإسلامي يخادعون شعوبهم ويتخذون من ولائهم لأئمة أهل البيت عليهم السلام وسيلة للوصول الى أغراضهم وأهدافهم الدنيئة، فقد شاهدت بنفسي صورة للبهلوي الاول رضا شاه في صحيفة (اطلاعات)^١، وهو في بداية حكمه، قد وضع الطين على جبهته وهو يتقدم جموع المعزّين، ولكن هذا الشخص وبعد مدة من الزمن وحينما استقرّت حكومته شرع في محاربة الشعائر الحسينية الواحدة تلو الاخرى.

وفي هذا المقام أذكر واحدة من المحاولات العديدة التي قام بها هذا الحاكم في محاربته لهذه الشعائر والتي شاهدها بنفسي، فقبل ما يناهز السبع والخمسين سنة ذهبت الى مدينة مشهد المقدسة لقضاء شهر محرم الحرام فيها، وفي صباح اليوم العاشر أتجهت لزيارة الإمام الرضا عليه السلام، وكانت الحكومة البهلوية قد منعت في هذه السنة إقامة

(١) وهي احدى الصحف واسعة الانتشار التي تصدر في ايران.



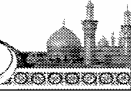
احدى الشعائر الحسينية، ولما دخلت الصحن الشريف وبالتحديد (الصحن العتيق) رأيت أمراً غريباً وخلافاً لما هو معهود في سائر الايام وهو حضور مجاميع من الشرطة في ذلك المكان، ولما سألت عن السبب في ذلك قيل لي: إن البعض يريدون إقامة إحدى الشعائر التي منعت من قبل الحكومة وهؤلاء الشرطة جاءوا الى هنا ليمنعوهم من إقامتها، وفي هذه الاثناء رأيت جموعاً من المعزين قد أقبلوا مهرولين وهم يهتفون بأعلى اصواتهم واحسين.. واحسين، فتوجّه الشرطة تلقاءهم، وحينما رأى المعزون توجه الشرطة نحوهم عزموا على مواجهتهم، فعندما شاهدت الشرطة ذلك لاذوا بالفرار مما فسح المجال للمعزين من إقامة تلك الشعيرة.

ومن الشواهد الأخرى على هذا الموضوع هو أنه: كتب لي بعض المؤمنين قبل فترة رسالة من إحدى الدول المجاورة تطرقوا فيها الى المضايقات والاعمال التعسفية التي تقوم بها حكومتهم وتحديداً إراء إقامة الشعائر الحسينية في ساعات محدودة وفترات معينة.

فلماذا لم يعتبر هؤلاء وكل من يحارب الشعائر المقدسة؟

الم يروا المصير والعاقبة التي حلت بالشاه بهلوي الاول؟ وأين صارت حكومته التي قامت بمنع الشعائر الحسينية؟ أين هم وأين أولئك المعزين؟

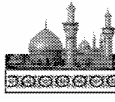
وهنا يأتي الجواب من القرآن الكريم اذ يصرح قائلاً ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾!



ومن الطبيعي أن يستطيع البهلوي والحكام الذين على شاكلته من منع الشعائر الحسينية لمقطع من الزمن بواسطة استخدام القوة والسلاح، ولكن هل لهم القدرة والامكانية على محوها من صفحة الزمن والوجود؟ فلو كان أسلوب القمع والقوة مجدياً لاستطاع هارون الرشيد والمتوكل العباسي في ذلك الزمان من محوها، ولعمل صدام وحزب البعث الكافر والذي تتناغم عقائدهم وأفكارهم مع هؤلاء الطغاة على فعل ذلك، فقد حارب هذا الحزب ومنذ توليه زمام الحكم في العراق قبل ثلاثين عاماً هذه الشعائر واستخدم أساليب ملتوية وقمعية للحيلولة دون إقامتها، فسقط في هذا الطريق أعداد كبيرة من الشهداء الأبرياء، حيث تخرج علينا الفضائيات وبعد عدة سنوات من سقوطه لتخبرنا عن اكتشاف مقابر جماعية، وتحمل الناس في هذا الخصوص أنواعاً مختلفة من العذاب الجسدي والنفسي، ومع هذا فأين أصبح مصير البعثيين المجرمين؟ ألم يصبحوا الآن في مزبلة التاريخ؟

إقامة مجالس الحسين عليه السلام في الجنان العليا

إننا نقول بضرر قاطع: لا يمكن لأحد من الناس إطفاء نور الشعائر الحسينية أو الوقوف بوجه انتشارها وترويجها، فهي تنتشر انتشاراً واسعاً في أصقاع العالم كما تنتشر النار في الهشيم، فعلى سبيل المثال لم يكن لذكر الإمام الحسين عليه السلام أي أثر في قارة استراليا قبل ثلاثين عاماً ولم تؤسس أيّ حسينية، أما اليوم فاننا نشاهد تأسيس العديد من الحسينيات وخروج المواكب الحسينية هناك، وكذلك نرى إقامة مجلس العزاء بالقرب من البيت الابيض الأمريكي وبالقرب من الكرملين في روسيا.



هذا في الأرض وأما في الجنة فإن أهل الجنة يقيمون العزاء بهذه المصيبة العظمى بأعظم صورة ممكنة، فعن مولانا صاحب العصر والزمان عليه السلام أنه قال في زيارة الناحية المقدسة «ولطمت عليك الحور العين»، وهذا الموضوع هو أيضاً من القضايا الاستثنائية والخصوصيات الفريدة التي جعلها الله سبحانه وتعالى للإمام الحسين عليه السلام.

خصوصية أخرى للحسين عليه السلام

لقد ذكرت الرسائل العملية للفقهاء الأعلام أن خدش الوجه بالنسبة إلى الإنسان عمل محرم ويوجب دفع الكفارة، ولكن يتحول هذا العمل من المحرم إلى الاستحباب في قضية خدشه على مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ما أكدت عليه الروايات الصحيحة الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، بل وانه يصبح واجباً كفائياً أو حتى عينياً أحياناً وذلك بالعنوان الثانوي.

إثارة بعض الشبهات حول الشعائر الحسينية

لقد اصدر الميرزا النائيني قدس سره فتواه الشهيرة بخصوص تأييده لجميع الشعائر الحسينية المقامة من دون استثناء يذكر، وذلك قبل ما يقارب الثمانين عاماً، نتيجة بعض الأحداث المؤسفة التي وقعت في مدينة النجف الأشرف، وتبعه في ذلك تلاميذه وتلاميذ تلاميذه، وبقيت هذه الفتوى سارية المفعول حتى زماننا الحاضر، وأيدها الكثير من المراجع

(١) بحار الانوار: ج ٩٨ باب ٢٤ كيفية زيارته عليه السلام ص ٣٢٢.



العظام، وكان من ضمن هؤلاء المراجع، المرجع الراحل أخي الكريم
أعلى الله مقامه الشريف، وقد جرى لي بتلك الفتوى قبل عدة سنوات
وكان لي الفخر والاعتزاز باني قمت بتأديتها.

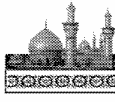
وعن تلك الوقائع والأحداث يكتب صاحب كتاب موسوعة (أعيان
الشيعة) السيد محسن الأمين رحمته الله في (مجلده العاشر) قصة ينقلها عن
أحد الكتاب المثقفين يقول فيها صاحب القصة: «أنه شاع في مدينة
النجف الأشرف حينها عدم جواز بعض الشعائر، وكان يقال لمن يقيم
ويحيي ويؤيد تلك الشعائر بالعلويين، وأطلق على من خالفها اسم
الأمويين، وأما أنا فكنت من أولئك المخالفين لبعض الشعائر لذا فإني
من الأمويين».

أن هذا الشخص الذي كتب عنه صاحب أعيان الشيعة كان رجلاً
يصلي ويصوم ويحمل من الثقافة الشيء الكثير وله مؤلفات عديدة وأنا
أعرفه شخصياً ورأيتُه عن قرب، فلماذا يصرح على أنه من الأمويين؟ مع
أنه كان لا يقصد بالطبع أنه من بني أمية.

فما هو السبب الواقعي الذي حمله على التفوه والنطق والكتابة
بهذه الجملة؟

ليس بهذه الجملة قد حطَّ من قدره ومنزلته بين الناس والمجتمع
وجعل تاريخه ملطخاً بالعار؟

إنني أحمد الله وأشكره كثيراً على نعمة الولاية والسير على خطى أهل
البيت عليهم السلام وتعلّم علومهم ومعارفهم، والأخذ من كبار الفقهاء والعلماء
الأعلام المخلصين والموالين، وعليكم أنتم ايها الشيعة ان تشكروا هذه
النعمة؛ لأنها نعمة فضيلة تجعلكم تحظون بالفوز في الدارين.



قصة من الواقع

توجد قصة حدثت مع والدي تتعلق بموضوع وجود إحدى الشبهات التي روّجت وأريد منها المساس بالقضية الحسينية، فقبل أربع وخمسين عاماً دخل إلى الروضة الحسينية المقدسة في ليلة الثامن من محرم الحرام للزيارة، وعند دخوله أعترضه أحد الأشخاص وسأله مسألة فقال له: هل يجوز لبس السواد على مصيبة الإمام الحسين عليه السلام؟ ومع أنّ ذلك الشخص قد شاهد والدي مرتدياً الملابس السوداء؛ ولكنه حصلت لديه تلك الشبهة نتيجة قيام أحد العلماء بإصدار فتوى عدم جواز لبس الملابس السوداء آنذاك، فاجابه الوالد إن لبس الملابس السوداء على مصيبة الإمام الحسين عليه السلام جائز ولا إشكال فيه بل ومستحب، فقال له الرجل: إن العالم الفلاني لا يرى جوازه؟ فتأمل الوالد قليلاً ثم ردّ عليه قائلاً: رايت العالم الفلاني وهو لا يقلّ علماً وورعاً وتقوى عن ذلك الشخص يفتي بجواز ذلك الفعل، وهو شخصياً يرتدي السواد، فلما سمع هذا الشخص بجواب الوالد اقتنع.

شبهة قديمة حديثة

ومن الشبهات الأخرى التي أثيرت وطرحت منذ مئات السنين ولا زالت تأخذ دورها خصوصاً هذه الأيام في العراق هي قولهم: لماذا هذا البكاء والحزن على الإمام الحسين عليه السلام وإقامة المجالس وإحياء شعائره وهو قد خرج عليه السلام من تلك المعركة منتصراً معنوياً؟ وفي معرض الأجابة على هذه الشبهة نقول: نعم فقد انتصر الإمام الحسين عليه السلام بكل المقاييس والموازن، ولولا نهضته المباركة لما قام



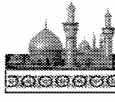
للدين قائمة (الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء)، ولولا تحركه لما كان للصلاة مكانة في حياتنا وهذا ما يتجلى بوضوح من خلال زيارته «أشهد أنك قد أقيمت الصلاة»^١، ولولا ثورته تلك لكان بنو أمية، قد قضوا على الدين الاسلامي الحنيف نهائياً، ولانكاد نجد حتى مسلماً واحداً يشهد الشهادتين، ولكن هذه الأمور لم تأت عن فراغ، ولم يتحقق النصر بسهولة، ألم يضح الإمام بكل ما يملك من أجل تحقيق ذلك وضحي حتى بطفله الرضيع؟ وأي فجاجع وآلام قد حدثت وأي دموع قد سكبت حتى تبلور هذا الانتصار؟

ثم ألم يكن الله يعلم بالنصر الذي سوف يناله الإمام عليه السلام وهو الخبير العليم، ولكنه مع ذلك فقد أمر جبرائيل بالهبوط الى الأرض وإبلاغ النبي آدم - على نبينا وعلى آله وعليه السلام - بإقامة العزاء له عليه السلام؟

ثم ألم يكن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عالماً بذلك، إذن لماذا بكى علي مصيبة الحسين عليه السلام وهو لم يأت الى الدنيا بعد أو كان الإمام لا يزال صغيراً؟ ولماذا أقام العزاء على مصيبتة الكبرى في بيت الإمام علي عليه السلام والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في يوم زواجهما الميمون المبارك؟

وبما إننا نعتقد بأن قول النبي وفعله حجة علينا في معترك الحياة، فأنني أوصي جميع الشباب المؤمن بالالتزم بهذه السنة الحسنة الواردة عن نبينا الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم، والقيام بإقامة مجلس العزاء على مصيبة الإمام الحسين عليه السلام في ليلة زفافهم لكي ينالوا السعادة والبركة والخير الكثير في حياتهم الزوجية.

(١) مفاتيح الجنان: زيارة وارث الشريفة.



ثم ألم يكن الإمام أمير المؤمنين عالماً بانتصار ولده الحسين عليه السلام؟
لكنه بكى عندما وصل الى كربلاء وهو في طريقه الى صفين فقال عليه السلام:
«ها هنا موضع رحالهم ومناخ ركابهم وها هنا مهراق دمائهم»^١؟
ألم يكن أهل البيت عليهم السلام يعلمون بتحقيق ذلك النصر؟ لكننا نراهم
يقيمون المجالس، ويأمرون شيعتهم بالبكاء والجزع على مصاب الإمام
الحسين عليه السلام؟

الم يعلم الإمام بقية الله الاعظم عليه السلام بأن جده قد انتصر في معركته مع
بني أمية، ولكنه يقول عليه السلام: «ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً»^٢.
ويجب الالتفات الى نقطة مهمة تتعلق بالقضية الحسينية وشعائرها ألا
وهي: إن العقاب على محاربة الشعائر الحسينية لن يقتصر على مسألة
التقصير، بل إنها تدخل في دائرتها عملية القصور كذلك، ومع أن حالة
القصور لا يعاقب عليها صاحبها في الآخرة وإنما لها تبعات دنيوية
متراكمة، حيث من شأنها إسقاط صاحبها تاريخياً وأجتماعياً حتى وإن
كان ذلك القصور بكلمة واحدة سواء كانت مقصودة أم غير مقصودة.
وبعبارة ثانية نقول: إن الشخص مهما كان، إذا تعرض الى القضية
الحسينية من قريب أو بعيد، فإنه يسقط لا محالة حتى وان كان يمتلك
رصيداً تاريخياً وعلمياً ثرياً ناصعاً.
وهناك شواهد تاريخية تثبت بشكل لا يشوبه الشك بأن هناك عقاباً
دنيوياً لمن كان مقصراً في نصرة الحسين عليه السلام سواء كان ذلك في واقعة

(١) واقعة صفين: طريق الجيش الى صفين ص ١٤٢.

(٢) مقطع من زيارة الناحية المقدسة.



الطف أو بعدها. وإليك واحدة من تلك الشواهد:

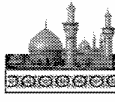
روى ابن رباح قال: لقيت رجلاً أعمى قد حضر قتل الحسين عليه السلام، فسئل عن ذهاب بصره؟ قال: كنت عاشر عشرة غير أنني لم أضرب ولم أرم، فلما رجعت الى منزلي وصليت أتاني آت في منامي فقال: أجب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: ما لي وله؟ فأخذ يقودني إليه، فإذا هو جالس في صحراء حاسر عن ذراعيه أخذ بحربة، وملك قائم بين يديه وفي يده سيف من نار، فقتل أصحابي، فكلما ضرب ضربة التهبتم ناراً، فدنوت وجثوت بين يديه وقلت: السلام عليك يا رسول الله، فلم يرد عليّ، ومكث طويلاً ثم رفع رأسه وقال: يا عدو الله انتهكت حرمتي وقتلت عترتي ولم ترع حقّي.

فقلت: يا رسول الله والله ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم.

قال: صدقت ولكنك كثرت السواد، أدن مني، فدنوت فإذا بطشت مملوء دماً فقال: هذا دم ولدي الحسين، فكحلني منه، فانتبهت لا أرى شيئاً.

لقد بدا واضحاً وجلياً مما ذكرناه أن قضية الإمام الحسين عليه السلام قضية عظيمة لا يمكن الإمام بها بسهولة والغور في أعماقها وإدراكها ببساطة، وعلى من يتابعها ويحقق فيها أن يفهم حقيقة وهي: أن الشخص مهما وصل واستوفى من علوم ومعارف فيها، فهو جاهل، مثله مثل ذلك الطفل الذي لا يزال يحب، فهي قضية كبرى ربانية لا يعلم بأسرارها وعظمتها الا

(١) مثير الاحزان: رواية ابن رباح في قتل الحسين عليه السلام ص ٨٠.

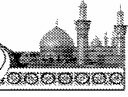


الله سبحانه وتعالى والراسخون في العلم وهم الائمة الأطهار عليهم السلام، وأن قول الإمام الصادق عليه السلام «رفع الله له من الدرجات ما لا يناله المتشطح في دمه في سبيل الله» فيه دلالة وبرهان قاطع على سر هذه القضية وسموها ورفعتها، فيرفع لعيني الناظر أمارات واضحة وإشارات دالة على أن من يعظم شعائر الإمام الحسين عليه السلام ويحيي أمرها هو أعظم مقاماً ومنزلة من مقام الشهداء الذين سقطوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله في معركة بدر.

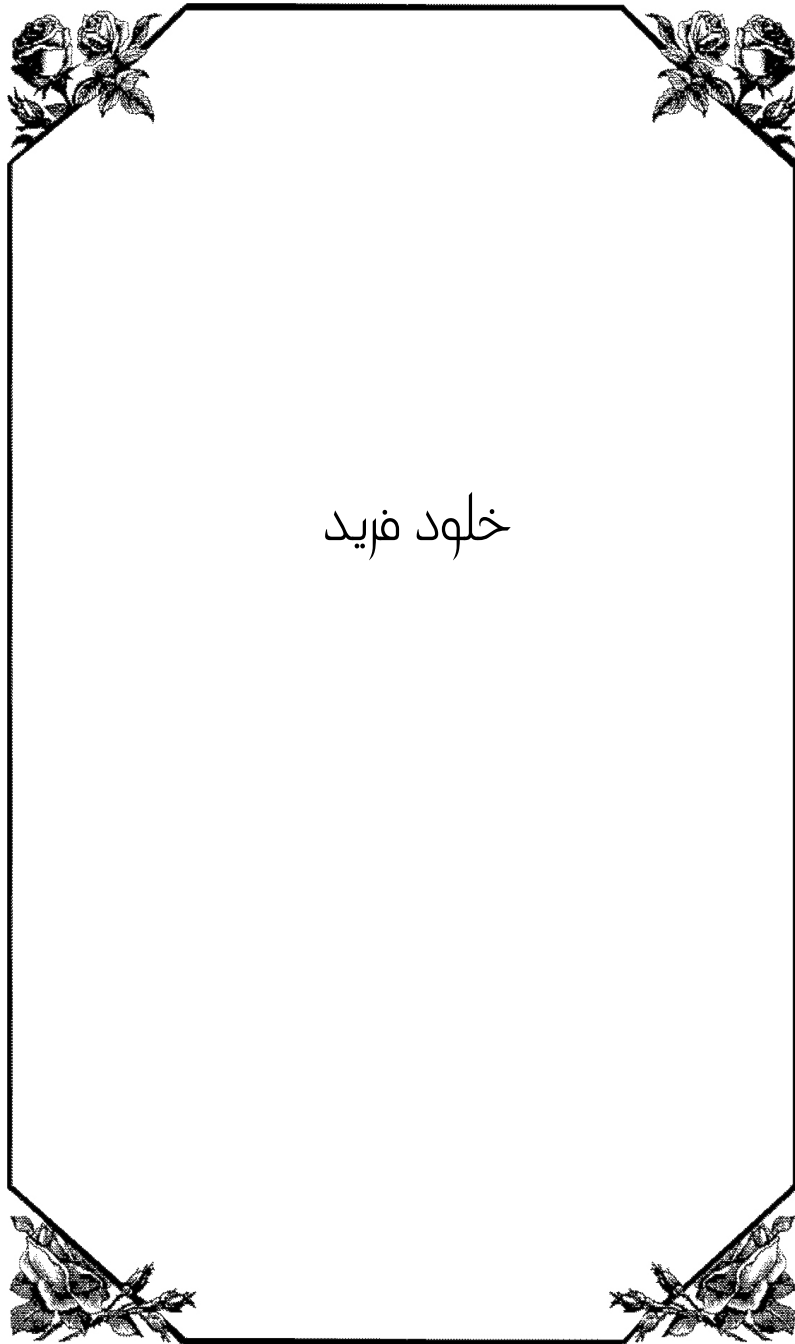
واجبنا

إن الوظيفة الدينية والشرعية تحتم على جميع المؤمنين في هذه المرحلة وهذا الظرف العصيب عدم التأثر سريعاً بالشبهات التي تطرح هنا وهناك بين فترة وأخرى، وأن لا تنطلي عليهم الخدع والحيل والكلمات والعبارات الرنانة والمزوقة، وتنبه بقية المؤمنين بذلك، ويجب عليهم أيضاً مراجعة المصادر التاريخية الصحيحة والمنصفة وقراءة الروايات الموثقة الواردة عن بيت العصمة والطاهرة عليهم السلام، والاطلاع على الحقائق أكثر فأكثر، حتى لا ينجرّفوا ويأخذهم التيار بعيداً، حيث إن ما ذكرناه هنا هو قطرة من بحر متلاطم.

وعليهم العمل كذلك بكل جدية ومثابرة وإخلاص منقطع على إحياء جميع الشعائر الحسينية مهما كان شكلها وطريقتها، وعدم الغفلة عنها أبداً؛ باعتبار أن لها منافع تنصب في خانة المصلحة العامة للمذهب، ومن ثم لها خصوصيات جمّة تعود عليهم بالسعادة والخير في الدنيا والآخرة، وإن المعاناة والصعاب التي يتعرّضون لها في الوقت الحاضر، لا يمكن مقايستها بحال من الأحوال بتلك المشاكل التي تعرّض لها الشيعة



في زمن الإمام الصادق والإمام الهادي عليهما السلام من قبل الدولة الاموية والدولة العباسية الجائرتين، اذ أفرزت تلك الحقبة الزمنية نماذج من الجرائم لا يمكن تصوّرها والتخلّص من تبعاتها الى أبد الأبدين.
وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.



خلود فرید

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين
الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين الى يوم الدين*.
عظّم الله أجورنا وأجوركم بمصابنا بمولانا وسيدنا الإمام الحسين عليه السلام
وجعلنا واياكم من الطالبين بثأره مع ولده مولانا الإمام المهدي
المنتظر عليه السلام.

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «نظر النبي صلى الله عليه وآله الى الحسين بن
علي عليه السلام وهو مقبل، فأجلسه في حجره وقال: إن لقتل الحسين حرارة في
قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً»^١.

وكان الإمام الحسين عليه السلام آنذاك صبياً دون السابعة، لأنّ عمره يوم
إستشهاد جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لم يكن يتجاوز السبع سنوات.
في هذه الرواية كلمات يجدر الوقوف عندها والتأمل فيها، وهي
«الحرارة» و«قلوب المؤمنين» و«لا تبرد أبداً».

(*) ألقى سماحته هذه الكلمة في بيته المكرم بجموع المعزين في مساء يوم العاشر من
محرم الحرام لسنة ١٤٢٩ للهجرة.

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ٣١٨ ح ١٣ رقم ١٢٠٨٤.



وبطبيعة الحال فإنّ الكلمات العربية لها معان كثيرة وحسب ما قاله صاحب المعالم والمشهور بين علماء الأدب والفقه والأصول فإنّ الحقّ وقوع الأشتراك لوجود الأشتراك في لغة العرب.

وعليه فإن «الحرارة» لها معان متعددة؛ منها حرارة المكان وحرارة الزمان، ولكن المقصود من الحرارة في حديث رسول الله ﷺ هو «حرارة القلب» وهي اللوعة والحرقة؛ بقرينة قوله ﷺ «في قلوب المؤمنين». وكما يكون قلب الثكلى وكل من فقد عزيزاً تعتصره الحرقة وتكتويه اللوعة بنيرانها، فكذلك قلب المؤمن يحترق بلوعة المصاب على سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين ﷺ، فهنيئاً لمن حمل هذه الحرارة في قلبه وتعساً لمن لا يملكها وخلا قلبه منها.

ثم إن نفس الحرارة لها درجات ومراتب كالمؤمنين الذين وصفهم الله تعالى بأنهم «درجات عند الله» ولذا يجب علينا دوماً العمل على زيادة درجة تلك الحرارة والبقاء على جذوتها.

ويمكن من خلال هذه الحرارة الموجودة، والتي قيدها النبي ﷺ بكونها في «قلوب المؤمنين»، تشخيص ومعرفة الإيمان في نفوسنا ومرتبته؛ لأنّ النبي ﷺ حصرها في الفرد المؤمن وهو الذي يشعر بها ويتحسّسها، اذ لا قيمة ولا اعتبار للحرقة واللوعة من دون حالة الإيمان، فلقد نقل أرباب المقاتل أن عمر بن سعد قد بكى أيضاً يوم عاشوراء عندما رأى الإمام الحسين ﷺ مقتولاً، فهل لهذا البكاء جدوى وفائدة؟ ورووا أيضاً أن أحد الظلمة كان في عصر يوم عاشوراء يسلب بنات رسول الله ﷺ ويسحب الأقران من أذني إحدى يتامى الحسين ﷺ وهو يبكي، فهل ينفع مثل هذا البكاء؟ كلا أكيداً.

وقال الرسول الأعظم ﷺ عن هذه الحرقه واللوعة بأنها «لا تبرد أبداً» وهذا معناه أن هذه الحالة سوف تبقى مع الإنسان المؤمن إلى آخر لحظة من حياته ولن تفارقه قيد شعره.

لا يوم كعاشوراء ولا بقعة أشرف من كربلاء

هناك بعض الجمل والعبارات التي يطلقها بعض الناس ويعمل بكل قوة من أجل توجيهها وترسيخها حتى وإن كانت تخالف الخط الفكري والمنهج الذي رسمه أهل البيت عليهم السلام، ومن تلك العبارات الخاطئة والتي أريد تعميمها وإنزالها على أرض الواقع هي المقولة المشهورة «كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء»، فهذه المقولة لا يمكن تبريرها وتوجيهها بشكل من الأشكال؛ لأنها تعارض بصراحة أقوال وأحاديث المعصومين عليهم السلام والتي تؤكد كلها أنه: لا يوم كيوم الإمام الحسين عليه السلام، ولا أرض كأرض كربلاء.

فهناك رواية وردت عن أفتخار مكة وأنها قالت: من مثلي؟ ولها الحق بالافتخار لما امتازت به، فهي أم القرى؛ ومن هنا لُقّب النبي ﷺ بالأُمِّي أي المكي.

لقد أفتخرت مكة بنفسها ولم تقل إنها أفضل من بقعة كربلاء، فجاءها الخطاب من الله سبحانه وتعالى أن أسكتي، فإنه لولا كربلاء لما خلقتك؛ عن محمد بن جعفر الرزاز عن محمد بن الحسين عن محمد بن سنان عن أبي سعيد القمط عن عمر بن يزيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن أرض الكعبة قالت: من مثلي وقد بني بيت الله على ظهري! يأتيني الناس من كل فج عميق، وجعلت حرم الله وأمنه. فأوحى الله اليها كفي وقرّي، ما



فضل ما فضلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غُمست في البحر فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا من ضمته كربلاء لما خلقتك ولا خلقت الذي افتخرت به، فقري واستقري وكوني ذنباً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستكف ولا مستكبر لأرض كربلاء وإلا مسختك وهويت بك في نار جهنم»^١.

أيمكن بعد هذا أن يقال: كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء؟! وهذا مثل ذلك الخطاب الذي خاطب به الله عز وجل نبيه آدم قائلاً: لولا محمد لما خلقتك؛ فقد روي عن أخطب خوارزم وهو من أعظم مشايخ أهل السنة عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (لما خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه من روحه عطس، فقال: الحمد لله، فأوحى الله تعالى: حمدني عبدي، وعزّتي وجلالي لولا عبدان أريد أن أخلقهما في دار الدنيا لما خلقتك، قال: إلهي أفكونان مني؟ قال: نعم يا آدم، أرفع رأسك وانظر، فرفع رأسه فإذا مكتوب على العرش: «لا إله إلا الله، محمد نبي الرحمة، وعليّ مقيم الحجة، ومن عرف حقّ عليّ زكا وطاب، ومن أنكر حقّه لعن وخاب، أقسمت بعزّتي وجلالي أن أدخل الجنة من أطاعه وإن عصاني، وأقسمت بعزّتي وجلالي أن أدخل النار من عصاه وإن أطاعني»^٢.

ولا شك أنّ الرواية التي وردت على لسان النبي الأكرم ﷺ والتي قال

(١) وسائل الشيعة: ج ١٤ ص ٥١٥ الرقم ٩٧٢٠.

(٢) أرشاد القلوب: ج ٢ ص ٢١٠.



فيها «إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لاتبرد أبداً»^(١) وكذلك الروايات الأخرى الواردة عن بقية المعصومين عليهم السلام، تؤكد على المنزلة والمكانة والخصوصية التي خصَّ الباري عز وجل بها الإمام الحسين عليه السلام وما جعل من الثواب الجزيل لكل قضية تخصه من شعائر ومجالس ومآتم وزيارات، وهذه الخصوصيات جعلها له دون سائر المعصومين عليهم السلام، حتى من كانوا أفضل منه منزلة ومقاماً وهم جدّه صلّى الله عليه وآله وأبوه وأمه وأخوه عليهم السلام.

إن رسول الله صلّى الله عليه وآله ورغم كونه أفضل من الإمام الحسين عليه السلام، وقد أستشهد هو أيضاً، ولكنه لم يقل عن نفسه: إن لقتلي حرارة في قلوب المؤمنين لاتبرد أبداً.

وكذلك الصديقة الزهراء عليها السلام التي كانت أفضل من ابنها بلا أدنى شك وقد أستشهدت بذلك الوضع المأساوي، ولم تكن عليها السلام مريضة وكانت في مقتبل عمرها وفي ريعان شبابها وقد قال أبوها عنها أحاديث كثيرة في فضلها وعلو مكانتها وعظمتها، ولكنه لم يقل إن لقتلها حرارة في قلوب المؤمنين لاتبرد أبداً.

ألم يكن الإمام علي عليه السلام أفضل من ابنه الحسين عليه السلام وهو أيضاً أستشهد بذلك النحو المفجع وفي ذلك المكان المقدس.

وهنا أودّ أن أشير إلى نقطة تاريخية وهي: لقد أعقب استشهاد الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام وقوع الكثير من الويلات والمصائب على المسلمين بشكل عام وعلى الشيعة بشكل خاص، فقد قام الطاغية

(١) نقل هذا الخبر الخاصة والعامّة.



معاوية بن أبي سفيان في واقعة واحدة بقتل ثلاثين الفاً من الشيعة، ومهما تحدث المرء عن هذا الطاغية وأمثاله فلن يستطيع إبراز صورهم القبيحة ومدى عظم الجرائم التي ارتكبوها بحق الإسلام والمسلمين. لقد كان النبي ﷺ يعلم بحادثة إستشهاد الإمام علي عليه السلام وما سوف يجري عليه من مصائب ومحن من الأمة ولكنه لم يقل عنه ما قال عن الإمام الحسين عليه السلام في قضية استشهاده.

وهكذا الإمام الحسن المجتبي عليه السلام فهو حسب الاعتقاد الذي نؤمن به أفضل من الإمام الحسين عليه السلام وجرت عليه مصائب ورزايا عظيمة، فلم تكتف بني أمية بقتله بالسم بل عمدت إلى رمي جنازته الطاهرة بالسهم ومنعوا من دفنه إلى جوار قبر جدّه ﷺ، ولكن مع هذا لم يقل الرسول الأكرم ﷺ بمقتله مثل ما قاله عن الإمام الحسين عليه السلام.

الله عز وجل وأنبيأوه ورسله وملائكته يقيمون العزاء على سيد

الشهداء عليه السلام

إن الله عز وجل وملائكته قد أقاموا مجلس العزاء على الإمام الحسين عليه السلام في السماوات، وأقام الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وجميع الأنبياء والمرسلين مجالس العزاء، فهناك لدينا الكم الهائل من الروايات التي تشير إلى هذا الأمر وتؤكدده.

أجل إن مصابنا بالنبي الأعظم ﷺ والإمام علي عليه السلام والصديقة فاطمة الزهراء والإمام الحسن عليه السلام وهكذا بقية الأئمة الاطهار من ولد الحسين عليه السلام، عظيم ونقيم فيه التعازي والمآتم ونحزن ونتألم، إلا أن الإمام الحسين عليه السلام استثناء، فالتضحيات التي قدمها في سبيل الله عظيمة؛



فلذا جعله الله عز وجل استثناء في كل شيء.

وهذه القاعدة جرت حتى في المسائل الفقهية؛ فإن كبار العلماء والمراجع العظام الذين حظوا بمنزلة عالية وبالقرب الإلهي ورعاية أهل البيت عليهم السلام وتشرفوا بلقاء الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام، قد جعلوا استثناء في الأحكام التي لها ارتباط وعلاقة بالإمام الحسين عليه السلام ومجالسه وزياراته، وهذه الاستثناءات التي ذكروها لم تكن نابعة من اجتهادات خاصة بهم، بل أستتجوها وأستنبطوها من الأحاديث الواردة عن المعصومين عليهم السلام.

ولا نجا في الحقيقة إذا قلنا إن الفقه الذي بين أيدينا عريق وأصيل، وبذل فيه آلاف العلماء جهوداً جبارة وقضوا ملايين الساعات في البحث فيه، فخير مثال على ذلك الموسوعة الفقهية التي كتبها المرحوم الأخ المرجع قدس سره، وهكذا كتاب جواهر الكلام لصاحب الجواهر ومسند الشيخ النراقي، وذرائع الأعسم ومبسوط الشيخ الطوسي، وغيرها من الكتب والمؤلفات الفقهية الأخرى، فانظروا ماذا كتب هؤلاء العظام عن الإمام الحسين عليه السلام والأحكام الاستثنائية التي ذكروها عنه؟

فعندما تراجع تلك المصادر ترى بعض المسائل المستثناة من الحرمة في الإمام الحسين عليه السلام - كأكل التراب فإنه حرام إلا من تربة الحسين عليه السلام ففيها الشفاء - أو لبس السواد فإنه مكروه إلا على الإمام الحسين عليه السلام فإنه عمل محبّد ومستحب.

ولا يخطر على بال أحد أننا نحرم حلال الله أو نحلل حرام الله في الإمام الحسين عليه السلام، حاشا فكلما هذين الأمرين يستتبعه خزي في الدنيا وعذاب شديد في الآخرة، ولكن نقول إن الإمام الحسين عليه السلام وهب



نفسه وعياله وإخوته وأصحابه في سبيل الله عز وجل وأراد الإصلاح في أمة جدّه ﷺ، وعلى هذا الأساس فقد منحّه الباري سبحانه وتعالى امتيازات وخصوصيات لم يمنحها حتى لمن هم أفضل منه منزلة ومقاماً، ولعل من هذه الامتيازات ميزة وجود الحرقة في قلوب المؤمنين والتي لا تبرد أبداً.

وهنا قد يُثار في الذهن سؤال وهو أنه: هل هناك أجل معلوم لمجالس الإمام الحسين ﷺ وهل تنتهي في مدة زمنية؟

في مقام الإجابة على هذا السؤال نقول: إنها باقية وسرمدية وأزلية. ومن الأمثلة الأخرى التي تؤكد أفضلية الإمام الحسين ﷺ وهي كثيرة نذكر الرواية الواردة عن الإمام الحسن العسكري ﷺ؛ فقد روي عنه أنه قال: «علامات المؤمن خمس: صلاة الخمسين، وزيارة الأربعين والتختّم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم»^١.

وعوداً على بدء نقول: لماذا لم يقل الإمام الحسن العسكري ﷺ ان زيارة النبي ﷺ من علامات المؤمن؟ أليس هو أفضل من الإمام الحسين ﷺ؟ وهكذا أبوه وأمه وأخوه؟

والجواب هو: إنّ الإمام الحسين ﷺ وقضيته وشعائره فريدة من نوعها، وسوف تبقى صوت حق يرنّ في أذن الزمن حتى قيام الساعة.

ومن الطبيعي فإنّ زيارة النبي ﷺ وسائر الأئمة الاطهار ﷺ في يوم أربعينهم أمر محبّب ولكن لم يذكر في أيّ من الروايات والأحاديث على أنه من علامات المؤمن.

(١) تهذيب الاحكام: ج ٥ ص ٥٢ ح ٣٧.

وهكذا سيظل يوم عاشوراء يوماً خالداً وقنديلاً يُضيء للناس طريقهم، ويستمر ليتفاعل مع ضمير الأمة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ولن تكون هناك بقعة أظھر وافضل من بقعة كربلاء.

وكما (أشرنا) في بداية الحديث فان القضية الحسينية تحيا في السماء قبل الأرض، فقد قال رسول الله ﷺ «والذي بعثني بالحق نبياً إن الحسين بن عليٍّ في السماء أكبر منه في الأرض»^١.

لقد أضحى الإمام الحسين ﷺ نقطة ارتكاز واستقطاب، فكم من حدث في السنة يرتبط به من قريب أو من بعيد؟ وها نحن نشاهد عبر القنوات الفضائية يوماً تقريباً اجراء بعض المراسيم الخاصة به، ولكن هذه الفضائيات التي قامت على أيادي بعض الخيّرین من المؤمنین قليلة ويجب العمل على زيادتها وتكثيرها؛ لكي يمكن إيصال صوت مظلومية سيد الشهداء إلى أسمع العالم من شرقه حتى غربه؛ لأنّ الإنسانية لا تعرف من هو الحسين بن عليٍّ؟ وليس لها العلم بما قام به من تضحيات من أجل الحق والمبادئ السامية.

وإننا على يقين أنه إذا وصلت لهم القضية الحسينية بكلّ أبعادها وحقائقها فسوف تتغير المعادلة ويميل الناس إلى قضية الامام الحسين ﷺ، ولاشك فإنّ صفحات التاريخ حافلة في ذكر الآلاف من اليهود والنصارى والزرادشت وأبناء العامة الذين تغيّروا وتشيّعوا واهتدوا بسبب بركات الإمام ﷺ وأنواره الساطعة، وكما نرى فإن هناك الكثير من أبناء الشعب الهندي الذي يشكل الوثنيون نسبة كبيرة منه يهتدون سنوياً، ولدينا احصائية مفصّلة عن تلك الأرقام.

(١) مستدرک الوسائل: ج ٥ ص ٨٧ ح ٢٨ الرقم ٥٤٠٧.



إقامة العزاء للحسين عليه السلام يوم القيامة

وثمة نقطة يجب الإشارة إليها وهي أن الحزن على الإمام الحسين عليه السلام لا يمكن أن ينتهي بشكل من الأشكال، وسوف يستمر إلى يوم القيامة، بل سوف يشهد الخلق ظلامه الإمام الحسين عليه السلام في يوم القيامة والوضع المأساوي الذي قُتل فيه، باعتبار أن ذلك اليوم هو يوم تجسيد الأعمال للعباد، ومن تلك الأعمال التي سوف تتجسد قضية الإمام الحسين عليه السلام فيطلع عليها أهل المحشر. فقد روي بإسناد معتبر أن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة نُصب لفاطمة عليها قبة من نور، وأقبل الإمام الحسين عليه السلام ورأسه في يده، فإذا رآته شهقت شهقة لا يبقى في الجمع ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد مؤمن إلا بكى لها...»^١.

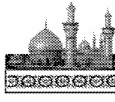
وفي حديث آخر «وإنها لتشهق شهقة لا يبقى نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا مؤمن إلا بكى لبكائها»^٢.

ومن المعروف أنّ الشخص إذا أصابته مصيبة فانه يتنفس بحرقة و يحبس أنفاسه ثم يخرج نفساً عميقاً مصحوباً عادة بصوت، وكلما كانت المصيبة أعظم كان الصوت الخارج أكبر، ويقال لخروج الصوت من النفس زفرة، وأما إذا كان الصوت الخارج عالياً قيل له شهقة، وأحياناً تكون هذه الشهقة الخارجة سبباً في وفاته إذا لم يتدارك الموقف.

يقول الإمام الصادق في هذه الرواية أن الزهراء عليها السلام عندما ترى ابنها بهذه الحالة لتشهق، واللام هنا هي لام القسم ويؤتى بها للتوكيد، ومعنى

(١) بحار الانوار: ج ٤٣ ص ٢٢٢.

(٢) كامل الزيارات: ص ٨٦ الباب السابع والعشرون، بكاء الملائك.



ذلك: إنها والله تشهق.

فلماذا تفعل الزهراء عليها السلام ذلك مع أن الإمام الحسين عليه السلام عندها في ذلك الوقت؟ والجواب على ذلك أن قصة الحسين عليه السلام مستمرة الى يوم القيامة، وأنها سوف تتفاعل وتعمق في الأرض على الرغم من مرور كل تلك السنين والسنين القادمة والتي لا يعلم عددها إلا الله سبحانه وتعالى حتى يأتي يوم القيامة وقد تبلغ هذه المدة الزمنية الملايين من السنين.

ويؤكد الإمام الصادق عليه السلام في تنمة هذه الرواية أن المحشر يضحّ ضجة واحدة لان ١٢٤ الف نبي والملائكة الذين لا يُعرف عددهم إلا الله، والمؤمنين كلهم، سوف يبكون لبكائها عليها السلام «وان فاطمة عليها السلام إذا نظرت إليهم ومعها ألف نبيّ وألف صدّيق وألف شهيد ومن الكروبيين ألف ألف يساعدها على البكاء وإنما لتشهق شهقة فلا يبقى في السموات ملك إلا بكى رحمة لصوتها»^١.

ومن الشواهد الأخرى التي تدلّ على إقامة مجالس العزاء يوم القيامة على الإمام الحسين عليه السلام، القول الوارد عن الإمام بقية الله الأعظم عليه السلام في زيارة الناحية: «ولطمت عليك الحور العين».

ليست الجنة مكاناً لفرح وسرور المؤمنين ولا مكان فيها للحزن والألم؟ فلماذا تلطم الحور العين وتبكي الإمام عليه السلام؟

نقول: إن هذه الامور هي من الاستثناءات التي خصّ بها الله عز وجل مولانا الحسين عليه السلام وتعلقت بذلك الإرادة الالهية.

(١) نفس المصدر السابق.



قضية الحسين عليه السلام والآثار التكوينية لمحاربتها

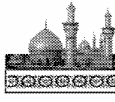
هنا أود الإشارة الى مسألة في غاية الأهمية؛ لكي نكون حذرين في التعامل مع القضية الحسينية بكل جدية وأن نسعى للاستفادة من فرصة الدنيا بأفضل وجه ممكن.

وهذه المسألة هي أن القضية العاشورائية لم تتوقف عند الواقعة الأليمة التي وقعت في سنة ٦١ للهجرة، بل أصبحت نموذجاً للصراع بين الحق والباطل، ويمثل جبهة الحق أولئك السائرون على خطّ ومنهج الإمام الحسين عليه السلام ومحبيه ومقيمو شعائره، وبين جبهة الباطل المتمثلة بالطاغية يزيد وكل من يقف بوجه القضية الحسينية ويحاول طمس معالمها ونورها الوهاج.

وهنا لابد من التنبيه والتذكير بأمرين:

الأول: قد يكون هناك أشخاص ليسوا من أتباع الطاغية يزيد، وهم من الذين يحبون أهل البيت عليهم السلام ولكن قد يصابون بنوع من الغفلة أو الجهل أو سوء فهم، فيقومون بعرقلة الشعائر الحسينية والنيل منها أو معارضتها بنحو من الأنحاء، وما على هؤلاء إلا الحذر والتأمل وسماع كلمة الحق؛ لأن الوقوف ضد القضية الحسينية حتى وإن كان بسيطاً فإنه يكلف صاحبه الخسران المبين في الدنيا وفي الآخرة.

الثاني: لا شك أن هناك آثاراً تكوينية تترتب على الإنسان بسبب إرتكابه لبعض المعاصي والآثام، وهذه الآثار لا تزول وإن تاب لإنسان وتخلص من آثارها الشرعية والأخروية والعقاب الإلهي، وقد تاتي تلك الآثار من محاربة خطّ الحق، وعادة ما يكون لتلك الآثار ما ليس لغيرها؛ ولذلك يجب على الشخص توخي أعلى درجات الحذر واليقظة.



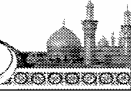
وهناك أمثلة كثيرة في هذا الصدد نذكر مثالين منها:

المثال الأول: الحر بن يزيد الرياحي، فان هذا الشخص ارتكب عملاً يعاب عليه، وكان ذلك العمل قبيحاً وسيناً للغاية، ولكنه صحح مساره وخطه في آخر لحظة. ومع أن العمل الذي قام به أكبر من عمله الحسن ولكن لم يكن بإمكانه أن يصححه بأكثر مما قدمه، فتاب الله عليه وقبل توبته، وكذلك فقد عفا عنه الإمام الحسين عليه السلام فنال وسام الشهادة بين يديه واختار الجنة ومقاماتها الرفيعة على الخلود في النار. ولكن مع ذلك فقد كان لموقفه السلبي من الإمام عليه السلام أثره التكويني كما سنوضح بعض ذلك:

لقد ارتكب الحر خطأين: الأول: أنه وكما قيل: كان أول من جعجع بالإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته؛ ولذا طلب من الإمام أن يكون أول من يقاتل بين يديه، وبالفعل فقد خرج وقاتل حتى استشهد.

الثاني: أنه قام وخلال زهاء عشرة ايام ومن معه من القوات التي كانت تحت إمرته، وكذلك بمعية جيش عمر بن سعد بإرعاب قلوب نساء الرسالة وأطفال أهل البيت عليهم السلام، وهذا ما اعترف به اذ قال: «اللهم إني اربعت قلوب أوليائك» وبذلك فقد ترتب عليه الأثر التكويني، وهذا الأثر يتحقق بإرعاب مؤمن عادي فكيف به وقد أربع أهل البيت عليهم السلام، ويبقى هذا الأثر حتى وإن تاب واعتذر الى من أربعه وحصل على عفوه وصفحته.

وعلى هذا الأساس فاني أوصي الجميع وخاصة شريحة الشباب من عدم إرعاب أحد من المؤمنين لاسيما زوار ومقيمي شعائر الإمام الحسين عليه السلام، فمن قام بذلك فالويل والثبور له.



وقبل أن أتطرق الى الثمن الذي دفعه الحرّ على أثر موقفه من أهل البيت في بداية وقائع عاشوراء وإرعابه بيت النبوة والطهارة عليه السلام، لا بدّ من بيان المكانة والمنزلة العظيمة التي حظي بها الحرّ بعد توبته والمقام الذي ناله؛ لأن من تاب تاب الله عليه، وهو تاب واستشهد بين يدي الإمام الحسين عليه السلام.

إن الأحداث والوقائع التي جرت في كربلاء تحدّثنا أن الإمام الحسين عليه السلام قد ذكر اسم أم الحرّ مرتين، فالمرّة الاولى قال عليه السلام له: «تكلتكم أمّك ما تريد؟» فقال له الحر: أما لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أمّه بالثكل كائناً من يكون، ولكن والله ما لي من ذكر أمّك من سبيل إلا بأحسن ما نقدر عليه...^١.

والمرّة الثانية مدحها الإمام عليه السلام حينما شاهد الحر وهو ملقى على أرض المعركة شهيداً، إذ قال له: «أنت الحرّ كما سمّتك أمّك، وأنت حرّ في الدنيا وحرّ في الآخرة»^٢.

ولاشك أن الرّوح الأبية والحرّة التي كان يتمتّع بها الحرّ هي التي خلّصته من اللعنة الأبدية وأنقذته في آخر المطاف.

إذن فلنتعلّم من الأئمة الأطهار عليهم السلام ومن هذا العبد الصالح ومن بقية العلماء الأعلام كيف نكون أحراراً في دنيانا، وأن نحكّم العقل في كلّ موقف نريد اتّخاذه، وأن نختار طريق الجنّة دوماً - مهما كلف - على طريق النار.

(١) بحار الانوار: ج ٤٤ ص ٣٧٦ باب ٣٧ ماجرى عليه بعد بيعة الناس.

(٢) المصدر السابق: ج ٤٥ بقية باب ٣٧ ص ١٤.

لقد منح الإمام الحسين عليه السلام وسامين للحرّ لم يمنحهما الى أحد غيره من شهداء الطف وهما:

الوسام الأول: العصابة التي شدّها الإمام الحسين عليه السلام على رأسه قبيل استشهاده، ومع أن الإمام قد جلس عند رؤوس كلّ الشهداء، وقد كانوا جميعهم مصابين في رؤوسهم إلا أن الإمام لم يفعل ذلك مع أحد منهم، وهذا هو وسام فخر واعتزاز، وهو وسام معنوي عظيم.

الوسام الثاني: ما أورده الشيخ الصدوق في الأمالي من الشعر المنسوب للإمام عليه السلام والذي قاله بحق الحرّ بعد سقوطه:

لنعم الحر حر بني رياح...^١

ولم يُسمع أن الإمام الحسين عليه السلام قال شعراً في حقّ أيّ واحد من أنصاره.

وأما الأثر التكويني الذي تركه إرعاب الحرّ لحرائر أهل البيت عليهم السلام وأولياء الله تعالى فتجسّد في حرمانه من بعض الفضائل والامتيازات التي نالها شهداء كربلاء ومن ذلك:

١. لقد تمّ دفن الشهداء جميعهم عند رجلي الإمام الحسين عليه السلام؛ ولذا فإنهم يزارون كلّما يزار الإمام عليه السلام، وأما الحرّ فقد دُفن على بعد فرسخ من الإمام عليه السلام، فحُرّم من هذه الفضيلة، ومع أنه يذكر من قبل المؤمنين ويزار ولكن لا يزار بعدد زيارات الشهداء المدفونين في الحضرة الطاهرة لسيد شباب أهل الجنة.

(١) الإرشاد: للمفيد الجزء الثاني ص ١٤.



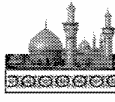
٢. لقد تمّ فصل الرؤوس عن أجساد جميع شهداء الطفّ إلا رأس الحرّ حيث تدخل قومه ومنعوا من حصول ذلك، وهذه فضيلة حُرّم منها كذلك، ففي يوم القيامة الذي تتجسّد فيه الاعمال يؤتى بشهداء كربلاء وكلّهم مقطوعو الرؤوس ما عدا الحرّ، وهذه مرتبة أقلّ في التضحية والفداء.

٣. بقيت أجساد الشهداء على الرمضاء وصحراء كربلاء ثلاثة أيام كاملة إلا الحرّ، فقد أخذت قبيلته جثمانه وتمّ دفنه في الحال، وهذه فضيلة حُرّم منها أيضاً.

٤. لقد قام الإمام زين العابدين عليه السلام بالصلاة على الشهداء ودفنهم إلا الحرّ، فقد صلى عليه شخص من قبيلته كان من جبهة الباطل، مع أنه لم يكن من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، ولكنه في كل الاحوال كان ممن ساهم في تكثير السواد في جيش ابن زياد لعنه الله.

٥. ان النص الذي يزار به الحر ليس كالنص الذي يزار به بقية الشهداء. وعلى هذا الاساس فهذا درس وعبرة لمن أراد الوقوف أمام الشعائر الحسينية وأن لا يخطر في ذهنه أن هذا الزمان والوقت والواقعة هي غير تلك الواقعة بل إن الزمن واحد والواقعة نفسها، فمن ينصر شعائر الإمام الحسين عليه السلام وقضيته فهو من أنصاره بكلّ تأكيد مهما بعدت المسافات وتباعد الزمن، ومن يخذلها فإنما يخذل الإمام الحسين عليه السلام، وعليه الإسراع في عملية التوبة لكي لا يبتلى بالآثار التكوينية.

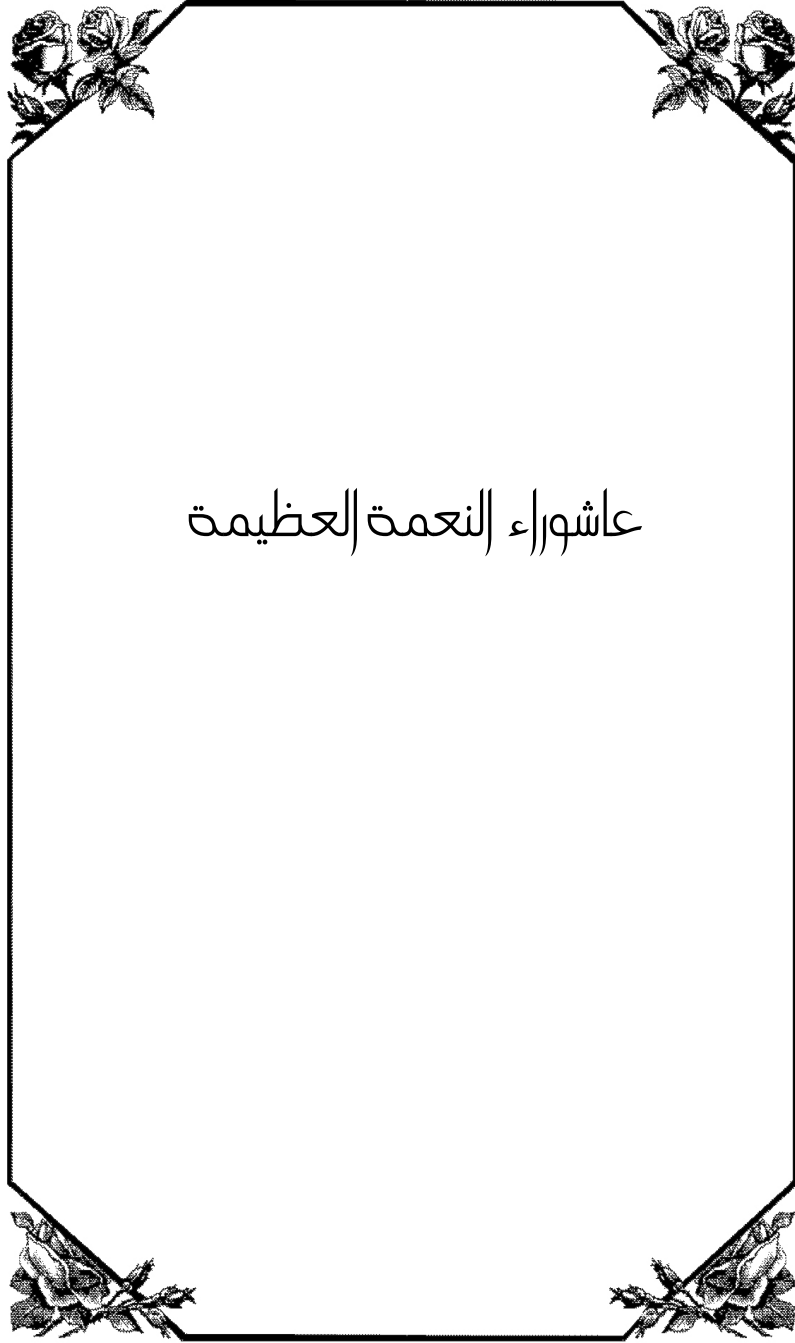
وأما المثال الثاني الذي يدلّ على ترتّب الآثار التكوينية على أفعال الانسان، ما ورد في كتاب (دار السلام) للمرحوم النوري وفحواها أنه قام احد الاشخاص من المؤمنين الشيعة في إحدى السنوات وفي اليوم الثامن من محرم الحرام بالاعتداء والتجاسر على الملا فتح علي السلطان



أبادي وكان الدافع لهذا الاعتداء هو إصرار الأخير على إقامة الشعائر الحسينية، حيث كان يتحمّل مختلف الصعوبات في هذا الطريق والتي كان اعتداء هذا الشخص عليه واحدة منها، فتحمّل ذلك الشخص هذا الاعتداء ولم يقل شيئاً، وعندما ذهب الشخص المتجاسر والمعتدي الى البيت ساءت حالته، وبعد منتصف الليل طُرقت باب الشيخ السلطان آبادي حيث جاء اهل ذلك المعتدي اليه يطلبون الصّح عنه؛ لأن الجميع قد أدرك أن سبب تدهور حالته الصحية هو اعتداؤه السافر على السلطان آبادي، فذهب اليه الشيخ ووجده يتلوى من الألم فجلس عنده وقال له: لقد عفوت عنك، ثم عاد إلى بيته، ولكن ذلك الشخص مات قبل طلوع الفجر، فهل كان هذا الشخص من الذين حاربوا في كربلاء؟ ام كان هذا الشيخ من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام؟ ثم ألم يصفح عنه الشيخ؟

الجواب: إن ذلك الشخص عندما استغفر الله عز وجل وطلب الصّح من الشيخ فانه قد عفا عنه، لكنه نال عقوبته التكوينية في دار الدنيا ولم يتخلّص منها، بسبب وقوفه ضد القضية الحسينية.

أسأل الله عز وجل ببركة سيد الشهداء عليه السلام أن يشملنا بلطفه وأن لا يحرمننا من السير في طريق الإمام الحسين عليه السلام، وان يجنّبنا الوقوع في طريق عرقله الشعائر الحسينية أو إرعاب من يقوم بها، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.



عاشوراء النعمة العظيمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين
الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين الى يوم الدين*.
عظّم الله أجورنا وأجوركم بمصابنا بسيدنا الإمام الحسين عليه السلام، وجعلنا
الله تعالى من الطالبين بثاره مع وليّه الإمام المهدي من آل محمد عليهم السلام.
إن القضية العاشورائية نعمة عظيمة وفضيلة كبيرة، ولعلّ من يدركها
حقّ قدرها ويصل الى كنهها وأسرارها هو ذلك الشخص الذي كان حياً
في عاشوراء السنة الماضية وشارك أو قدم خدمات في إحياء هذه
القضية المقدسة، فهو الآن في عالم الآخرة يتنعم بنعيم الفردوس نتيجة
ذلك العمل وتلك الخدمة، ولو كان بمقدوره واستطاعته ان يتحدث لقال
لنا: هنيئاً لكم ولكل من يقدم للقضية الحسينية، وان عاشوراء نعمة كبرى
وقد غاب عنكم في هذه الدنيا مقدار الأجر والثواب الذي يعطيه البارئ
عز وجل والذي لا نظير له لمن يخدم الإمام الحسين عليه السلام ويعمل في هذا

(*) كلمة ألقاها المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظله) في
حشود المعزين الذين جاءوا لتقديم التعازي لسماحته بمناسبة يوم العاشر من محرم
الحرام (ليلة الغربة والوحشة لاهل البيت عليهم السلام).



الطريق الالهي المقدس.

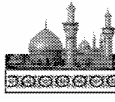
ونحمد الله سبحانه وتعالى ونشكره على البقاء أحياءً لنذكر عاشوراء
آخر ونحظى بتوفيق إحيائه والمشاركة في مجالسه ومآتمه وتقديم
الخدمة فيه.

دعاء الأئمة المعصومين عليهم السلام لمحبي شعائر الإمام

الحسين عليه السلام

وهنا ارى من الواجب عليّ بصفتي احد الموالين لأهل البيت عليهم السلام أن
أقدم جزيل الشكر والامتنان الى جميع الموالين والمحبين وفي كل
أصقاع العالم الذين قدّموا الخدمات المادية والمعنوية والذين شاركوا
وساهموا في إحياء الشعائر الحسينية وتعرّضوا في ذلك الطريق الى
الاذى والصعوبات الجمة، ولقد قمت في سحر هذا اليوم الحزين على
قلوب أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم ومحبيهم بالدعاء الى كل من أقام
الشعائر وأحيائها وذلك اقتداء بالمعصومين فهم عليهم السلام حيث كانوا يدعون
لمحبي إحياء أمرهم وخاصة لأولئك الذين يعملون على إقامة الشعائر
الحسينية، وكما يعلم الجميع فان عمل المعصومين عليهم السلام هو حجة كما
صرّحت بذلك الروايات الشريفة الواردة، وكذلك فإن دعاء المعصوم عليه السلام
للذين يحيون أمرهم من الأعمال المستحبة والمندوبة.

ان الشيء الذي لا غبار عليه هو الدرجات المتعالية التي تكون من
نصيب تلك الفئة التي تحيي شعائر الإمام الحسين عليه السلام، فقد نقلت رواية
أن (ميثم التمار رضوان الله عليه حجّ في السنة التي قتل فيها الإمام
الحسين عليه السلام فدخل على أم سلمة، فقالت: من أنت؟ فقال: أنا ميثم



التمار، فقالت: والله لربما سمعت رسول الله ﷺ يوصي بك علياً في جوف الليل.

فسالها عن الحسين بن علي (عليه السلام)...^(١).

توضح هذه الرواية بشكل جلي المنزلة والمكانة التي حظي بها هذا الرجل الجليل عند النبي الاكرم ﷺ والدعاء له، ويعتبر هذا توفيقاً عظيماً حصل عليه نتيجة مواقفه النبيلة والشريفة وتفانيه وتضحياته في سبيل أهل البيت (عليهم السلام) والوفاء لهم، وعليه فان الدعاء الذي دعا به رسول الله ﷺ لميثم هو قاعدة كلية تشمل جميع من يرفع لواء العترة الطاهرة عالياً، وكذلك فان دعاء بقية الله الاعظم (عليه السلام) سوف يشمل جميع الاشخاص الذين قدموا مختلف الخدمات وتفانوا واخلصوا في سبيل إحياء القضية الحسينية وشعائرها المقدسة، وعادة ما يكون هذا الدعاء متغيراً ويتناسب طردياً مع نسبة ما قدموا من خدمات وتضحيات.

التاريخ يسحق من يعرقل الشعائر الحسينية

ونقول لكل من يقف حجر عثرة امام مسالة سيد الشهداء وي طرح الشبهات ويثير الشكوك ان الله لكم بالمرصاد وسوف تنالون عقابكم في الدنيا قبل الآخرة، وقد ورد في الرويات الشريفة أن رسول الله ﷺ قد أخبر أم سلمة - وكانت إحدى زوجاته الصالحات - عما سوف يجري على الإمام الحسين (عليه السلام) من مصائب وأحداث، وأخبرها كذلك بمقدار الأجر والثواب الذي سوف يحصل عليه محبّوه واعوانه وانصاره ومقيموا

(١) الارشاد: الشيخ المفيد ص ٣٢١.



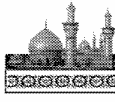
شعائره والذين يحيون امره، وأعلمها أيضاً بالمحاولات التي سيقوم بها المغرضون والأعداء وأولئك الذين يسعون الى الحيلولة دون إحياء عاشوراء ووضع العقبات أمامها، فقد جاء في الرواية أن رسول الله ﷺ قال: «إن أبلّيس (لعنه الله) في ذلك اليوم - يوم استشهاد الإمام الحسين عليه السلام - يطير فرحاً، ويجول الارض كلها بشياطينه وعفاريتة فيقول يا معاشر الشياطين... فاجعلوا شغلكم بتشكيك الناس فيهم وحملهم على عداوتهم وإغرائهم بهم وأوليائهم حتى تستحكموا ضلالة الخلق وكفرهم»^١.

وعلى هذا الاساس فان المشكك في قضية الإمام الحسين عليه السلام وشعائره قد يكون في الظاهر انساناً ولكنه في الحقيقة شيطان، هذا اولاً، وثانياً: ان ما ينبغي لنا فعله تجاه هؤلاء المشككين والمغرضين وكل من يتعامل مع القضية الحسينية بشكل سلبي - سواء كان هذا التعامل عن قصد او عن عمد او عن جهل او علم - هو تقديم النصيحة والموعظة الحسنة إليهم عسى أن تجدي معهم نفعاً ويتراجعون عن طريقهم المعوج هذا.

ونقول لهم بكل صراحة وشفافية: من المؤسف حقاً أن تقوموا بهذه الاعمال الشنيعة والتي تعد لعباً بالنار وتلاعباً بحقائق التاريخ وتزويراً للحقائق والمعتقدات، ومن يتلاعب بالتاريخ ويزوره فان التاريخ لا يرحمه وسوف يسحقه ويفنيه في الدارين.

ليس من الخزي والعار ان تقوم إحدى الدول المجاورة والمحسوبة على عالمنا الاسلامي برفع يافطة كتب عليها (ان يوم عاشوراء هو يوم

(١) الكامل في الزيارات: الباب الثامن والثمانون فضل كربلاء ص ٢٦٥.



فرح وسرور)، الم يكن الإمام الحسين عليه السلام هو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة؟! ولكن عميت ابصارهم وبصيرتهم.

ومن المؤكد فان الذين اتخذوا من يوم عاشوراء يوم فرح وسرور وعيد، هم من اتباع الطاغية يزيد ومن اعوانه، حيث كان يزيد أول من اعلن ان يوم عاشوراء هو يوم عيد وسرور، فانظروا إلى عاقبة هذا الطاغية واعتبروا بها يا أولي الألباب.

ويجب على كل الذين يقفون موقفاً مضاداً وعدائياً من قضية الإمام الحسين عليه السلام، اخذ العبر والدروس من الثلة التي وقفت مع يزيد وعليهم الإسراع في الإنابة والتوبة، عسى الله تعالى ان يغفر لهم ولا ادري هل ان باب التوبة لهؤلاء مفتوح؟ فهذا الموضوع لا يعلمه الا البارئ عز وجل والراسخون في العلم وهم أهل البيت عليهم السلام.

ان التاريخ بين أيدينا يحدثنا عن ان الكثير من أعداء أهل البيت عليهم السلام والنواصب قد تابوا واصلحوا - من امثال الشاعر المعروف الخليعي - واهتدوا الى نور الحق بواسطة الإمام الحسين عليه السلام وماتوا وهم سعداء وفاضوا بنعيم الآخرة.

أزمة اخلاقية

لا شك أن هذه الفئة التي رامت التشكيك في القضية الحسينية والاعلان ان يوم عاشوراء يوم عيد، قد وصلت الى طريق مسدود ونفق مظلم لا خروج منه، لذا فقد تراها تتشبث بكل شيء من اجل البقاء فهي تعاني في الواقع من أزمة في الاخلاق وفي المبادئ والقيم. واما موقفهم غير الواعي في اعلانهم عن سياسة محاربة الإمام



الحسين عليه السلام وقضيته المقدسة فلن يخرج إلا بنتيجتين وهما:

النتيجة الاولى: وهي من المستحيل أن تكون لهم المقدرة على محو وطمس آثار ومعالم القضية الحسينية مهما اجتهدوا وعملوا، وهذا التأكيد جاء على لسان النبي الاكرم صلى الله عليه وآله حيث قال: «وليجتهدن أئمة الكفر واشياع الضلالة في محو وتطميمه، فلا يزداد أثره إلا ظهوراً وأمره إلا علواً»^١.
وها نحن نرى بأم أعيننا كيف ان هذه القضية تزداد حيوية وتفاعلاً يوماً بعد آخر وأضححت تحيي في اقصى بقاع المعمورة.

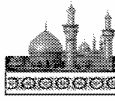
النتيجة الثانية: هي العاقبة والمصير الاسود الذي ينتظرهم في الدنيا، وحساب الآخرة أشد وأعظم، وقد ورد في القران الكريم آية تتحدث عن جبرائيل فتقول ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾^٢، وقد قال الإمام الرضا عليه السلام «ان إبراهيم عليه وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام لما وضع في كفة المنجنيق غضب جبرئيل، فاوحى الله عز وجل إليه: ما يغضبك يا جبرئيل؟ قال: يارب خليلك ليس من يعبدك على وجه الارض غيره سلطت عليه عدوك وعدوه؟ فاوحى الله عز وجل اليه: إنما يعجل الذي يخاف الفوت، فاما أنا فإنه عبدي أخذه إذا شئت. قال: فطابت نفس جبرئيل عليه السلام»^٣.

ويدلّ هذا الحديث بشكل لا التباس فيه أن الله سبحانه وتعالى هو الذي ينتقم من أعداء اوليائه وقتليهم، ولاشك فان الإمام الحسين عليه السلام

(١) الكامل في الزيارات: ص ٢٦٠.

(٢) سورة التكوير، الآية: ٢٠ و ٢١.

(٣) الامالي: للصدوق المجلس السبعون ص ٤٥٥.



هو من أفضل أولياء الله تعالى، ولذا فان الله لهم بالمرصاد، وان اعمال هؤلاء الظلمة والمحاربين له ﷺ سوف تنعكس مردودها عليهم سلبياً، ومن الممكن ان لا يحدث لهم شيء في الوقت الحاضر ولكن سوف يشاهدون عاقبة عملهم المخزي هذا في كل الاحوال آجلاً ام عاجلاً.

رزية الإمام الحسين ﷺ لامثيل لها

ولاشك فان الرزية التي حلت بالإمام الحسين ﷺ هي رزية عظيمة ومصاب جلل، ولم تكن فاجعة جرى فيه قتل أحد أولياء الله صرفاً وانتهى الامر، إذ إن التاريخ يحدثنا عن وقوع بعض من تلك الفجائع على أولياء الله من أمثال النبي يحيى والنبي زكريا ﷺ حيث استشهادا بطريقة فجیعة، ولكنهما لم ينالا ما ناله سيد الشهداء ﷺ، اذن فان واقعة الطف وشهادة الإمام الحسين ﷺ اعلى مراتب ومنازل من كونها واقعة وشهادة احد أولياء الله تعالى، فهي مصيبة لا مثيل لها حلت بهذا الكون وليس على الارض فحسب وإنما حزننا عليها حتى الخلائق في السماء، وهذا ما صرّحت به الروايات الشريفة الواردة ومنها:

قال الإمام الصادق ﷺ: «لما كان من أمر الحسين ﷺ ما كان ضجّت الملائكة الى الله بالبكاء وقالت: يفعل هذا بالحسين صفيك وأبن نبيك؟ قال: فأقام الله لهم ظلّ القائم ﷺ وقال: بهذا أنتقم لهذا»^١.

وقال رسول الله ﷺ «والذي بعثني بالحق نبياً إن الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الارض»^٢.

(١) اصول الكافي: ج ١ باب مولد الحسين بن علي ﷺ ص ٤٦٥ ح ٦.

(٢) إعلام الوری: الفصل الثاني ذكر بعض الأخبار من طرق الشيعة ص ٤٠٠.



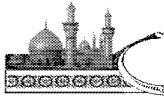
اذن فان الإمام الحسين عليه السلام هو عظيم في السماء قبل الارض، وهذه العقيدة تعمّقت في الوجدان الشيعي، ولذا فقد اخذ الجميع يتزاحم في أداء بعض الحقوق لهذا الإمام الذي قدّم الشيء الكثير للامة وضحى بنفسه الزكية واهل بيته من اجلها ومن اجل رفعتها وسمّوها. ومن هنا يجب ان ينطلق الكل من مسؤولياتهم ويشخصوا الوظيفة التي تناط بهم في قبال الترويج وإحياء القضية الحسينية، فعلى سبيل المثال فان الوظيفة الدينية والشرعية تحتم على الاشخاص الذين منّ الله عليهم بالمال والثروة الانفاق في سبيلها لان عملهم هذا محبب ويريده الله عز وجل منهم وأهل البيت عليهم السلام، هذا بالاضافة لما سوف ينالونه من التوفيقات في هذه الدنيا وما سوف يحصلون عليه من مقاعد صدق عند مليك مقتدر في الدار الآخرة.

وصايا الى الشباب

هناك وصيتان أحبّ ان أوجهها الى الشباب وهما:

اولاً: إن عاشوراء عبّرة. ومعنى ذلك هو: إن عاشوراء هو يوم حزن وبكاء وجزع ولطم على الرؤوس، ولذا يجب عليكم إحيائها بالشكل الذي يتناسب مع عظمتها وحزنها، وكذلك عليكم الابتعاد عن المحرمات التي شخّصها الفقهاء الأعلام والمراجع العظام في أدوار حياتكم.

ثانياً: ان عاشوراء عبّرة. ومعنى هذا هو إن عاشوراء ثقافة غنية ومدرسة متكاملة يجب عليكم أخذ الدروس منها، واحد الدروس التي يمكن استلهاها من تلك الواقعة هو الدرس الذي قدّمه علي الأكبر عليه السلام في التضحية والإباء والطاعة لأبيه عليه السلام، فهو ذو مقام عظيم وصاحب عصمة



كبرى ولكن عصمته أقل رتبة من عصمة المعصومين الاربعة عشر عليهم السلام، فقد خاطبه الإمام الصادق عليه السلام في احدى زياراته للإمام الحسين عليه السلام بقوله: «وجعلك الله من الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»^١.

لقد كان علي الأكبر عليه السلام هو اول من استشهد في واقعة الطف، لذا فقد كان إحساسه بالعطش أقل من بقية اهل بيت الحسين عليه السلام ولكنه عند ذهاب الى ساحة المعركة وقاتل رجع الى ابيه الحسين عليه السلام وقال له «يا أبة العطش قد قتلني وثقل الحديد أجهدني»^٢.

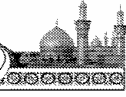
ويمكن من خلال الروايات الواردة والأدلة الموجودة الاستدلال أن عمل علي الأكبر عليه السلام هذا جاء ليقبل من وقعة الصدمة على الإمام عليه السلام بعد استشهاده، وهو أيضاً ما قامت بها عقيلة بني هاشم الحوراء زينب عليها السلام حيث ذهبت هي أولاً الى جسد علي الأكبر عليه السلام قبل حضور الإمام عليه السلام الى جانب جسد ابنه المقطع ارباً ارباً، وهذا دليل على ما تحمله الحوراء زينب عليها السلام من وعي وعظم مسؤولية.

وينبغي للشباب ان يطالعوا سيرته وحياته بدقة وتامل، وخاصة تعامله مع أبيه الإمام الحسين عليه السلام والافتداء به وجعله أسوة لهم في جميع تصرفاتهم وحركاتهم.

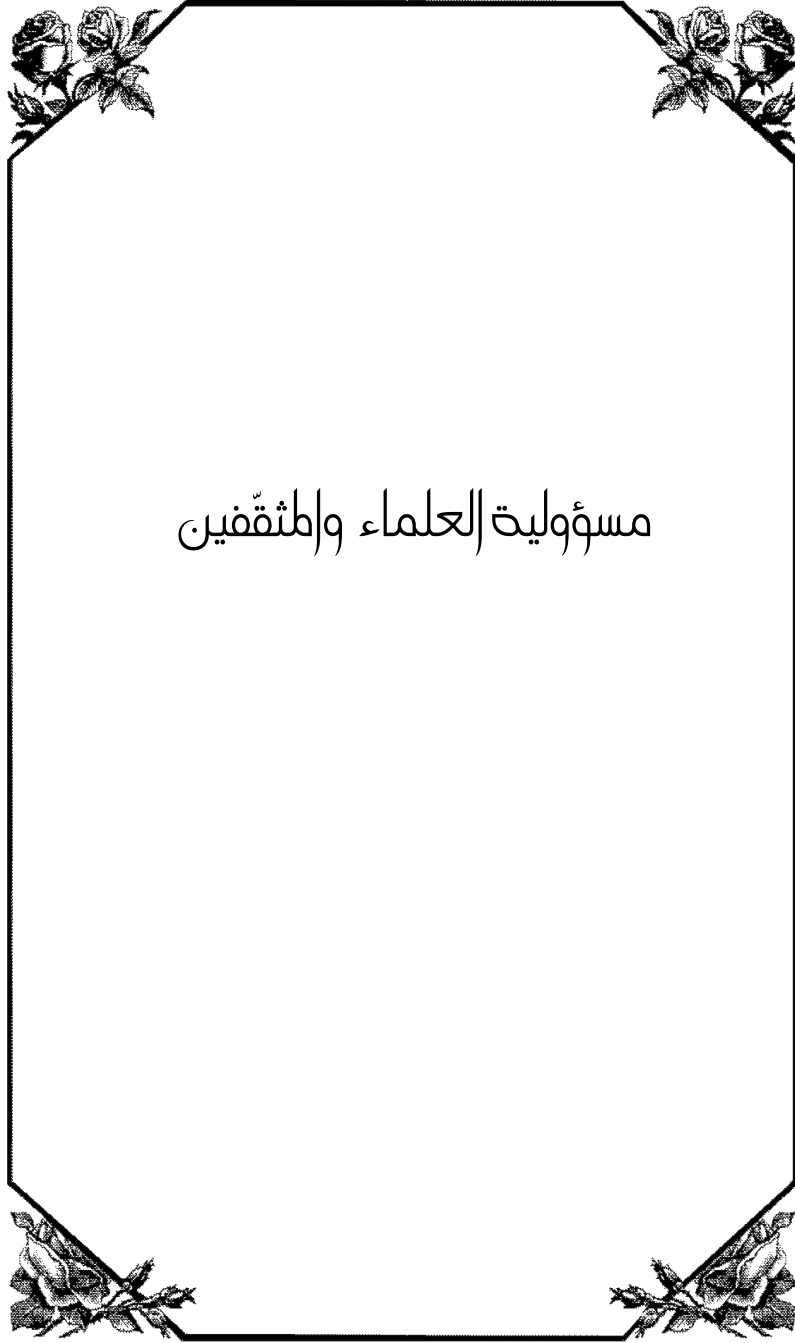
وكذلك هناك وصية أحب أن اقوالها للآباء وهي يجب عليكم ان تتقلدوا مقام التربية والسير ضمن هذا المنهج والسلوك وليس تبوء مقام الرئيس والسلطان الحاكم والذي يامر وينهى دوماً، وذلك تبعاً لما جاء

(١) بحار الانوار: ج ٩٨ باب زيارته عليه السلام المطلقة و... ص ٢٤٢.

(٢) بحار الانوار: ج ٤٥ ص ٤٢.



في القرآن الكريم والروايات والأحاديث الواردة عن الأئمة الاطهار عليهم السلام.
أسأل الله عزوجل ان يوفقنا وإياكم بان نكون دوماً من الساعين الى
إحياء وتعظيم القضية الحسينية وشعائرها المقدسة.
وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

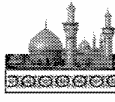


مسؤولية العلماء واطثقفين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين
الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين الى قيام يوم الدين*
لا شك في أن شهر محرم الحرام هو اختبار لجميع أبناء الطائفة
الشيعية الحقّة بشكل عام، وللعلماء الأعلام وأهل العلم بشكل خاص، اذ
يجب على كل فرد منهم أن يضطلع بالمسؤولية المناطة به في إحياء
الشعائر الحسينية كل من مكانه ومركزه، وبهذا تتكامل المسؤوليات
وتتعاضد الأدوار، في طريق حمل مشعل الهداية وإيصال المبادئ والقيم
المثلى التي ضحّى لأجلها الإمام الحسين عليه السلام إلى الإنسانية جمعاء.
إن الدنيا لاتعدو أن تكون مجرد جسر للعبور إلى الآخرة؛ ولذا يجب
على الشخص استثمار جميع لحظات عمره بالعمل الصالح والثبات على
الحق، وفي هذا السياق تبدو أهمية المناسبات الدينية أكثر تجلياً، ومن
هذه المناسبات التي يجب التزوّد من محطاتها: شهر محرم الحرام، حيث

(* القى المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظلّه العالی) هذه
الكلمة القيمة في جمع من العلماء وأساتذة الحوزة العلمية وأئمة الجمعة والجماعة
والمبلغين، وذلك بمناسبة حلول شهر محرم الحرام لسنة ١٤٢٨ للهجرة.



نرى أن الكثير من الناس عاشوا أيام محرّم لسنوات مديدة من عمرهم ولم يستفيدوا منه شيئاً ولم ينالوا منه ذلك التوفيق والثواب المرجو، بينما هناك من حصل من ذلك الشهر الفضيل أنواعاً من البركات والخيرات. إنّ هذا الشهر هو شهر الامتحان والتمحيص وخاصة لأهل العلم والفضيلة، إذ يجب عليهم الالتزام بالتقوى والایمان والعمل الدؤوب، وأن يكونوا فيه حراساً أمناء للقيم والمفاهيم الإسلامية في وجه التشوية والتحرير والضلال، وأن يسعوا بكلّ وجودهم لكسب ونيل رضا الأئمة المعصومين عليهم السلام.

وعلى الإنسان أن يقف أمام ثقل المسؤولية والمهمّة التي أنيطت به في هذه الحياة دونما إفراط أو تفريط، ويتوفّر على معايير تكون بمثابة دلالات كي لا يضلّ الطريق، ومن الواضح أنّ القرآن الكريم والعترة الطاهرة عليهم السلام هما الكفيلان في تعيين ذلك، وأفضل من يفسّرهما ويفهمهما هم المراجع والعلماء الأعلام، الذين وهبهم الله علماً نافعاً وعقلاً راجحاً. و«على العوام أن يقلدوهم».

إن هذا الشهر هو فرصة طيبة ومناسبة لأهل العلم للتزوّد من فوائده ومن زخمه المعطاء الذي لا يمكن تثمينه، والعمل على نهج وخطى سيد الشهداء عليه السلام وهو مقدمة ضرورية ليواصلوا عملهم ومسيرتهم بثقة وعزيمة ويتجنبوا الوقوع في دائرة إضراره؛ في «إن الله يغفر للجاهل سبعين ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنباً واحداً»^١.

ومما يجدر ذكره في هذه المناسبة الأليمة أن المسؤولية التي يتحمّلها

(١) اصول كافي: ج ١ ص ٥٩.



المبلغون جسيمة وعظيمة وخطيرة، بيد ان المسؤولية التي تقع على عاتق الفقهاء والعلماء الأعلام هي أكبر بكثير؛ لكونهم يمثلون الامتداد الطبيعي للائمة الأطهار عليهم السلام ومن ثم فإنهم يمتلكون القدرة على الإصلاح في هذه الأمة، ومن هذا المنطلق قيل: إذا صلح العالم صلح العالم وإذا فسد فسد العالم، وهذا ما أشار اليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله حينما قال: «صنفاً من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي وإذا فسدوا فسدت أمتي، قيل: يارسول الله ومن هم؟ قال: الفقهاء والأمرء»^١.

إننا اليوم وفي هذه البرهة الزمنية بأمرس الحاجة الى عملية التدبّر العميق والوعى في الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام التي تخصّ وتدور محوريتها حول قضية الإمام سيد الشهداء عليه السلام وزيارته وشعائره، ومن تلك الروايات التي تحمل مضامين متعالية وفيها مداليل واضحة وشاخصة للأمة: الرواية الواردة عن إمامنا الصادق عليه السلام حيث جاء في صحيحة حسين بن عطية نقلاً عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام انه قال في إحدى زيارته للإمام الحسين عليه السلام: «لعن الله أمةً خذلتك، ولعن الله أمةً خذلت عنك»^٢.

وقد تحدث رسول الله صلى الله عليه وآله في واقعة الغدير بمثل ذلك فقال عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «اللهم وانصر من نصره، واخذل من خذله»، وكذلك فقد جاءت قضية الخذلان في إحدى الزيارات المنصوص عليها في الغديرية.

(١) تحف العقول: ما روي عنه صلى الله عليه وآله في قصار المعاني ص ٥٠.

(٢) الكامل في الزيارات: زيارة اخرى ص ٢١٦.

ومن الواضح أن هناك فرقاً بين كلمة «خذلتك» وبين كلمة «خذلت عنك»، فقد صرّح العلامة المجلسي رحمته في موسوعته (بحار الأنوار) قائلاً: ان الخذلان بمعنى ترك نصرة المظلوم، وأما «خذلت عنك» فمعناها عدم نصرة الناصرين للمظلوم ومطالبتهم بعدم نصرته.

وتوجد في جملة «خذلت عنك» نقطة دقيقة يجب الالتفات إليها وهي: أنه قد يكون الشخص مصداقاً لما تضمنته هذه الجملة وهو غير متعمّد وقاصد، فعلى سبيل المثال: قد يعمل على إخافة المشاركين في عزاء الإمام الحسين عليه السلام من دون عمد، فيترجم تلك العبارة إلى حالة واقعية، ومن ثمّ يستوجب اللعنة الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام.

وبالطبع فإن مصاديق هذه الجملة والعبارة كثيرة ومتعددة منها، إلحاق الأذى بالمعزّين، والاستهزاء بهم، والتنديد ببعض الشعائر وتحريمها، والتقايس عن نصرة الإمام عليه السلام سواء في يوم عاشوراء أو ما بعده، ومن هنا يطلب الإمام الصادق عليه السلام من الله سبحانه وتعالى لعن هؤلاء بكل أصنافهم ومراتبهم.

ونجد الإمام الصادق عليه السلام يقوم في إحدى الزيارات التي يزور بها جدّه والتي يقول عنها المرحوم الشيخ الصدوق أنها من أصحّ الزيارات بالصلاة عليه ثلاث مرات ويلعن مخالفه ثلاث مرات، وهذا ناشئ عن مخالفة القوم للإمام المعصوم المفترض الطاعة، وسوف يبقى هذا الخط الفكري والمنهجية التي رسمها الإمام الصادق عليه السلام مستمرة وماثلة إلى آخر يوم من أيام هذه الدنيا الفانية.

إننا لا نلتمس المعاذير لهؤلاء، وإذا أردنا بيان حقيقة فلا بد من القول: إن الأفعال هذه تجلب الخسران في الدارين وتوجب نزول البلاء



والغضب الإلهي عليهم، وتسلب منهم راحة البال والاطمئنان، ولعل كلمة واحدة يطلقها شخص ما على المعززين بمصاب الإمام الحسين عليه السلام توجب تراكم البلايا والمشاكل، ونزولها عليه تترى من حيث يحتسب أو لم يحتسب.

إنّ هذه العبائر والزيارات المتعددة التي اختصّ وانفرد بها الإمام الحسين عليه السلام دون بقية الائمة الأطهار عليهم السلام، لا تدلّ بحال من الاحوال على أن الإمام الحسين عليه السلام افضل من جده رسول الله صلى الله عليه وآله أو أفضل من أبيه أمير المؤمنين علي عليه السلام أو من أمه الزهراء عليها السلام أو من أخيه الحسن المجتبي عليه السلام، وإنما هي خصوصية جعلها الله عز وجل لهذا الإمام الهمام.

الحسين عليه السلام القدوة

إن الإنسان خليفة الله في هذا الكون الرحب، ومن هنا يجب عليه أن يكون في قمة مكارم الاخلاق والسجايا المتعالية، وقد وضعت الشريعة المقدسة أساليب مختلفة ومتعددة لتهديب الإنسان والسير به نحو الكمال المنشود، ومن تلك الطرق طريقة القدوة، فالإمام الحسين عليه السلام الذي بلغ مراتب سامية من الكمال، أضحي قدوة لمن أراد السلوك إلى الله عز وجل.

وبالطبع فإن هذه القضية نراها تتجلى في الأحاديث القدسية والأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرة عليهم السلام، وبذلك فقد أصبح الإمام الحسين عليه السلام استثنائياً حتى بالنسبة الى الأحكام الدينية والمسائل الفقهية.

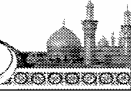
فعندما يراجع الانسان المسائل والأحكام الفقهية مثلاً يرى أن أكل

التراب حرام حتى في قضية الاستشفاء ولكن نرى أن المشهور بين الفقهاء والعلماء الأعلام هو جواز تناول من تراب قبر الحسين عليه السلام بل وإنه فيه الثواب والشفاء، وهذا لا يقتصر حتماً على القبر وإنما يتعداه ليصل الى أربعة أو خمسة فراسخ عن القبر الشريف، وهذه الفضيلة جعلها الباري سبحانه وتعالى للإمام الحسين عليه السلام دون بقية المعصومين عليهم السلام.

وقد كان لعاشوراء والمآسي والفجائع التي حلت في ذلك اليوم والتضحيات التي قدّمها الإمام سيد الشهداء عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، دور ريادي في هداية الناس وسوقهم الى الدين الاسلامي الحنيف وإنقاذهم من الجهالة والضلالة وتاصيل الأخلاق والمبادئ الإنسانية، وأصبحت كربلاء قضية متجذرة في الوعي الإسلامي ساهمت في إحداث نوع من الارتقاء في تشخيص الظلم والفساد، وباتت مع تقادم الزمن أكثر رسوخاً في وجدان وعقل الأمة.

خط الإمام الحسين عليه السلام علامة فارقة

كما اشرنا في بداية الحديث فان القضية الحسينية قضية استثنائية وربانية، فهي فوق قوانين الطبيعة وقوانين الكون، وقد سعى الكثير من الطغاة والظالمين للوقوف أمام عجلتها، والحيلولة دون إقامة شعائرها، ومحاربتها بكل الوسائل والطرق الممكنة، وعادة ما كان العقاب ينزل على أولئك في الدنيا قبل الآخرة، ويظهر ذلك البلاء للعيان على الرغم من أنهم يريدون إخفاءه، وأحد الشواهد التي ذكرها التاريخ على ذلك الموضوع هو الطاغية الحجاج الذي طالما وقف موقف الندم من الإمام



الحسين عليه السلام وقضيته المقدسة، ولولا الحديث الذي ذكره عنه الإمام علي عليه السلام والذي قال فيه (إيه أبا وضحة) لما عَلِمَ بأفعاله المشينة تلك أحدٌ من الخلق. فعندما يراجع الإنسان المصادر التاريخية لا يرى شيئاً يذكر في هذا الصدد. فقد راجعت بنفسني مصادر من قبيل تاريخ ابن الأثير والطبري وابن خلدون والسيوطي ولم أشاهد أيّ عبارات تتضمن ذلك، وموقفه السلبي تجاه الإمام الحسين عليه السلام وزواره وشعائره، وقد أُصِيبَ هذا الطاغية بمرض نتيجة العقاب الإلهي فخرس الدنيا والآخرة وأصبح عبرة لمن اعتبر.

وأما في العصور المتأخرة فقد عمد الشاه بهلوي الأول على محاربة الشعائر الحسينية، وكان الناس يقيمون تلك الشعائر بالخفاء والسرية التامة بعيداً عن أعين جلاوزته، ففي سوق مدينة قم مثلاً كان هناك الكثير من الذين يقيمونها في التاسع والعاشر من محرم الحرام وذلك قبل أذان الفجر خوفاً من البطش بهم، وكان هناك أحد أولئك الجلاوزة والذي كان عمله حراسة ذلك السوق لسنوات طويلة وكان يراقب الناس الذين يقيمونها، حيث يصعد الى أعلى السوق وينظر الى البيوت المحيطة به، وفي يوم العاشر صعد الى السطح، وإذا به يرى أحد البيوت تقيم هذه المراسيم فأراد بسرعة إخبار بقية الشرطة بذلك كي لا يستطيع أحدٌ الهرب، وبينما هو كذلك وإذا به يسقط من أعلى السطح على بطنه، فنقلوه إلى المستشفى وكان يصرخ بصوت عالٍ كأنه صوت بعض الحيوانات المتوحشة، وظلّ فترة وجيزة ثم هلك، فكان هذا مصيره وعاقبته في الدنيا، وفي الآخرة يساق الى جهنم وبئس المصير.

ولا يظنّ الظانّ بأن الله سبحانه وتعالى يغفل عن أولئك الذين قاموا



بظلم مولانا الحسين عليه السلام ومحاربتته ونصب العدا له، وهكذا كل من حارب قضيته وشعائره من قريب أو بعيد، حتى وإن كان ذلك الظلم بمقدار يسير. ومن نماذج ذلك ما جاء في الخبر أنه: سأل عبد الله بن رباح القاضي أعمى عن عمائه، فقال: كنت حضرت كربلاء وما قاتلت، فممت، فرأيت شخصاً هائلاً قال لي: أجب رسول الله، فقلت: لا أطيق، فجرّني إلى رسول الله، فوجدته حزينا وفي يده حربة وبسط قدّامه نطع، وملك قبله قائم في يده سيف من النار يضرب أعناق القوم وتقع النار فيهم فتحرقهم ثم يحيون ويقتلهم أيضاً هكذا، فقلت: السلام عليك يا رسول الله، والله ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت سهماً. فقال النبي: ألسنت كثرت السواد؟ فسلمني وأخذ من طست فيه دم فكحلني من ذلك الدم، فاحترقت عينا، فلما انتبهت كنت أعمى^١.

لا شك أن الرؤيا بشكل عام لا يترتب عليها أثر فقهي ولا تعدّ حجة إلا في موردين، الأول هو الرؤية الصادقة التي تطابق الواقع، من قبيل مشاهدة الشيخ الخضر للإمام علي عليه السلام وهو يعطيه قلماً، فلما استيقظ الشيخ رأى القلم بيده، وكذلك هذه القصة التي سردناها، والثانية الرؤية المطابقة للآيات والروايات من أمثال أن سلمان المحمدي في الجنة أو أن الشمر في النار.

وعلى أي حال: يجب على الإنسان الحذر من المساس بالقضية الحسينية، والعمل بكلّ وسعه وطاقته من أجل إحيائها، إذ لم تعد مجرد شعائر وطقوس بقدر ما أصبحت مسألة مصير.

(١) بحار الانوار: ج ٤٥ باب ٤٦ ما عجل الله به من قتلة الحسين صلوات الله عليه ص ٣٠٢.



الدنيا من منظار أهل البيت عليهم السلام

قد يتكلم الإنسان بكلمة أو موقف ضد القضية الحسينية، فتؤدّي به الى الهلكة، وأحياناً نرى أن الحكمة الالهية تقتضي بقائه في الدنيا ليدوق العذاب والهوان والخزي ومن ثم العذاب الأكبر والأعظم الذي ينتظره في يوم القيامة، وكلما ظلم هذا الإنسان فإن الله يريه بمقدار ظلمه حتى وإن كان (مثقال ذرة) حسب تعبير القرآن الكريم، وقد يرجئ البارئ عز وجل ذلك العذاب إلى يوم المحشر؛ لأن الدنيا لا اعتبار لها عنده سبحانه وتعالى «ان الله لم ينظر إلى الدنيا منذ أن خلقها»، ولعلّ الدنيا في نظر الانسان هي المال والجاه والسمعة، وأما في نظر الائمة المعصومين عليهم السلام فهي لا تساوي شيئاً، وقد عبر عنها أمير الكلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بكلام سوف يبقى فصحاء وبلغاء التاريخ عاجزين عن الإتيان بمثله، فقد وصفها عليه السلام أنها: «عراق خنزير بيد مجذوم»^١ فهذا هو وصف الدنيا وقيمتها عند الإمام عليه السلام.

إن هذا المفهوم العام الذي ذكره عليه السلام تتحقق مصاديقه حتى وإن كان طلب الدنيا في الحلال والسعي للحصول على ملذّاتها من الطرق الصحيحة فإن هذا بحدّ ذاته هو (عراق الخنزير) فكيف إن كانت من الحرام.

وكان الإمام عليه السلام قد جسّد قوله هذا بصورة عملية قبل شهادته بساعات حين جاءت ابنته أم كلثوم وقدمت اليه طبقاً فيه قرصان من خبز الشعير وقصعة فيها لبن وملح خشن، فلما نظر إليه وتأمّله حرّك رأسه وبكى بكاءً شديداً وقال: أتريدين أن يطول وقوفي غداً بين يدي الله

(١) غرر الحكم: ج ١ ص ٢١٧.

عز وجل يوم القيامة، ما من رجل طاب مطعمه ومشربه وملبسه إلا طال وقوفه بين يدي الله عزّ وجلّ يوم القيامة.^١

يجب على أهل العلم ان يضعوا هذا الحديث نصب أعينهم وان لا يغفلوا عنه، ويستحضروه في كل شؤون حياتهم.

وهذه قاعدة كلية ليس لها استثناء عند أهل بيت الوحي والرسالة ﷺ وهناك قصة يذكرها لنا التاريخ منقولة في المصادر المعتبرة، إذ يُروى أنه مرّ سفيان الثوري على المسجد الحرام ذات يوم فرأى الإمام الصادق عليه السلام وعليه ثياب كثيرة القيمة حسان، فقال في نفسه: والله لا أتينه ولأعاتبه على لبس مثل هذه الثياب. فدنا من الإمام عليه السلام وقال له: يا بن رسول الله ما لبس رسول الله ﷺ مثل هذا اللباس ولا عليّ عليه السلام ولا أحد من آبائك! فقال ابو عبد الله: ما ترى عليّ من ثوب إنما ألبسه للناس. ثم اجتذب يد سفيان فجرّها إليه ثم رفع الثوب الأعلى وأخرج ثوباً تحت ذلك على جلده غليظاً فقال: هذا ألبسه لنفسى.

المراجع العظام ونظرتهم المتأنية في القضايا وخاصة في

قضية الإمام الحسين عليه السلام

لا شكّ ولا ريب أن المرجع يعلم مدى المسؤولية الملقاة على عاتقه والخطورة المترتبة على عملية إفتائه في مسألة ما، ومن هذا المنطلق فإنه لا يفتي بشيء إلا من بعد أن يحصل له الاطمئنان الكافي في المسألة، فإذا لم يحصل له ذلك الاطمئنان فإنه يقول (على الأحوط بل الأقوى) أو

(١) بحار الانوار: ج ٤٢ ص ٢٧٦.



(على الأحوط إن لم يكن الأقوى) ومن قبيل تلك الألفاظ، وهذه الدقة ناتجة من الخوف الإلهي والتقوى والورع، وهناك قصة لا بأس بذكرها هنا سمعتها من والدي المكرم قدس سره، اذ قال: حدث مرة أن اجتمع عدد من المراجع والأعلام بحضور المرحوم آية الله العظمى القمي لبحث إحدى المسائل وكنا نجتمع يومياً لمدة ثلاثة أسابيع متواصلة نبحثها من كل جوانبها، ولكن بعد كل تلك الفترة خرجنا (بالاحتياط)؛ وهنا يعلم بوضوح مسألة الدقة اللامتناهية من قبل هؤلاء الأعلام الكبار في القضايا الشرعية وابتعادهم عن مسألة التفريط والإفراط في الأمور الدينية والدنيوية.

جاء رجل إلى الإمام الصادق عليه السلام فسأله عن الطعام الذي تقع فيه الفأرة والنهي عن أكله فقال السائل: الفأرة أهون عليّ من أن أترك طعامي من أجله.

فقال له الإمام الصادق عليه السلام: إنك لم تستخفَّ بالفأرة وإنما استخففت بدينك، إن الله حرم الميتة من كل شيء.^١

لقد أولى المراجع العظام والعلماء الأعلام أهمية قصوى بالنسبة لقضية الإمام الحسين عليه السلام وشعائرها المقدسة، وهناك اتفاق على ذلك من جميع مراجع هذه الطائفة الحقة، فمن يرى من هؤلاء أنها جائزة ومستحبة ومنهم من يقول بالوجوب، والبعض الآخر يقول بالوجوب الكفائي، ومنهم من يصرح بالوجوب العيني.

وبطبيعة الحال فإن العمل في سبيل إعلاء الأحكام الإلهية وترويجها يتطلب تقديم التضحيات الجسام؛ ولذلك فقد قدم رسول الله ﷺ وعترته

(١) الوسائل: ج ١ باب ٥ من ابواب الماء المضاف ح ٢٠.

الطاهرة أنفسهم في ذلك الطريق وسيضحى مولانا صاحب العصر والزمان بنفسه الطاهرة لإقامة هذه الأحكام وترويجها في أصقاع المعمورة كلها كما صرّحت بذلك الروايات الصحيحة الواردة.

وبما أن المراجع العظام هم من يكمل الطريق والمشوار الذي بدأ به رسول الله ﷺ والائمة الاطهار عليهم السلام في عملية الهداية والتبليغ؛ لذا فإن قضية الإمام الحسين عليه السلام وشعائرها تخص هؤلاء ولا يحق لأحد البت فيها، فإذا سئل أحد عن العزاء والمراثي فعليه التزام جانب الصمت إذا لم يعلم الجواب؛ لأنّ الجواب غير الصحيح يسبب نتائج عكسية.

وظيفة المبلغ

لا شك أنّ هناك مسؤولية يجب على المبلغ تحمّلها في شهري محرم الحرام وصفر وهي السعي دوماً لخدمة هذه القضية المقدسة بجميع الأشكال والأوجه الممكنة، وأن يزيد من معلوماته ومطالعاته في كل سنة والعمل على مواكبة الأحداث والتطورات ليتسنى له تقديم الفائدة المطلوبة والضرورية، وهناك مقياس في عملية التبليغ يجب أن يضعه نصب عينه، وهذا المقياس يحتوي على ثلاث درجات تبين مقدار النجاح الذي حقّقه في عمله المقدس وهي كالتالي:

١. عليه أن يتمتع بدرجة من التفاني وأن يقدم أقصى ما عنده من الإخلاص إلى الإمام سيد الشهداء عليه السلام.
٢. بذل أعلى المراتب والدرجات من الجهد والسعي الحثيث طيلة هذين الشهرين، فكلما كان جهده كبيراً كان أجره كثيراً ومضاعفاً.
٣. مقارنة النتائج والثمرات التي حصل عليها ودرجة التأثير التي



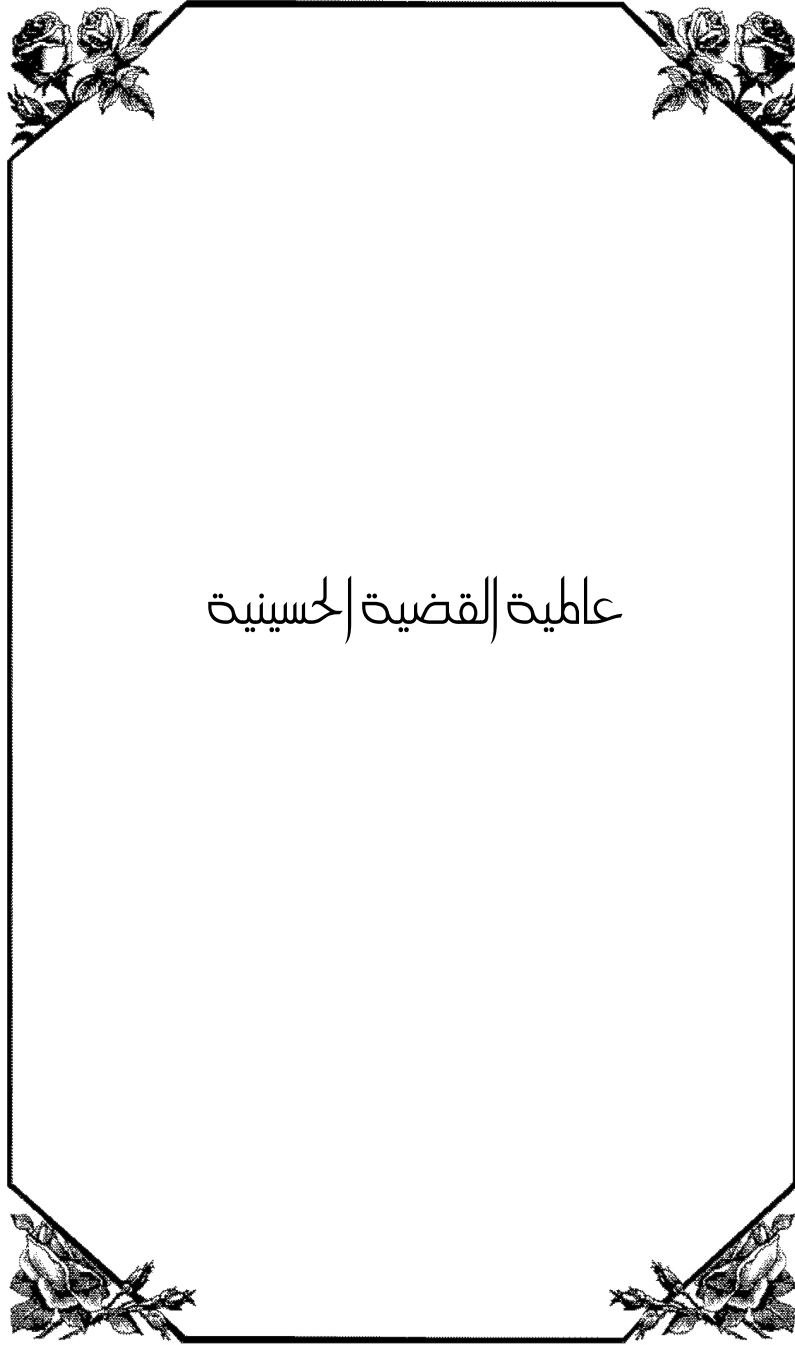
تركها على المتلقي والمستمع «إنا نكتب ما قدموا وآثارهم»، والانطلاق من عمق المسؤولية في الدعوة والحركة، وكل هذا يؤدي بالنتيجة الى رضا البارئ عز وجل ورضا مولانا صاحب العصر والزمان عليه السلام.

الاستفادة من فرصة العمر

قبل فترة جاءني أحد الإخوة التجار وتحدثت عن أحد أصدقائه الخيرين وقال عنه إنه كان يساعد الفقراء والمعوزين ويدعم المجالس الحسينية بالمال والجهد، فتوفّي قبل مدة قصيرة، وفي إحدى الليالي شاهدت في المنام أنه جالس في مكان وقد وضع رأسه في حجره في حالة من الحزن والكآبة، وكنت أتوقّع أن أراه في جنات الفردوس نتيجة لتلك الأعمال الخيرة التي كان يقوم بها، فسألته: لماذا أنت على هذه الحالة؟ فأجابني: إنني كنت أستطيع أن أستفيد من فرص الحياة بشكل أحسن ولكنني قصرت في هذا المضمار.

إذن - ومن هذا المنطلق - يجدر بنا أن نسعى للاستفادة من فرص العمر واستغلالها بأفضل وجه ممكن، وبذل قصارى الجهود في إرشاد وهداية الأمة وتعريفها بالإسلام وتعاليمه، والإجابة على الشبهات والانحرافات التي تطرح هنا وهناك بين الفينة والآخرى، والتعريف بالأئمة الأطهار عليهم السلام وسيرتهم الناصعة وتضحياتهم في سبيل الله سبحانه وتعالى. لمثل هذا فليعمل العاملون.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا وإياكم في هذا الطريق وخدمة أهل البيت عليهم السلام، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.



عاطية القضية الحسينية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين
الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين*.
عظّم الله أجورنا وأجوركم بمصابنا بالإمام الحسين عليه السلام وجعلنا
وإياكم من الطالبين بثأره مع ولده الإمام المهدي عليه السلام.

في البدء أعزّي الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام في هذا اليوم
المؤلم والحزين على قلوب أهل البيت عليه السلام؛ فهو المعزّي وولي دم جدّه
الإمام الحسين عليه السلام الذي قُتل مظلوماً صابراً محتسباً، وهو المدّخر
للإنتقام من القتلة الظلمة في الدنيا، وإلاّ فإنّ الانتقام مهما بلغ فهو لا يجبر
الجريمة الكبرى التي أرتكبت بحقّ الإمام الحسين عليه السلام في يوم العاشر
من محرّم الحرام.

كما أتقدّم بالتعازي إلى جميع المسلمين في كافّة أنحاء العالم وإلى

(*) المحاضرة القيمة التي القاها سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد صادق
الحسيني الشيرازي عليه السلام في ليلة الحادي عشر من محرّم الحرام لسنة ١٤٣٣ق في جمع
حاشد من المواكب والهيئات الحسينية التي جاءت لتقديم التعازي لسماحته بمصاب
جده الإمام الحسين عليه السلام.



المؤمنين والمؤمنات الذين عملوا بكل إمكانياتهم المختلفة لإقامة مراسيم العزاء وإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا القليل من الجميع بأحسن قبول وأن يجعله في ميزان أعمالهم في يوم الحساب.

من مآسي عاشوراء

نقل الشيخ ابن قولويه في كتاب كامل الزيارات - الذي يعد من المصادر الشيعية المهمة والمعتبرة - برقم ٢٢٠ و ٣٥٧ روايتين مفصلتين حول القضية الحسينية المقدسة نشير إليهما باختصار.

وقد وردت الروايتان في المصادر الشيعية الأخرى ومنها كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمته الله ويمكن للجميع الوصول إليهما بسهولة وقراءتهما، ومن المناسب الإطلاع عليهما والتمعن في كل كلمة وردت فيهما.

الرواية الأولى سندها مروى عن أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام المقربين وهو (ليث المرادي) المكنى بأبي بصير والمعروف بالوثاقة لدى الفقهاء.

حضر أبو بصير يوماً عند الإمام وتشرف بلقيه، فتحدث الإمام الصادق عليه السلام عن واقعة الطف الأليمة وما جرى على أهل البيت عليهم السلام من محن ومصائب، ولما بلغ بعض الوقائع انقلب حاله عليه السلام وقام من مكانه وأخذ يناجي ربه، وكان أبو بصير أيضاً قد تغير حاله لما رآه من حال الإمام عليه السلام ولذا لم يرو مناخاة الإمام عليه السلام، وقد تغير حال أبو بصير بحيث إنه لم يستطع النوم تلك الليلة لشدة ما رآه من تغير حال الإمام الصادق عليه السلام.



أما الرواية فهي: عن أبي بصير، قال: كنت عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام أحدثه فدخل عليه ابنه، فقال له: مرحباً، وضمه وقبله، وقال: حقر الله من حقركم، وانتقم ممن وتركم، وخذل الله من خذلكم، ولعن الله من قتلكم، وكان الله لكم ولياً وحافظاً وناصرًا، فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصدّيقين والشهداء وملائكة السماء، ثم بكى، وقال: يا أبا بصير إذا نظرت إلى ولد الحسين أتاني ما لا أملكه بما أتى إلى أبيهم وإليهم.

يا أبا بصير إنّ فاطمة عليها السلام تشهق فتزفر جهنم زفرة لولا أنّ الخزنة يسمعون بكاءها وقد استعدوا لذلك مخافة أن يخرج منها عتق أو يشرد دخانها فيحرق أهل الأرض فيحفظونها [فيكبحونها] مادامت باكية، ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض، فلا تسكن حتى يسكن صوت فاطمة الزهراء.

وإنّ البحار تكاد أن تنفتق فيدخل بعضها على بعض وما منها قطرة إلاّ بها ملك موكل، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ نارها بأجنحته وحبس بعضها على بعض مخافة على الدنيا وما فيها ومن على الأرض، فلاتزال الملائكة مشفقين يبكون لبكائها ويدعون الله ويتضرعون إليه ويتضرع أهل العرش ومن حوله وترتفع أصوات من الملائكة بالتقديس لله مخافة على أهل الأرض.

ولو أنّ صوتاً من أصواتهم يصل إلى الأرض لصعق أهل الأرض وتقطعت الجبال وزلزلت الأرض، بأهلها، قلت: جعلت فداك إنّ هذا الأمر عظيم؟

قال: غيره أعظم منه ما لم تسمعه، ثم قال لي: يا أبا بصير أما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة عليها السلام؟



فبكيت حين قالها فما قدرت على المنطق وما قدر على كلامي من البكاء، ثم قام إلى المصلّى يدعو فخرجت من عنده على تلك الحال فما انتفعت بطعام وما جاءني النوم وأصبحت صائماً وجالاً حتى أتته، فلما رأته قد سكن سكنت وحمدت الله.

أسباب تغيير حال الإمام عليه السلام

لا يخفى أنّ حالات المعصوم وطباعه تختلف تماماً عن الناس العاديين، إذ إنّ الإنسان يتأثر بالمسائل العاطفية ويشعر بشعور يقلمه رأساً على عقب، أمّا المعصوم عليه السلام فهو في أوج العاطفة والرحمة لا يتأثر بالمشاعر والأحاسيس العاطفية، وتغيّر حاله يكشف عن أنّ الموضوع في غاية العظمة والأهميّة؛ لأنّ الإمام حجّة الله في أرضه وسمائه، وهو معلّم الأكوان والملائكة والأنبياء، وهو أشرف الأولين والآخرين بما فيهم الأنبياء والمرسلين من بعد خاتم الأنبياء محمد المصطفى عليه السلام.

نعم، إنّ الأئمة المعصومين عليهم السلام لا يختلفون عن جدّهم النبي الأعظم عليه السلام إلاّ بمقام النبوة، ولذا لا يمكن بحال من الأحوال أن يتأثر الإمام عليه السلام بقضية عاطفية أو تظهر عليه الأحاسيس والمشاعر الجياشة، والأنموذج البارز لذلك هي واقعة عاشوراء الفجيعة حيث كان وجه الإمام الحسين عليه السلام يتلألأ نوراً كلّما فقد عزيزاً من أهل بيته وصحبه الأبرار، والحال أنّ المصائب التي نزلت به من أعظم المصائب وأشدّها، ومن الصعب بمكان تحملها.

والسؤال هنا هو: لماذا تغيّر حال الإمام الصادق عليه السلام لدى سماعه بعض وقائع عاشوراء فقام من مكانه وتفرّغ للدعاء والعبادة؟ ولماذا تشهق الصديقة الزهراء عليها السلام؟

الجواب: إنَّ من يعرف عظمة الصديقة الزهراء عليها السلام ووجاهتها عند الله سبحانه يدرك ملياً أنَّ تغيّر حال الإمام الصادق عليه السلام لم يكن ناجماً عن الإحساس العاطفي.

حزن لا ينتهي

إنني أدعو الأخوة - وأكثرهم من أهل العلم وطلبة الجامعة والمدارس - أن يستثمروا أوقاتهم ويسعوا لمطالعة الرواية بشكل كامل من مصدرها والتدبّر في كل كلمة من كلماتها.

يقول أبو بصير، قال الإمام الصادق عليه السلام: إنَّ فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشهق. وقد أُستُخدمت كلمة الشهقة في اللغة العربية في من يصاب بلوعة فتنجس أنفاسه في أعماقه مع عدم القدرة على التنفّس، ومن ثمّ وبشكل مفاجئ يتنفّس من عمق وجوده بتألم ولوعة.

مثل هذه الحالة في اللغة تسمّى الشهق والشهقة، بالطبع كل نفس لا يقال له شهقة، وإنما النفس الذي يحبس جراء مصيبة عظيمة ومن ثمّ يطلقه الإنسان من أعماقه يسمّى شهيقاً، ففي اللغة: الشهيق: الأنين الشديد المرتفع جداً، وأما خروج النفس فيسمّى زفيراً، وقد ورد في القرآن الكريم أنَّ لجهنم شهيقاً وزفيراً.

ولا يخفى على أهل العلم أنَّ استعمال الجملة الفعلية في الجُمْل يدل على الدوام والاستمرار خاصة إذا كان فعلها مضارعاً، وفي الرواية الشريفة بدأ الإمام الصادق عليه السلام بالجملة الفعلية، فقال: تشهق، ما يعني أنَّها عليها السلام تشهق وتتألم دوماً لمصائب عاشوراء، لذا تأثر الإمام عليه السلام لما روى الرواية ما أثر على أبي بصير تبعاً له.



تأثر عوالم الخلقة

لم يصرِّح الإمام الصادق عليه السلام عن المدّة التي تبقى مولاتنا الزهراء عليهن السلام تشهق فيها، فقد تكون في كل ليلة من ليالي عاشوراء أو في يوم عاشوراء من كل سنة، ومن الممكن أنّها تشهق طوال السنة، أو يكون حالها كذلك في يوم شهادة الإمام عليه السلام إلى يوم القيامة.

وعلى أيّ فإنّ القدر المتيقّن من الرواية أنّها عليها السلام تشهق في ليلة عاشوراء ويومه، وشهيقها هذا لا يؤثر على الكرة الأرضية فحسب، بل يشمل جميع العوالم ويترك بصماته على كل شيء ما عدا الذات الإلهية، وكل ما في الوجود يختل نظامه وعمله.

وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى أنّ الإنسانية لا تتحمّل هذه الشهقة، ولو بلغنا ذرات منها لهلكنا؛ لأنّ الإنسان ليس له القدرة على تحمّل سماعها.

وهذه الشهقة لسيدة النساء عليها السلام والمصيبة العظيمة التي حدثت للإمام الحسين عليه السلام لا يمكن أن تنتهي في يوم من الأيام، بل هي سرمدية وخالدة، وهذا ما أكده نبي الرحمة عليه السلام عندما قال: «فلا يزداد إلاّ علواً».

تأثر نار جهنم

من المؤكد أنّ الشهقة التي تشهقها السيدة الزهراء عليها السلام تترك أثرها على كل الخلائق، وطبقاً للرواية فإنّ لون جهنم أسودّ من شدّة الحرارة، وقد نقل الشيخ المفيد رحمته الله في كتاب الاختصاص رواية مفصّلة حول جهنم - أوصي الأخوة المؤمنين بقراءتها ليطلع الإنسان على أهوالها ويتعظ لدينه ودنياه - وأعتقد أنّ من يطالع أحوال جهنم بإمعان لن يتمكن من النوم والسكينة إلى الصباح من شدّة الخوف والفرع!



فمثل الشمس التي هي كرة عظيمة من النار رغم شدة حرارتها إلا أن لونها لم يتغير ولم تصبح سوداء، وأتذكر عندما كنت في كربلاء المقدسة قبل خمسين عاماً أنني قرأت كتاباً عن طبيعة الشمس ورد فيه: أن درجة حرارة الشمس هي ١١٠٠٠ درجة، وأن الحرارة لو بلغت ٨٠٠ إلى ٨٥٠ تذيب الفولاذ، ولذا فإن حركة الفولاذ في الشمس كحركة الغاز، وهذا دليل على شدة حرارة الشمس، وبالرغم من ذلك فإن لونها لم يتغير ويصبح أسوداً.

الجدير بالذكر أن الإمام عليه السلام يصرّح: أن شهقة الزهراء عليها السلام تؤثر على جهنم فتضجّ ويزداد لهيباً، ولولا أن الملائكة الموكلين بها يغلّقون أبوابها لأحرقت الكون بأسره وأهلكت جميع الموجودات، وهنا يطرح السؤال التالي: ما هي حقيقة تلك الشهقة الأليمة التي تشهقها الصديقة الزهراء عليها السلام؟

ولماذا لم تشهق سيدة نساء العالمين يوم شهادة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وشهادة أمير المؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام والحال أنهم أفضل من الإمام الحسين عليه السلام؟.

أليس أن شهقتها عليها السلام ينبأ عن فداحة مصيبة الإمام الحسين عليه السلام؟

تأثر البحار والمحيطات

إن شهقة السيدة الزهراء عليها السلام تترك بصماتها على كل قطرة ماء في هذا العالم الواسع فيوعز الله عزّ وجلّ إلى الملائكة الموكلين بالبحار والمحيطات أن يسيطروا عليها إثر شهقتها عليها السلام، وإلا لتلاطمت الأمواج العاتية وآل الأمر إلى غرق الكرة الأرضية وفنائها عن بكر أبيها.



تأثر الأرض

ومن الأمور التي تتأثر بشهقة السيدة الزهراء عليها السلام هي الأرض حيث تترك تلك الشهقة زلزلاً مهيباً وشديداً في الأرض، ولولا تسبيح وتقديس الملائكة لساخت الأرض ومن عليها من عظمة تلك الشهقة؛ لأنّ الملائكة عندما تسمع شهقة السيدة الزهراء عليها السلام تبدأ بالتهليل والتقديس بصوت عالي ومناجاة البارئ عزّ وجلّ خشية أن تباد الأرض، ممّا يوجب عطف ورافة الخالق المتعال وبقاء الأرض في أمان.

وكما عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ الشهقة شديدة ومهيبية بحد أنه لو لم يسيطر عليها لحدث زلزال عظيم يمحو الأرض وصارت أثر من بعد عين.

ولو سمع الناس قليل من تسبيح وتقديس الملائكة وهم يقولون: سبح قدّوس لانقلبت مقاييس الأرض وصار عاليها سافلها وماتت بقية المخلوقات.

عظمة مصيبة الإمام الحسين عليه السلام

عندما انقلب حال الإمام الصادق عليه السلام وتغيّرت أوضاعه قام وذكر الله عزّ وجلّ وسبّحه كثيراً، ومن الممكن أنّ عليه السلام دعا الله سبحانه وتعالى أن يرفع البلاء عن المؤمنين والمؤمنات وأن يزيد من توفيقاتهم لإقامة مراسيم العزاء والمرثي على الإمام الحسين عليه السلام.

ولو أمعنا النظر في مراسيم عاشوراء في كل سنة ودققنا في العظمة التي تكتنفها من التفاف الناس حولها وماشابه لتجلّت لنا ومضة بسيطة من دواعي شهقة بضعة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

عاشوراء في زمان الظهور

لاشك أنّ عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام لا يطفأ نورها بعد ظهور بقية الله الأعظم عليه السلام بل هي مستمرة إلى يوم القيامة، والروايات الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام تدلّ بشكل جلي على أنّ قضايا عاشوراء تأخذ أبعاداً أخرى في ذلك اليوم، حيث تدرك الخلائق ما جرى ويتّضح للجميع حقيقة ثورة الإمام الحسين عليه السلام والأهداف التي كان يبتغيها، والمظلومية العظيمة التي حلّت به، والعاقبة والعذاب الشديد لمن قتله وظلمه ووقف في طريق نصرته ونصرة شعائره المقدّسة.

كما أنّ دم الإمام الحسين عليه السلام لا يمكن جبره بأيّ حال من الأحوال، والله سبحانه وتعالى أعلم وحده بالقيمة الواقعية لقطرة الدم التي أريقت من سيد الشهداء عليه السلام وعظمتها، ولن يعوضها شيء في هذا الكون الواسع في أيّ زمان.

وكلمًا فعلناه في عزاء الإمام الحسين عليه السلام يعود نفعه لنا أولاً وأخيراً، فببركته عليه السلام ننال القرب الإلهي وعلو الدرجات ودعاء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والسيدة الزهراء عليها السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام.

والإفأى عمل مهما عظم وكبر فهو لا يسدّ معشار قطرة من قطرات دمّ الإمام الحسين عليه السلام.

ومن هذا المنطلق تبقى عاشوراء سرمدية أبدية معطائه لا تتوقّف ثمارها إلى يوم القيامة، بل تستمر حتى القيامة، والله عزّ وجلّ وحده يعلم ماذا جرى ليلة أمس واليوم (ليلة عاشوراء ويومه) في المعمورة جمعاء، فقد أقام الناس - الرجال والنساء، الكبار والكهول، شعية وغيرهم - الشعائر الحسينية في كل شبر منها، هذا بالنسبة للإنسانية، أمّا البحار



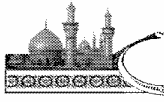
والمحيطات والوحوش والطيور وحتى الجنان فحدث ولا حرج، إذ إنّ الجميع يتسابقون لإقامة مراسيم العزاء والنياح على ريحانة رسول الله ﷺ.

محاربة الشعائر الحسينية

نقل الأخ الراحل رحمته الله قائلاً: قبل ثمانين عاماً تقريباً ورد كل من رضا خان في إيران وياسين الهاشمي في العراق وأتاتورك في تركيا عالم السياسة، وكانوا يحملون مهمة واحدة وغاية مشتركة ألا وهي القضاء على الدين وتقويض الشعائر الحسينية المقدّسة، ولكن بآء الثلاثة - رغم خشونتهم المفرطة والأعمال الإجرامية والأساليب القمعية التي قاموا بها بالفشل الذريع، وظلّت أفعالهم وصمة عار تلاحقهم إلى يوم يبعثون، وسوف تبقى الأجيال تلعنهم إلى الأبد.

فقد حكم البهلوي في إيران ما يناهز العشرين سنة وعمل في السنين الخمسة الأخيرة من حكمه بكل حزم وشدّة على محاربة الشعائر الحسينية والنيل منها، فحبس الخطباء وضربهم وغرّمهم غرامات مالية كبيرة، كما سجن وعذب كل من يقيم العزاء وعاقبهم بعقوبات شديدة وقاسية، وقد طال ذلك حتى الذين كانوا يقيمون العزاء في بيوتهم الخاصة.

وأما في العراق فقد حارب ياسين الهاشمي - طوال تولّيه منصب رئاسة الوزراء - الدين بقوة فضلاً عن الشعائر الحسينية وتجاوز كل حدود الأخلاق والأعراف الدينية حتى فاق نظيره البهلوي في إيران إذ إنّ البهلوي كان يسجن مقيمي الشعائر والمجالس، أمّا الهاشمي فبالإضافة إلى ذلك فقد أصدر - في زمن السيد أبو الحسن الأصفهاني والميرزا النائيني وبقية العلماء الأعلام رحمهم الله - قراراً في وسائل الإعلام بإهانة وتحقير العلماء ورجال الدين.



ولم يستمر هذا الوضع طويلاً إذ إنَّ السيد أبو الحسن الأصفهاني رحمته قلب الموازين لصالح الطائفة الحقَّة، وكانت النتيجة أن خابت آمال الهاشمي في القضاء على الشعائر والمذهب ولم يحقق أهدافه المشؤومة على أرض الواقع.

وبطبيعة الحال هناك علماء أعلام وشخصيات كبار أمثال الشيخ عبد الكريم الحائري والسيد حسين القمي رحمتهما الله وقفوا مواقف حازمة لحماية الدين الإسلامي المبين من الانحراف والحفاظ على الشعائر والمجالس الحسينية حيث تحدوا جبروت البهلوي وضحووا بالغالي والنفيس في طريق ذات الشوكة، وسقط في سبيل إعلاء كلمة الدين وبقاء صرخة الإمام الحسين عليه السلام مدوِّية العديد من المؤمنين شهداء ليلتحقوا بقوافل الشهداء الذين سقطوا طوال التاريخ على مقصلة العقيدة.

وقد تكرر السيناريو في تركيا على يد أتاتورك الذي أراد القضاء على الدين كلياً وعمل بشتى الوسائل والطرق لهذا الهدف وكان مدعوماً بقوة من القوى والحركات المعادية للإسلام.

على كل الشواهد والدلائل كلُّها تشير إلى أنَّ الظلم والجور لم يمنع الأمة ولو بقدر أنملة أن تقيم الشعائر الحسينية وتحي مراسم العزاء على سيد الشهداء عليه السلام، وباءت كل المحاولات بالفشل وخيبة الأمل، وكما نشاهد اليوم فإنَّ المراسيم تقام في كل مكان من أصقاع العالم وترتفع رايات الإمام المظلوم عليه السلام في دول وبلدان لم يكن يتصورها العقل في يوم من الأيام. ولم يشهد التاريخ حيوية وحماساً كما في الشعائر والمآتم الحسينية الراهنة حيث استمدت الشعائر عنفوانها وديموميتها من عظمة أهدافها التي انطلقت من أجلها على يد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.



بل صارت الشعائر الحسينية محوراً تشدّ المجتمع وتزيد من أواصر التماسك الاجتماعي والعمل على حب الخير والصلاح، وهذا كله ببركة الدماء الزاقيات التي أريقت في أرض الطفوف.

بالطبع آلت عواقب هؤلاء الحكام الثلاثة إلى ما لايحمد عقباه، وصار التأريخ يلعنهم جيلاً بعد جيل، ولو كانوا يتمكنون الخروج اليوم من قبورهم ويرون ما وصلت إليه الشعائر الحسينية من عظمة وانتشار لشعروا بفشلهم الذريع والحسرة على كل خطوة خطوها في هذا الطريق.

سرمدية الشعائر الحسينية

من الواضح أنّ الحكام الذين أسرفوا في الظلم والجور ومن سار في ركابهم يتصورون بذهنيتهم الخاوية أنّهم قادرون على مواجهة الشعائر الحسينية والعمل على التقليل من بريقها ونورها الوهاج، ولكن أين البهلوي اليوم؟

فقد أصيب في الدنيا بالعار والخزي وفي الآخرة ساء مستقراً ومكاناً، وأين هو ياسين الهاشمي؟

ليخرج من قبره المظلم وليرى ما يجري في العراق وإيران، وأين بلغت قوة الشعائر في المعمورة - والذين يشاهدون القنوات الفضائية الدينية يدركون إلى حدّ ما عظمة الشعائر الحسينية، ورأوا بأعينهم مشاهد يعجز العقل عن إدراكها وتصوّرها.

وقد نُقل لي مراراً وكراراً ما تشهده أصقاع العالم المختلفة من عظمة وهيجان في مراسيم الإمام الحسين عليه السلام فاليوم أضحت النهضة الحسينية تمثّل مشروعاً متكاملًا في كافة الجوانب الحيّاتية للإنسان وعلى جميع الأصعدة العقائدية والفكرية والأخلاقية، وصارت مفرداتها تتجدّد في كل

زمان ومكان ولا تقتصر على بقعة معيّنة أو زمن محدد أو شعب ما أو طائفة بعينها، فتجاوزت كل الأطر والحدود.

بالطبع ما نراه في أنحاء العالم لا يتناسب مع منزلة الإمام الحسين عليه السلام وإذا ما قورنت مع القابليات الموجودة على الكرة الأرضية فهي مقابلها كالعدم، ومع ذلك تبقى آيات الشكر موصولة لكل من أحيى تلك المراسيم وقدم لها الدعم المادي والمعنوي (شكر الله مساعيهم جميعاً) هذا من جهة، ومن جهة أخرى إنني أتأسف كثيراً على الثلة الذين يتصورون أنهم قادرون من خلال تربّعهم على كرسي الحكم وتسلّطهم على رقاب الناس لمدة قصيرة في هذه الدنيا الفانية، أنّ بإمكانهم التحكم بشعائر الإمام الحسين عليه السلام والتقليل من شأنها وعظمتها وتسليط سوط عذابهم على كل من يتمسك بها!

فقد خسر كل من كان يفكر بهذا النحو، أليس أنّ ياسين الهاشمي هو الخاسر الأكبر؟

وأليس كان البهلوي يعتقد أنّه من خلال الضرب والسجن والاعتقال والتباعد يستطيع الوقوف أمام الشعائر والحيلولة دون إقامتها؟ ولكن شاهد الجميع عاقبته ومصيره الأسود.

لذا ينبغي أن يتعظ كل من يريد الاقتفاء بأثرهم وليرى عقابتهم السيئة ومصيرهم الأسود الذي لاقوه.

تحمل الصعاب في طريق الإمام الحسين عليه السلام

أمّا الرواية الثانية التي أود الإشارة إليها فهي ما ورد في كتاب كامل الزيارات تحت رقم ٣٥٧ عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل أنه:



أتاه رجل، فقال له: يا ابن رسول الله هل يزار والدك [أي الإمام الحسين عليه السلام]؟ قال: فقال: نعم. قال: فما لمن أتاه؟ قال: الجنة... وقال: قلت: فما لمن قتل عنده جار عليه سلطان فقتله؟ قال: أول قطرة من دمه يغفر له بها كل خطيئة وتغسل طينته التي خلق منها الملائكة حتى تخلص كما خلصت الأنبياء المخلصين، ويذهب عنها ما كان خالطها من أجناس طين أهل الكفر، ويغسل قلبه ويشرح صدره ويملاً إيماناً فيلقي الله وهو مخلص من كل ما تخالطه الأبدان والقلوب، ويكتب له شفاعة في أهل بيته وألف من إخوانه، وتولّى الصلاة عليه الملائكة مع جبرائيل وملاك الموت، ويؤتى بكفنه وحنوطه من الجنة، ويوسّع قبره عليه، ويوضع له مصابيح في قبره، ويفتح له باب من الجنة، وتأتيه الملائكة بالطرف من الجنة، ويرفع بعد ثمانية عشر يوماً إلى حظيرة القدس، فلا يزال فيها مع أولياء الله حتى تصيبه النفحة التي لاتبقي شيئاً، فإذا كانت النفحة الثانية وخرج من قبره كان أول من يصافحه رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأوصياء ويبشرونه ويقولون له: الزمنا وقيمونه على الحوض فيشرب منه ويسقي من أحب. قلت: فما لمن حبس في إتيانه؟ قال: له بكل يوم يحبس ويغتم فرحة إلى يوم القيامة، فإن ضرب بعد الحبس في إتيانه كان له بكل ضربة حوراء، وبكل وجع يدخل على بدنه ألف لف حسنة، ويمحي بها ألف سيئة، ويرفع له بها ألف ألف درجة، ويكون من محدثي رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يفرغ من الحساب فيصافحه حملة العرش ويقال له: سل ما أحببت ويؤتى ضاربه للحساب فلا يسأل عن شيء ولا يحتسب بشيء ويؤخذ بضبعيه حتى ينتهي به

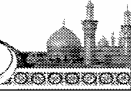
الى ملك يحبوه ويتحفه بشربة من الحميم وشربة من الغسلين ويوضع على مقال (جمع مقلاة) في النار، فيقال له: ذق بما قدّمت يداك فيما آتيت الى هذا الذي ضربته سبباً إلى وفد الله ووفد رسوله، ويؤتى بالمضروب إلى باب جهنم، ويقال له: انظر إلى ضاربك وإلى ما قد لقي فهل شفيت صدرك وقد اقتص لك منه؟ فيقول: الحمد لله الذي انتصر لي ولولد رسوله منه.

من وحي الحديث

عمد حكام الجور أمثال المتوكل وهارون العباس ممّن غصبوا الخلافة بغير حقّ وادّعوا لقب أمير المؤمنين - اللقب الخاص بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام - بكل إمكانياتهم وطاقاتهم لمنع الشعائر الحسينية ومحاربتها بكل الأشكال المتاحة.

ففي عهد الإمام الصادق عليه السلام ادّعى الضحّاك خلافة المسلمين وحكم الكوفة مدّة من الزمن وفي النهاية قُتل على يد مروان. وقد حارب الضحّاك شعائر الإمام الحسين عليه السلام بقسوة، وفي أحد الأيام ذهب (مؤمن الطاق) - وكان الضحّاك يدّعي الفقاهاة ولازالت فتاواه موجودة في كتب العامّة - فلما أتاه رأته الشُّراة ووثبوا في وجهه، فقال لهم: جانح.

فأخذوه إلى الضحّاك، فقال له مؤمن الطاق: أنا رجل على بصيرة من ديني وسمعتك تصف بالعدل فأحببت الدخول معك. فقال الضحّاك لأصحابه: إن دخل هذا معكم نفعكم.



ثم أقبل مؤمن الطاق على الضحّاك، فقال: لم تبرأتم من علي بن أبي طالب واستحللتم قتله وقتاله؟

قال: لأنّه حكم في دين الله!

قال: وكل من حكم في دين الله استحللتم قتله وقتاله والبراءة منه؟

قال: نعم.

قال: فأخبرني عن الدين الذي جئت أناظرك عليه لأدخل معك فيه إن غلبت حجّتي حجّتك أو حجّتك حجّتي من يوقف المخطئ على خطئه ويحكم للمصيب بصوابه؟

فلا بد لنا من إنسان يحكم بيننا، فأشار الضحّاك إلى رجل من أصحابه، فقال: هذا الحكم بيننا فهو عالم بالدين.

قال مؤمن الطاق: وقد حكمت هذا في الدين الذي جئت أناظرك فيه؟

قال الضحّاك: نعم.

فأقبل مؤمن الطاق على أصحابه، فقال: إنّ هذا صاحبكم قد حكم في دين الله فشأنكم به فضربوا الضحّاك بأسيا فهم حتى سكت.

فقد نسي الضحّاك دليله ودينه في مدّة قصيرة من الزمن جراء محاوره لم تتجاوز عدة جمل وكلمات، فهل أنّ من ينسى حديثه الذي تحدّث به قبل لحظات يسمّى فقيهاً وتكون فتاواه سارية المفعول يعمل بها في أوساط المجتمع الإسلامي؟!

الجدير بالذكر أنّ معاداة أهل البيت عليهم السلام خاصة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ليست وليدة الزمان الحاضر، بل هي أمر مستفحل ضرب بجذوره في كل العصور التي حكم بها بنو أمية وبنو العباس وأسلافهم ومن اقتدى بهم، حيث كان الناس يودعون السجن

لتسمية أولادهم باسم علي والأئمة الأطهار عليهم السلام واشتد الأمر في عهد الإمامين الجواد والهادي عليهما السلام، ولذا لانكاد نرى في غضون تلك الفترة من الصحابة إلا القليل أسمائهم بأسماء أهل البيت عليهم السلام.

وقد ارتكب بنو أمية مأساة عاشوراء بتلك الوحشية ليتأمر أمثال الضحّاك وغيره على رقاب الأمة ويبيد خط الحقّ والعدالة المتمثل بخط أهل البيت عليهم السلام والقضاء عليه بشكل نهائي.

ولانجافي الحقيقة إذا قلنا: إنّ بني أمية لم يكن لهم أن يظلموا أكثر من الظلم الذي قاموا به حيث جاوزوا كل الحدود والمقاييس في ظلمهم لأهل البيت عليهم السلام في يوم عاشوراء، ولو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أوصاهم بظلم عترته والجور عليهم بدل مودتهم لما استطاعوا إضافة شيء على ما اقترفوه.

فقد صرّح الإمام الصادق عليه السلام أنّ الذي يسجن في طريق الإمام الحسين عليه السلام له في كل يوم فرحة إلى يوم القيامة، أمّا إذا ضرب فإنّ لكل ضربة له مقاماً وأجرًا جزيلاً.

ولاشك أنّ لهذه الصعاب والمحن مراتب، فمن يصفع في طريق سيد الشهداء عليه السلام أربعة صفعات منزلته وقربه الإلهي أكثر ممّن يصفع في هذا الطريق ثلاثة صفعات وهكذا...

الملفت للإنتباه أنّ الإمام الصادق عليه السلام من بعد "الضرب" عبّر بـ "الوجع" مايعني أنّ الذي يسجن في طريق الإمام الحسين عليه السلام قد لا يقتصر ما يتعرّض له على الضرب، بل تكون هناك تبعات وآثار أخرى.

وهنا يعيّن الإمام عليه السلام أجرًا وثوابًا خاصاً لكل حالة من الألم والوجع التي يتعرّض لها محي قضايا الإمام الحسين عليه السلام فقال عليه السلام: (فإذا كانت النفحة الثانية وخرج من قبره كان أول من يصفحه رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأوصياء)، فهل ياترى هناك منزلة أرفع وأسمى من ذلك؟!!



نسعد قلب الزهراء عليها السلام

ومن ضمن ما قاله الإمام الصادق عليه السلام لأبي بصير: (أما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة)؟

ومنه يظهر أنّ هناك مسؤولية عظيمة تقع على عاتق الجميع وهي المشاركة الفعّالة في إقامة الشعائر والمآتم الحسينية وإحيائها بكل الأشكال وعدم التفريط بها، إذ إنّها تدخل السرور على قلب السيدة الزهراء عليها السلام.

ومن المؤكد أنّ خدمة القضية الحسينية تدخل السرور والغبطة على قلوب كل المعصومين الأربعة عشر من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإمام المهدي عليه السلام.

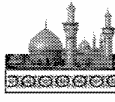
رمز مصائب الإمام الحسين عليه السلام

وفي هذا المقام يطرح سؤال وهو: لماذا تعتبر السيدة الزهراء عليها السلام الرمز لمصائب الإمام الحسين عليه السلام؟

إنّ فاطمة الزهراء عليها السلام - وهي الصديقة الكبرى والشفيعة في يوم الجزاء وأمّ الحجج والوجيّهة عند الله عزّ وجلّ - هي صاحبة العزاء والمفجوعة بولدها.

وهذا المعنى يتجلّى بأحسن صورته عندما جاء شاعر أهل البيت عليهم السلام دعبل الخزاعي في محضر الإمام الرضا عليه السلام، فقال له الإمام: مرحباً بناصرنا بيده ولسانه.

بعد ذلك بدأ دعبل بقراءة المراثي والمصيبة باسم صاحبة العزاء، فقال:



أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً وقد مات عطشاناً بشط فرات
 اذن للطمت الخد فاطم عنده وأجريت دمع العين بالوجنات
 فلم يبدأ دعبل - الشاعر الموالي والمحب لأهل البيت عليهم السلام - قصيدته
 العصماء بتقديم التعازي لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين علي بن أبي
 طالب عليه السلام، وإنما خاطب الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام، باعتبارها
 صاحبة العزاء، وقد كان الإمام الرضا عليه السلام يستمع ويبكي لذلك الخطاب، لذا
 ورد في حديث الإمام الصادق عليه السلام: (أما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة)؟.

وصايا لمقيمي الشعائر الحسينية

ينبغي للأخوة والأخوات السعي الحثيث بكل وسعهم كي يسعدوا
 الصديقة الزهراء عليها السلام في إحياء مصاب ولدها الإمام الحسين عليه السلام، وأن
 يكونوا مصداقاً واضحاً لحديث الإمام الصادق عليه السلام (أما تحب أن تكون
 فيمن يسعد فاطمة)؟

لذا لابد من العمل بجديّة وإخلاص أكبر من ذي قبل والتواصل مع
 القضية العاشورائية بكل أبعادها وجوانبها، وأن نقدّم المزيد من العطاء
 والتضحيات، ومهما بذلنا من أموال وأقمنا المراسيم وشاركنا في
 الشعائر لابد من الحرص على مضاعفة الجهود وبذل المزيد من الهمم
 في هذا الطريق.

بطبيعة الحال كل من يتعرّض للسجن أو الاعتقال أو الاهانة أو الضرب
 والشتم من أجل مبادئ الإمام الحسين عليه السلام يكون ذلك سبباً لعلوه ورفعته
 ونيل المقام السامي، بل ينبغي للإنسان أن يفرح لو مكث في السجن
 طويلاً لأنّ ذلك يزيد من عذاب الظالم وأجر المظلوم.



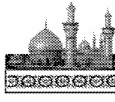
وكما ينبغي أن لانقف في صف بني أمية ونرضى بما قاموا به من أفعال شنيعة يندى لها جبين الإنسانية كذلك ينبغي أن لا نتخذ موقف اللامبالاة بما جرى على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الطيبين الطاهرين في يوم عاشوراء، إذ أنّ ذلك يساوي حالة الخذلان والخسران.

ففي يوم عاشوراء لمّا هجم الأعداء على مخيم الإمام الحسين عليه السلام وأحرقوا خيامه وقع نظر رجل من معسكر بني سعد على يتيمة من أطفال الإمام الحسين عليه السلام فزعة فارة من الأعداء والنار مشتعلة في أذيالها، فرق قلبه لها ودنا منها وهمّ بإطفاء النار، فخافت اليتيمة منه، وقالت له: (أنت لنا أم علينا؟) فقال: (للكم ولا عليكم).

لذا يجب علينا الحيطة والحذر من الوقوع في شباك عدم الاكتراث والاهتمام بالشعائر الحسينية وعزاء الإمام الحسين عليه السلام فإنّ ذلك يعني الخذلان والخسران الأكبر، وقد لعن الرسول صلى الله عليه وآله خاذلي الحقّ ممّن لا يحرّكون ساكناً لنصرتهم ولم يدافعوا عن قضية الإمام الحسين عليه السلام، وهناك روايات عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يلعن فيها كل من لا يكثرث ولا يبالي بالمظلومية العظيمة التي تعرّض لها الإمام الحسين عليه السلام.

نصرة الإعلام الحسيني

من المناسب أن يمدّ الجميع يد العون والمساعدة إلى القنوات الفضائية التي تسعى إلى نصرة القضية الحسينية وقضايا أهل البيت عليهم السلام وعدم التقاعس في نصرتها بالمال واللسان والكلمة الطيبة. نعم، ظروف الأفراد تختلف من واحد إلى آخر، فالبعض غير قادر على دعمها بالمال ولكنه من خلال وجاهته أو لسانه يستطيع التوسّط لحفظ وبقاء الشعائر



الحسينية، ولا بد من تضافر جهود الجميع وتجسير كل الإمكانيات والطاقات لجعل بقاع المعمورة كلها حسينية والناس الذين يعيشون عليها حسينيون، ليتمتع العالم بأسره بنعمة الهداية والرحمة الحسينية ونيل السعادة المنشودة في الدنيا والآخرة، ولنكون من مصاديق من قال فيهم الإمام الصادق عليه السلام: (أما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة).

وبالرغم أنّ الدنيا اليوم تعجّ بالشعائر الحسينية إلاّ أنّها لم تصل إلى المستوى المطلوب، فلو أُقيمت الشعائر في كل شبر من العالم تظل دون المستوى المطلوب أيضاً؛ لأنّ الكرة الأرضية ليس لها القابلية والاستعداد كي تؤدّي حقّ الإمام الحسين عليه السلام ولو بشكل يسير.

وعلينا التيقّن في جميع الأحوال أنّ ظلم مقيمي عزاء سيد الشهداء عليه السلام عاقبته المخزية في هذه الدنيا فضلاً عن عذاب الآخرة، وينبغي للثلة الصالحة التي أصابها الأذى من السجن والضرب والإهانة في سبيل الشعائر الحسينية أن لا يشعروا بالحزن والألم، بل عليهم أن يفرحوا بما أصابهم؛ لأنّ ذلك توفيقاً وسعادة قد نالوها والله عزّ وجلّ وحده هو العالم بمقامهم وأجرهم، فأيّ ثواب عظيم وأيّ قربة ومنزلة سيحظون بها؟.

عالمية الشعائر الحسينية

شاءت إرادة الرب أن تكون عاشوراء قضية عالمية وأن يكون الحسينيون هم الفائزون بالجنان والنعيم الأبدي، وأعداؤهم والمتخاذلون في السعير وبئس المصير، قال تعالى: «فريق في الجنة وفريق في السعير»^١.

١. سورة الشورى، الآية ٧.



لذا فإنني ادعو الجميع خاصة الشباب أن يعملوا بكل ما أوتوا من قوة ونشاط لترويج القضية الحسينية وتجنب حالات اللامبالاة، وإذا لم يملك الإنسان الاستطاعة المالية عليه أن يبذل ماء وجهه وكرامته لأجل سيد الشهداء عليه السلام ومن ذلك مساعدة القنوات الشيعية الحسينية وتقويتها بكل الأشكال وإقامة مجالس الحسين عليه السلام والحفاظ عليها حيّة وتوسعتها عالمياً.

تحمل الصعاب والمعضلات

زارني مجموعة من الأخوة الحسينيين وكانوا يجمعون التبرعات لبناء حسينية في إحدى المناطق وكان أحدهم محبطاً جداً وقد بدت عليه علامات الإنزعاج، فقال: ذهبنا إلى أحد المتمكنين مادياً وطلبنا منه أن يساهم في بناء الحسينية، فواجهنا بجواب جعلنا نشعر بخيبة أمل حتى عزمنا على ترك الموضوع.

فقلت له: هل بصق بوجهك؟

فقال: لا.

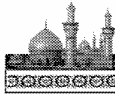
قلت: تعرض رسول الله صلى الله عليه وآله وهو أشرف الأولين والآخرين لهذه الجسارة من كفار قريش، ولكنه صلى الله عليه وآله صبر وتحمل ولم يترك تبليغ الرسالة السماوية. لذلك إذا تعرضت يوماً إلى هذا العمل امسح وجهك واشكر الله سبحانه وتعالى وافرح كثيراً لأنك نلت أجراً وثواباً عظيماً.

ثم قلت له: هل تعرضت إلى الضرب والشتم؟

قال: لا.

قلت: وهل ضربوك على وجهك ورأسك؟

قال: لا.



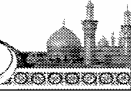
قلت: تعرّض رسول الله ﷺ الذي هو أسوة ومثل أعلى لي ولك ولجميع الناس في هذا الطريق لذلك، لذا يجب علينا أن نفتدي به ﷺ كما أمرنا الباري عزّ وجلّ في محكم كتابه العزيز، فقال: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»^١ وأن نتحمّل ونستقيم ونصبر ونقدّم التضحيات.

فقد تعرّض الرسول الأكرم ﷺ حين وضعه اللبنات الأولى لهذا الدين لكل تلك المواقف، ولكنه صبر وتحمّل واستقام من أجل إعلاء كلمة الله وبقاء الرسالة والدين، لذا علينا نتعلّم منه ﷺ كيفية الجهاد والكفاح والثبات في قبال المشاكل مهما كانت شدتها وقوتها وعدم التراجع شبراً واحداً ولحظة ما، وعلينا أن لا نتراجع ونستسلم، ولا شك أنّ هذه الوقاحة والجسارة التي يتعرّض لها حملة القضية الحسينية ولوائها في هذا الطريق هي ليست إهانة تحطّ من قيمة وشخصية الشخص بل هي كرامة له وعزة ما بعدها عزة.

عظمة الشعائر الحسينية

لقد عمل الظالمون بكل ما يملكون من قوّة على مرّ العصور للوقوف ضدّ الإمام الحسين عليه السلام وشعائره، ولكن ماهي ثمرة عملهم؟ وأين وصلت تلك المساعي والجهود المضنية التي بذلوها؟ فعلى سبيل المثال ارتكب الطاغية صدام مختلف المجازر والأعمال الوحشية لمنع الشعائر الحسينية وزيارة الإمام الحسين عليه السلام خاصة زيارة الأربعين، ولكن ما هي عاقبة تلك المراسيم والشعائر الحسينية وزيارة

١. سورة الاحزاب، الآية ٢١.



الإمام في الوقت الحاضر؟ نُقل أنّ الكثير من الزوّار تقاطروا من مختلف أنحاء العالم لزيارة الأربعين في العام المنصرم في صورة ولائية رائعة تعكس عمق الحب والوفاء والولاء للإمام الحسين عليه السلام.

وكما عن البعض: أنّ الكثير نوا المشي من أوروبا إلى كربلاء المقدّسة هذه السنة، بالطبع هذا توفيق وشرف عظيم لهم.

ولا يخفى أنّ مقام الإمام الحسين عليه السلام الشامخ لا يتضرر من فعل الأعداء، وعدم مبالاة القلّة القليلة من الناس يسوقهم إلى الضرر وخسارة كل شيء وسينالون وبال أذاهم في نار جهنم كما أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى ذلك وصرح القرآن الكريم بقوله: «يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ»^١.

ولذا فإنّ مسؤولية الجميع هي: أن نجعل رضا الصديقة الزهراء عليها السلام وإدخال السرور على قلبها الغاية العظمى وراء أعمالنا في الحياة، وأن نفكر دوماً بهذا المقياس ونعمل على زيادته.

موضوعان أساسيان:

من الضروري بمكان أن تركز الشعائر الحسينية على دعامين رئيسيتين: الأولى: التركيز على وسائل الإعلام.

الثانية: دعم هذه الوسائل بكل متطلبات النجاح.

يُنقل أنّ أكثر من عشرة قنوات فضائية نقلت شعيرة عزاء طويريج بشكل مباشر ذلك العزاء الذي نُقل عن العلامة بحر العلوم عليه السلام أنّه رأى

١. سورة ابراهيم، الآية ١٧.

الإمام صاحب العصر والزمان (أرواحنا لمقدمه الفداء) يشارك فيه مع الجموع العظيمة ويلطم على رأسه وصدرة.

وقد استمر العزاء هذه السنة مدّة أربع ساعات متواصلة، وبلغ عدد المشاركين فيه أكثر من ثلاثة ملايين وفيهم مرجع التقليد و أستاذ الجامعة والدكتور والمهندس والعامل والفقير والغني وغيرهم.

ومع الأسف الشديد مثل هذا العزاء العظيم تغافلت عنه القنوات الفضائية العالمية الأخرى بشكل متعمّد، بينما تسلّط الأضواء على أحداث بسيطة مثل مشاجرة بين بعض الأشخاص أو إحدى المسابقات الرياضية.

ونقول بقاطعية تامّة: إنّ كل من يكن الحقد والضغينة للشعائر الحسينية فهو الخاسر الأول والأخير في هذا الصراع حتى الذين يظهرون حالة اللامبالاة وعدم الاهتمام بهذا الموضوع فسيصابون بالانزواء والنسيان ولعنة التأريخ والأمم، فقد اتفقت إرادة الجبابة على طمس معالم الشعائر الوضائه كما هو الحال لبني أمية وبني مروان وبني العباس والبهلوي وياسين وصادم وأمثالهم، ولكن جرت الرياح بما لا تشتهي السفن.

فقد صاروا رهائن لأعمالهم المتهوّرة يعيشون حالة من العذاب الشديد جرّاء عدواتهم ومحاربتهم لشعائر الإمام الحسين عليه السلام، بينما ظلت القضية الحسينية حيّة فعالة تسري في عروق الإنسانية وضميرهم.

واليوم نشاهد أنّ الوسائل الإعلامية - المرئية والمسموعة للأعداء وظّفت بجميع إمكانياتها وطاقاتها لترويج الثقافة الأموية والحيلولة دون اتساع نطاق الشعائر الحسينية ومبادئها وأهدافها وذلك بدعم ممّن يسمّون أنفسهم بالعلماء والوعّاظ والمثقفين من ذوي العقائد والأفكار المنحرفة، فلماذا لا نستفيد من الامكانيات المتاحة ونوظفها لإيصال الحقيقة ونشر ظلامه سيد الشهداء عليه السلام؟



فمن الضروري جداً أن نستفيد من التطور الإعلامي والتقنية والتكنولوجيا الحديثة التي أخذت تنتشر في كل مكان وأصبح العالم على ضوئها مدينة واحدة وأن نوصل الثقافة العاشورائية عبر اللغات العالمية الحيّة إلى البشرية جمعاء أينما كانت ومهما كان فكرها ومشربها. وعلينا أن نضع في الحسبان أنّ وسائل الإعلام تمثّل نصف القضية أمّا تقديم الدعم فهو المكمّل لها والأكثر حيوية وتأثيراً.

دعم الشباب للشعائر الحسينية

خلاصة القول: إنّ ترويج الشعائر الحسينية عبر وسائل الإعلام المختلفة يحتاج إلى دعم جميع فئات وشرائح المجتمع خاصة الشباب الذين يعتمد عليهم في عملية البناء والتغيير والاصلاح، وكلما كان الدعم أكثر وأوسع نطاقاً كلما إزدادت الشعائر وانتشرت في بقاع المعمورة، وهو غير بعيد المنال لو توفّرت العزيمة والهمّة والإرادة لدى الجميع وسوف يتحقق بإذن الله عزّ وجلّ.

فلا بدّ أن يسعى الجميع في هذا الجانب لكي نسعد ونفرح السيدة الزهراء عليها السلام وبقية المعصومين الأطهار عليهم السلام ولنعلم أنّ السعادة في الدنيا والآخرة رهينة إنزال هذا الأمر على أرض الواقع، وكلما كانت الخدمة والدعم والإخلاص أكثر كلما كان الأجر والثواب أعظم.

نسأل الباري عزّ وجلّ ببركة سيد الشهداء عليه السلام وبحق تلك الشهقة التي تشهقها السيدة الزهراء عليها السلام أن يجعلنا جميعاً من الساعين لخدمة القضية الحسينية بكل أبعادها وأن يزيد من توفيقات وتسديدات الأخوة المؤمنين والمؤمنات في هذا الطريق إن شاء الله تعالى.

وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

الفهرس

المقدمة ٥

عاشوراء دروس وعبر /٧

إطلالة عاشوراء ٩

تخليد عاشوراء ١٠

فداحة المصيبة ١٤

ثواب إحياء الشعائر الحسينية ١٦

استلهام الدروس من عاشوراء ٢٣

١. انقاذ الناس من عتمة الجهل ٢٤

٢. معاملة العدو بالحسنى ٢٨

٣. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣٣

٤. الثقة بالله ٣٦

ذكر الحسين عليه السلام ذخر ليوم الحساب ٤٠

عاشوراء والأحكام الاستثنائية ٤١

جزاء قتلة سيد الشهداء ٤٣

عبرات الإمام المهدي عليه السلام /٤٥

الناحية المقدسة ووصف المصاب ٤٧

حزن الإمام علي عليه السلام ٥١

دروس من الرضا والتسليم ٥٢

دورنا تجاه الشعائر ٥٣

البشرية كلها ممتحنة بقضية عاشوراء ٥٤



٥٥ لنجعل أبناءنا في خدمة أهل البيت عليهم السلام

من معطيات التضحية الحسينية/٥٧

٦٥ مسؤولية دم الإمام الحسين عليه السلام

٦٤ عاشوراء والتكوين

٦٦ مسؤوليتنا تجاه قضية الإمام

٦٨ استثنائية الجزاء للإحياء والزيارة

الإمام الحسين عليه السلام أقام الدين/٧٣

٧٦ الإمام الحسين عليه السلام وإقامة الدين

٧٨ محاولات بني أمية للقضاء على الدين

٨١ حسين عليه السلام مني وأنا من حسين عليه السلام

٨٢ الإهتمام بذكرى الميلاد المبارك

المقام الرفيع والمآثر الخالدة/٨٥

٨٧ مكانة كربلاء

٨٩ مضايقة زوار قبر الإمام الحسين عليه السلام

٩٥ مقام أنصار الإمام الحسين عليه السلام وزواره

٩٧ شروط مهمة

٩٩ مآثر خالدة

١٠١ محاولات الظلمة التملص من جرائمهم

١٠٢ وصايا لمقيمي الشعائر الحسينية

لتنافس في إحياء الشعائر الحسينية/١١١

١١٤ إحياء مراسم عاشوراء أفضل حتى من طلب العلم

١١٦ كرامة لزائري أبي عبد الله الحسين عليه السلام

- ١١٨ الانتقام العاجل من أعداء الإمام عليه السلام .
- ١٢٠ الاستشفاء بطين أقدام زوَّار الحسين عليه السلام .
- ١٢٢ التنافس في قضايا الحسين عليه السلام من أسباب نبوغ العلماء .

الإمام الحسين عليه السلام استثناء في عالم الوجود/١٢٥

- ١٣٠ قرح الجفون على مصاب الإمام عليه السلام .
- ١٣٠ حزن دائم .
- ١٣١ تعجيل العقوبة لأعداء الإمام عليه السلام .
- ١٣٥ الإمام الحسين عليه السلام أكثر المعصومين ذكرا .
- ١٣٦ عاشوراء في الصحاح الستة .
- ١٣٨ وصايا للمؤمنين لاسيما الشباب .
- ١٤٠ المرجع المجهول .

الافتتان بعاشوراء/١٤٣

- ١٤٥ في عاشوراء يتميّز الفريقان .
- ١٤٧ الافتتان بالإمام الحسين عليه السلام .
- ١٤٧ عاشوراء فيصل وممتحن .
- ١٤٩ إشكالان .
- ١٥١ التقيد بأحكام الله والتورّع من إبداء الرأي .
- ١٥٣ أحكام الله أعز من أوليائه .
- ١٥٤ الشياطين وتشكيك الناس .
- ١٥٥ لم يبلغنا من قضايا عاشوراء إلا القليل .
- ١٥٦ الدعاء للقائمين بالشعائر الحسينية .
- ١٥٧ تألم الأئمة عليهم السلام مما جرى على الإمام الحسين عليه السلام .



لا يوم كيوم الإمام الحسين عليه السلام / ١٦١

- ١٦٥ لا قضية كقضية أبي عبد الله عليه السلام .
- ١٦٦ التعامل الاستثنائي للإمام عليه السلام مع أصحابه .
- ١٧٠ الإمام عليه السلام وطلب الماء من الأعداء .
- ١٧١ نماذج أخرى من تحمّل المصائب الروحية .
- ١٧٥ وصايا للمؤمنين .

الإمام الحسين عليه السلام جوهرة التاريخ الفريدة / ١٧٩

- ١٨٢ عظمة مصاب الإمام عليه السلام .
- ١٨٢ أول ناعٍ وقارئٍ مرثية للإمام الحسين عليه السلام .
- ١٨٤ التعامل الاستثنائي لأهل البيت عليهم السلام مع قضية كربلاء .
- ١٨٦ عالمية عاشوراء .
- ١٨٨ بين الحجّ والذهاب إلى كربلاء .
- ١٩٠ خدام سيد الشهداء عليه السلام والأجر الاستثنائي .
- ١٩١ جزاء العطاء في طريق سيد الشهداء عليه السلام .
- ١٩٣ محبي محمد وآل محمد عليهم السلام .

عظمة زيارة الإمام الحسين عليه السلام / ١٩٧

- ٢٠٠ التأكيد على زيارة الحسين عليه السلام حتى مع الخوف .
- ٢٠٣ تضحيات محبي الإمام الحسين عليه السلام .
- ٢٠٦ وصايا المرجعية الرشيدة .

الحسين عليه السلام نبراس الهداية / ٢٠٩

- ٢١٣ مضامين سامية .
- ٢١٤ مسؤوليات تجاه القضية الحسينية .

الشعائر الحسينية وسر خلودها/٢١٩

- ٢٢١ المقدمة
- ٢٢٤ أهل البيت عليهم السلام وخلود القضية الحسينية*
- ٢٢٦ إحياء الشعائر الحسينية واجب الأمة ومسئوليتها
- ٢٢٧ معنى المتشحط
- ٢٢٩ أهمية مجاورة الإمام الحسين عليه السلام
- ٢٣٠ الإمام الهادي عليه السلام يطلب الشفاء تحت قبة الحسين عليه السلام
- ٢٣١ مصير وعاقبة من يحارب الشعائر
- ٢٣٣ ابتعاد الناس عن مبادئ الإسلام
- ٢٣٥ الشيعة ودفع ضريبة الولاء للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام
- ٢٣٦ الحكام وممارسة الخداع
- ٢٣٨ إقامة مجالس الحسين عليه السلام في الجنان العليا
- ٢٣٩ خصوصية أخرى للحسين عليه السلام
- ٢٣٩ إثارة بعض الشبهات حول الشعائر الحسينية
- ٢٤١ قصة من الواقع
- ٢٤١ شبهة قديمة حديثة
- ٢٤٥ واجبنا

خلود فريد/٢٤٧

- ٢٥١ لا يوم كعاشوراء ولا بقعة أشرف من كربلاء
- ٢٥٤ الله عز وجل وأنبيأوه ورسله وملائكته يقيمون العزاء على سيد الشهداء عليه السلام
- ٢٥٨ إقامة العزاء للحسين عليه السلام يوم القيامة
- ٢٦٠ قضية الحسين عليه السلام والآثار التكوينية لمحاربتها



عاشوراء النعمة العظيمة/٢٦٧

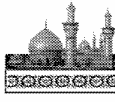
- ٢٧٠ دعاء الائمة المعصومين عليهم السلام لمحبي شعائر الإمام الحسين عليه السلام
- ٢٧١ التاريخ يسحق من يعرفل الشعائر الحسينية
- ٢٧٣ أزمة اخلاقية
- ٢٧٥ رزية الإمام الحسين عليه السلام لامثيل لها
- ٢٧٦ وصايا الى الشباب

مسؤولية العلماء والمثقفين/٢٧٩

- ٢٨٤ الحسين عليه السلام القدوة
- ٢٨٥ خط الإمام الحسين عليه السلام علامة فارقة
- ٢٨٨ الدنيا من منظار أهل البيت عليهم السلام
- ٢٨٩ المراجع العظام ونظرتهم المتأنية في القضايا وخاصة في قضية الإمام الحسين عليه السلام
- ٢٩١ وظيفة المبلغ
- ٢٩٢ الاستفادة من فرصة العمر

عالمية القضية الحسينية/٢٩٣

- ٢٩٦ من مآسي عاشوراء
- ٢٩٨ أسباب تغير حال الإمام عليه السلام
- ٢٩٩ حزن لا ينتهي
- ٣٠٠ تأثر عوالم الخلقة
- ٣٠٠ تأثر نار جهنم
- ٣٠١ تأثر البحار والمحيطات
- ٣٠٢ تأثر الأرض



- ٣٠٢ عظمة مصيبة الإمام الحسين عليه السلام
- ٣٠٣ عاشوراء في زمان الظهور
- ٣٠٤ محاربة الشعائر الحسينية
- ٣٠٦ سرمدية الشعائر الحسينية
- ٣٠٧ تحمّل الصعاب في طريق الإمام الحسين عليه السلام
- ٣٠٩ من وحي الحديث
- ٣١٢ لنسعد قلب الزهراء عليها السلام
- ٣١٢ رمز مصائب الإمام الحسين عليه السلام
- ٣١٣ وصايا لمقيمي الشعائر الحسينية
- ٣١٤ نصرة الإعلام الحسيني
- ٣١٥ عالمية الشعائر الحسينية
- ٣١٦ تحمّل الصعاب والمعضلات
- ٣١٧ عظمة الشعائر الحسينية
- ٣١٨ موضوعان أساسيان:
- ٣٢٠ دعم الشباب للشعائر الحسينية